الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة الدكتور يحيى فارس –المدية-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التماسك النصي في الخطاب القرآني
سورة "النبأ" أنموذجا

مذكرة لنيل شهادة ماستر

تخصص تحليل الخطاب

إعداد الطالبتين:

- سهام عماد
- عائشة بن قويدر

إشراف:

- أ. محمد مكي

السنة الجامعية: 2013-2014

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة الدكتور يحيى فارس –المدية-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التماسك النصي في الخطاب القرآني
سورة "النبأ" أنموذجا

مذكرة لنيل شهادة ماستر

تخصص تحليل الخطاب

إعداد الطالبتين:

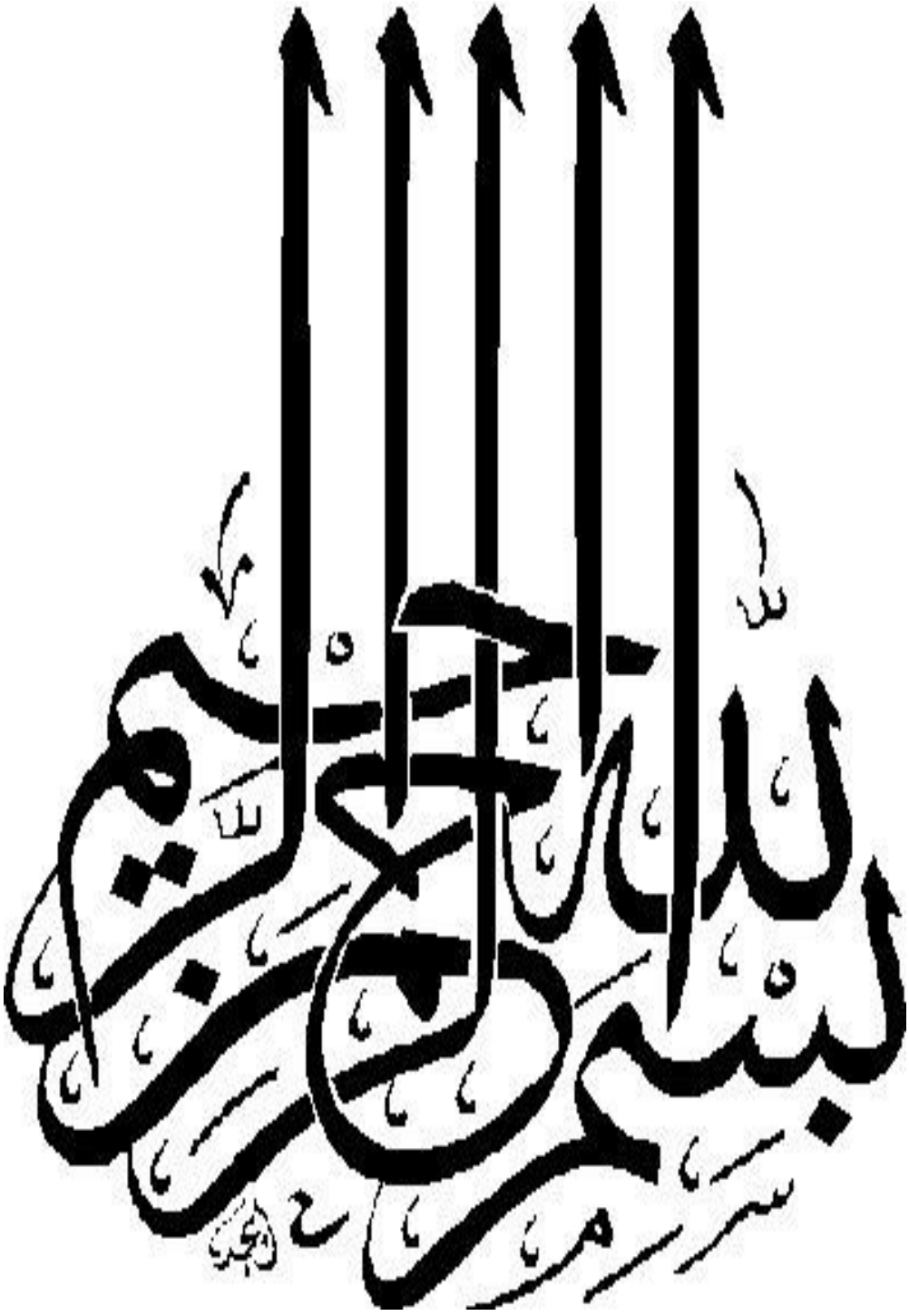
- سهام عماد
- عائشة بن قويدر

إشراف:

- أ. محمد مكي

الأستاذ	الرتبة	الصفة

السنة الجامعية: 2013-2014


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

نحمد الله عزّ وجلّ ونشكره على نعمه التي لا تحصى وعلى هدايته وتوفيقة لنا في كتابة هذا البحث وإتمامه، فله الحمد وإليه يعود الفضل وبعد:

يكتنفنا امتنان وشكر لا يسع اللسان وصفه لمن سبق معروفه إلينا علما وخلقا، الذي منحنا من ثمين وقته، وأحاطنا بغزير علمه، وسديد رأيه، ورفيع خلقه، أستاذنا المشرف "محمد مكي" الذي أمدنا بالدعم والأفكار فكان نعم المرشد والموجّه منذ أن كان موضوع البحث مجود فكرة إلى خرج إلى حيز الوجود، فله من الله عظيم الأجر ورفيع الدرجات.

كما نتوجه بعظيم الشكر والتقدير لأستاذينا الكريمين عضوي لجنة المناقشة، اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذا البحث المتواضع، لإثرائه بعلمهما الغزير، وتصويب ما فيه من زلل وتقصير، نسأل الله أن ينفعنا بعلمهما، وأن يجزيهم كل خير.

نتقدم بشكرنا وتقديرنا العميقين لجميع أساتذتنا في قسم اللغة والأدب العربي.

إهداء

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله

إلى إخوتي وأخواتي

إلى كل أساتذتي

إلى كل صديقاتي

إلى كل من وسعهم قلبي ولم تسعهم ورقتي أهدي هذا البحث

عائشة

إهـــــداء



إلى من تلبس في عنقها عقد الحنان وفي يدها سوار العطاء وفي أذنيها أقراط الدفء والاطمئنان.أمي....

إلـــــى نبع الحنان و النقاء أبي.....

إلـــــى مـــن كان سندا لي في مسيرتي العلمية ، عمي بوزيد و زوجته، حفظهما الله و رعاهما.

إلـــــى من علمـــــني حرفا.

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولـــم تسعهم مذكرتي، أهدي هذا العمل المتواضع.

سهـــام

THANK YOU

مقدمـــــــــــــــة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتّبع سنته إلى يوم الدين.

توجه البحث اللغوي في الآونة الأخيرة إلى تحليل النصوص بوصفها أكبر وحدة قابلة للتحليل، فتخطى بذلك حدود الجملة إلى محيط النصّ، لأنّ فصل الجملة وعزلها عن سياقها في النصّ يعدّ قصوراً في الدراسة اللغوية، وتأسيسًا على هذه القناعة تولد الاهتمام الكبير بالنصّ وطرح قضاياه لنقاش محتدم كان من نتائجه نضج الدراسة النصية بكل أبعادها، وحدثت نقلة نوعية من فضاء الجملة الضيق إلى فضاء النص برحابته واتساعه، وانتقلت محورية البحث اللساني إلى درجة أعلى مما كان عليه قبل عقود طويلة.

والراصد لمجموع المقولات المكونة لهذا العلم يدرك أنّ أهم مقولة في لسانيات النصّ هي الاتساق والانسجام، أو ما يعرف بمباحث التماسك النصي ذلك أنّ هذه المباحث تؤكد صفة النصية في الخطابات على تنوعها وتباينها إذ لا يمكن القول بالنصية، إلا إذا قلنا بالاتساق والانسجام، فالنصية والتماسك النصّي بهذا الوصف وجهان لعملة واحدة.

والقرآن الكريم أوضح نصّ تتجلى فيه مظاهر التماسك النصي، فهو النص الإلهي المعجز في لفظه ونظمه ومعناه، والمعجز في اتساقه وانسجامه ولا شك في أنّ الباحث في النصّ القرآني يتعامل معه على أنّه وحدة واحدة مترابطة.

وبناءً على هذا ثمة مبرّرات عدة حفزتنا لخوض غمار هذا البحث يمكننا إجمالها في الآتي:

- رغبتنا الملحة في خوض أغوار هذا العلم الحديث– لسانيات النصّ– بالإضافة إلى امتحان قدراتنا على تطبيق آليات التماسك النصّي في سورة من سور القرآن الكريم،

مع الاعتقاد الجازم أنّ أهم ما يميز الخطاب القرآني الكريم هو اتساقه الكامل، وانسجامه المحدد، وهو ما يحفز البحث في هذا الحقل من الدراسة.

- إبراز جهود علمائنا القدامى وإسهاماتهم في مجال لسانيات النص وعلاقة هذه الجهود بما تعرفه الدراسات اللغوية الحديثة.
- وكذا رغبتنا الملحة في خدمة القرآن الكريم بإضافة جهد متواضع إلى جهود من سبقنا في هذا المضمار.

وقد تمحور بحثنا حول إشكالية كان منطلقها ومحور اشتغالها متمثلا فيما يلي:

-كيف تجلت أدوات التماسك النصي في سورة النبأ؟ وما دورها في تحقيق نصية السورة؟

وتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات مفادها:

-كيف تمّ الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النصّ؟

-ما النصّ؟ وما مفاهيمه قديمًا وحديثًا؟

-ما هي شروط النصية؟

-ما الخطاب؟ وما هي مفاهيمه عند القدامى والمحدثين؟ وما علاقته بالنص؟

-ما مفهوم التماسك النصي في الثقافتين العربية والغربية؟ وما هي أدواته؟

-ما الاتساق؟ وما هي وسائله؟

-ما الانسجام؟ وما هي آلياته؟

-ما هي وسائل الاتساق وآليات الانسجام في سورة النبأ تحديدا؟ وما دورها في تماسك هذه السورة الكريمة؟

ومن هذا المنطلق كان بحثنا موسوما بـ **'التماسك النصي في الخطاب القرآني _سورة النبأ أنموذجا_'**

وللإجابة عن هذه الإشكالية ارتأينا أن نجعل بحثنا ما بين مقدمة وخاتمة يقع في ثلاث فصول.

فقد تضمن الفصل الأول_ **في تحديد المفاهيم النصية**– عرضا سريعا للمسار الانتقالي في الدراسة اللسانية من الجملة إلى النص، وتتبع لمفهومي النص والخطاب في التراث العربي وفي ضوء علم اللغة النصي، كما تضمن تحديد لشروط النصية والعلاقة بين الخطاب والنص.

أما الفصل الثاني: أتى موسوما بـ **'التماسك النصي وأدواته'** نحدّد من خلاله مفهوم التماسك النصي في الثقافتين العربية والغربية وأدواته، ونحدد أيضا مفهوم الاتساق ووسائله، ومفهوم الانسجام وأهم آلياته.

وجاء الفصل الثالث تحت عنوان **'المقاربة التطبيقية لآليات الاتساق والانسجام في سورة النبأ'**، نحدد من خلاله أهم وسائل الاتساق، وآليات الانسجام التي أسهمت في إبراز الترابط الشكلي والترابط الدلالي للسورة.

وأخيرا فكما اشتمل البحث على مقدمة احتوت على حدود البحث وأهدافه وأهم الدراسات السابقة، فقد خُتم بخلاصة لأبرز النتائج، وذيل البحث بقائمة المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

وقد اتبعنا المنهج اللساني النصي الذي يعد من المناهج المتطورة جدافي مقاربة النصوص، وذلك باعتماده على الآليات التي تحقق لخطاب ما صفة النصية مع الاستفادة من إجراءات المنهج الوصفي التحليلي في الرصد والمعاينة.

ولعل من أهم الدراسات السابقة التي انصبت في موضوعنا هذا نذكر مايلي:

– أدوات الاتساق وآليات الانسجام في قصيدة الهمزية لأحمد شوقي: سوداني عبد الحق، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير.

– الانسجام في القرآن الكريم _سورة النور أنموذجا_: نوال لخلف رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه.

– الاتساق والانسجام في القرآن: مفتاح بن عروس، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة.

– الاتساق والانسجام في سورة الكهف: محمود بوستة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير.

وقد تنوعت مصادر البحث، حيث اشتملت على كتب التفسير وعلوم القرآن وكتب اللغة والنحو والبلاغة، بالإضافة إلى كتب علم اللغة النصي، ولعلّ من أبرزها ما يلي: تفسير الكشاف لـ **الزمخشري**، والبرهان في علوم القرآن لـ **الزركشي**، والإتقان في علوم القرآن لـ **السيوطي**، ودلائل الإعجاز لـ **عبد القاهر الجرجاني**، وأساس البلاغة لـ **الزمخشري**، وكتاب الخصائص لـ ابن **جني**، لسانيات النص_ مدخل إلى انسجام الخطاب_ لـ **محمد خطابي**، ونحو النص لـ **أحمد عفيفي**، نسيج النص لـ **الأزهر الزنّاد**، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق بجزأيه لـ **صبحي إبراهيم الفقي** النص والخطاب والإجراء لـ **روبرت دي بو جراند** ترجمة **تمام حسّان**.

وكباقي الدراسات واجهتنا بعض الصعوبات والعراقيل ونحن بصدد إنجاز هذا البحث من بينها ضيق الوقت.

وإذا كان هذا البحث قد تمّ بعد جهد مضن فإنّ الفضل في إنجازه يعود إلى ما لاقانا به أستاذنا المشرف "**محمد المكي** "من رحابة صدر، وسديد رأي وكريم بذل، وتوجيه قيّم، فقد كان لنا خير أستاذ وخير قدوة، فهو الذي أنار لنا طريق البحث بنصائحه القيّمة، وتشجيعاته المتواصلة، والتي كنا في أمس الحاجة إليها في أصعب اللحظات فكان لنا نعم الموجّه، فله منا خالص الشكر والعرفان.

وأخيرا نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والسداد وأن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

الفصل الأول: في تحديد المفاهيم النصية

1.من نحو الجملة إلى نحو النص

2.مفهوم النص

1. النص لغة

2. النص اصطلاحا

1.1. النص في الثقافة العربية

2.1. النص في الثقافة الغربية

3. شروط النصية

III. مفهوم الخطاب

1. الخطاب لغة

2. الخطاب اصطلاحا

1.1. الخطاب في الثقافة العربية

2.1. الخطاب في الثقافة الغربية

IV. الخطاب والنص

1. من نحو الجملة إلى نحو النص

عدّت الجملة محورا أساسيا للدرس اللغوي ردحا من الزمن، إذ قامت جّل النظريات النحوية والاتجاهات اللسانية المختلفة والمتعاقبة على عدّ الجملة بنية قارة في الكلام وقرارها هذا جعل النظريات المشتغلة بوصفها متينة متانة نسبية، ونسبيّتها متأتيــة من طبيعة الكلام نفسه[1].

لكن على إثر بعض العيوب التي وقع فيها نحو الجملة "كالإصرار على استقلال النحو عن الموقف الاتصالي، وإخضاع الجمل الطويلة المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب اللغوية "[2].

بالإضافة إلى حدوث نوع من التطور العلمي في أوروبا خلال القرن 19م، حيث اتجه الباحثون في هذه الفترة إلى دراسة النص الأدبي وضبطه ضبطا موضوعيا علميا بعيدا عن الذاتية والانطباعية من أجل الوصول إلى نتائج دقيقة نوعا ما، إذ تطلب هذا الاتجاه الجديد من الدارسين تجاوز حدود الجملة إلى التراكيب أو الوحدات الأكبر من الجملة. هذا ما دفعهم إلى إلغاء الحواجز التي أقيمت بين علم النحو وعلم البلاغة بل والنقد وعلم الشعر أيضا...إغناء للنظر وإقرار بأنّ كثيرا من مسائل التفكير في اللغة وقضايا التقعيد لها لا يستقيم إلا بالاحتكام فيها إلى أحوال الكلام بمختلف مظاهره فحدث بذلك تداخل معرفي بين أكثر من علم قصد الخروج في النهاية بقواعد معرفية تتخذ من النصّ موضوعا لها دون إهمال الجملة.[3]

1- الأزهر الزّنّاد: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1 ،1994 م، ص 14.

2- فولفجانج هانيه من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة الدكتور فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود (د.ط)، 1999 م، ص 19.

3- الأزهر الزّنّاد: نسيج النصّ، المرجع السابق، ص5.

ولعلّ من أبرز دواعي الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النصّ هو قصور الجملة على إشباع حاجة المحلل اللغوي، إذ الجملة لا تقدم سوى الضئيل بالنسبة لما يقدمه النصّ، فما الجملة إلا جزء صغير بالقياس للنصّ، وما يقدمه النصّ يمثل المعنى الكلي على حين الذي تقدمه الجملة يمثل جزءا فقط من المعنى العام.[1]

كما أن نحو الجملة لا يقدم العلاقات بين الجمل بصورة كافية كما يقدمها نحو النص وكذلك الجملة تمثل الدلالة الجزئية لا الكلية، إضافة إلى أنّ الجملـة المجـردة من السياق لا تقدم شيئا سوى معان معجمية للكلمات الموجودة في الجملة على حين الوحدة النصية، في الغالب في وجود السياق تقدم الدلالة الكاملة.[2]

ومن أسباب الانتقال أيضا من نحو الجملة إلى نحو النص هو أنّ أوجه الترابط التي أفرزتها التحليلات على مستوى الجملة فقط لم تعد كافية لتغطية مستوى النصّ فعلى سبيل المثال الجملة الموجزة، والجمل المفسرة لها هذه لا تعتمد على الروابط الشكلية في الجملة مثل 'هو' و'هي' في العربية، ولكن تعتمد على الدلالة كذلك التي تتولد من ربط الجملتين معا.[3]

كما أنّ الكثير من الدراسات اللغوية الدائرة في فلك نحو الجملة أهملت الجانب الدلالي، ولم تعتن به عناية كافية كما هي الحال في المدرسة البلومفيلدية أول أمرها مما حدّ بعلماء لغة النصّ إلى تلافي هذا القصور في دراستهم للنصّ.

ويتضح ذلك من خلال تعليل **'فان دايك'** حين يقول: "في كل الأنحاء السابقة على نحو النصّ وصف للأبنية اللغوية ولكنه لم يعن بالجوانب الدلالية عناية كافية

1- صبحي إبراهيم الفقي: علم لغة النصّ بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000 م، ج1، ص 49.

2- المرجع نفسه، ص 49.

3- المرجع نفسه، ص 52.

ممّا جعل علماء النصّ يرون أن البحث الشكلي للأبنية اللغوية ما يزال مقتصرا على وصف الجملة بينما يتضح من يوم إلى آخر جوانب كثيرة لهذه الأبنية وبخاصة الجوانب الدلاليـــة لا يمكن أن توصف في إطار أوسع لنحو الخطاب أو نحو النصّ".[1]

كما أهمل نحو الجملة السياق الاجتماعي، وهو سياق على قدر كبير من الأهمية في الدراسة اللغوية، وقد أكد هذه الأهمية الاتجاه الوظيفي الذي رأى أنّ اللغة عبـارة عن وسيلة اتصال يستخدمها أفراد المجتمع للتوصل إلى أهداف وغايات، كما أكّدت مدرسة لندن – التي عرفت بما يسمى بالمنهج السياقي أو المنهج العلمي– على أهمية السياق إذ أكد زعيمها – زعيم مدرسة لندن– فيرث تأكيدا كبيرا على الوظيفة الاجتماعية للغة مما حدا بعلماء لغة النصّ إلى الاهتمام بهذا السياق وما يتصل به من أمور تتعلق بمنتج النصّ ومستقبله والمحيط الثقافي والمقاصد والغايات ومن ثم يجيء تعامل علماء لغة النصّ مع النصّ بوصفه حدثا اتصاليا واعتبار محور اللسانيات النصية، هو كيف تؤدي النصوص وظيفة التفاعل الإنساني؟[2]

نجد الدكتور **'سعد مصلوح'** في هذا السياق يوضح سبب التمرد على نحو الجملة والاتجاه إلى نحو النصّ فيقول بأّن: "هذا التمرد كان أمرا متوقعا واتجاها أكثر اتساقـا مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث، إن دراسة النصوص هي دراسة للمادة الطبيعية التي توصلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللغة، لأنّ الناس لا تنطق حين تنطق ولا تكتب حين تكتب جملا أو تتابعا من الجمل، ولكنّها تعبر في الموقف اللغوي الحـــي من خلال حوار معقد متعدد الأطراف مع الآخرين، ويكثر في هذه الحال تصادم الاستراتجيات والمصالح وتعقد المقامات".[3]

1- جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية ولسانيات النصّ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1998 م، ص 66.

2- المرجع نفسه، ص 66-67.

3- المرجع نفسه، ص 67.

ويكشف **'دي بوجراند'** و**'دريسلر'** عن مهمة لا يستطيع نحو الجملة تأديتها وهي التمييز بين أنماط النصوص إذ منها ما هو اختياري، وما هو علمي، وما هو قصيدة وغير ذلك، مما يبدو معقولا أنها تتطلب علم النصوص الذي يجب أن يكون قادرا على وصف أو شرح كل الخصائص والعلامات الفارقة بين هذه النصوص أو أنماط النصّ.[1]

كما أنّ نحو النصّ يُمَكِنُ من تشخيص علاقات لم ينظر إليها في نحو الجملة وهي علاقات فيما وراء الجملة: بين الجمل والفقرات والنصّ بتمامه، وذلك على المستوى المعجمي، والمستوى النحوي(الصوت و الصرف والتركيب) والمستوى الدلالي.[2]

فانطلاقا من هذه الأسباب وغيرها بات الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النصّ أمرا ملحا وضروريا، وتعود الإرهاصات الأولى لنحو النصّ كما يشير أكثر من باحث إلى أطروحة الدكتوراه التي قدمتها الباحثة الأمريكية **'Nye'** سنة 1912م والتي بحثت فيها عن علامات الاكتمال وهي حجة نمطية في علم لغة النص والتكرار بناء على أسس نصية وبوصفها إشارات وأشكال محددة للعلاقات.[3]

بيدّ أن المحاولة الأولى للاقتراب من وصف ظواهر النصّ، وجعل هذا الأخير المجال الحقيقي للدراسة اللغوية كانت على يد **'زليغ هاريس'** وذلك من خلال بحثه الذي نشره سنة 1952م تحت عنوان **'تحليل الخطاب'**، إذ اعتمد **'هاريس'** فيه على إجراءات اللسانيات الوصفية بهدف اكتشاف بنية النص، ولكي يتحقق هذا

1- جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية ولسانيات النصّ، المرجع السابق، ص 68.

2- المرجع نفسه، ص 68.

3- سعيد حسين بحيري: علم لغة النصي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1997 م، ص 18.

الهدف رأى **'هاريس'** أنّه لابد من تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية (الوصفية و السلوكية) وهما:[1]

1- الأولى: قصر الدراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة.

2. الثانية: الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي مما يحول دون الفهم الصحيح فجملة مثل: كيف حالك؟ قد تعطي في سياقها الاجتماعي معنى التحية، أكثر من السؤال عن الصحة، ومن ثم اعتمد منهجه في تحليل الخطاب على ركيزتين هما:

- العلاقات التوزيعية بين الجمـــــــــل.
- الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي.

ولعلّ أيضا من أبرز الإسهامات الأساسية في الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النصّ فرضيات **'هارتمان'**، إذ اعتبر النصوص هي الرموز اللغوية الأصلية وبالتالي هي مدار الحق للاتصال اللغوي، فإنّه إذا تم نطق كلام أصلا، فسيكون فقط على شكل نصوص...فاللغة ذات القدرة النصية والقيمة النصية هي وحدها وسيلة الاتصال بين البشر.[2]

فـ**'هارتمان'** في هذا السياق يطالب بإتباع أساس منهجي تطوري من حيث المبدأ هو استنباط الجمل وكل الوحدات اللغوية الأخرى من النصّ.

كما شدّد **'هارتمان'** أيضا على علاقة المرسل- المتلقي، وفهم السياق على أنّه سياق الورود، ووضَعَ أول إسهام للتفريق بين أنواع النص، وفرق على وجه الخصوص بين الظواهر المشتركة بين اللغات في تكوين النصّ وظواهر الصياغات

1- جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية ولسانيات النص، المرجع السابق، ص 65-66.

2- فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، مرجع سابق، ص 22.

الخاصة باللغة المفردة[1]. فـ**'هارتمان'** بفرضيته هذه حول علم النص قد فتح نافذة جديدة للغويات عامة.

أما **'إيزنبرج'** 1968م، فيعدّ أول من حاول أن يطور نحوا شاملا للنصّ، وعلى إثر هذه المحاولة اتسعت القواعد التوليدية المستخدمة في النحو التوليدي لإنشاء الجمل لتشمل "قاعدة النصّ" التي يمكن بها أن توسع الجمل المفردة في النصّ.[2]

ومن الذين أسهمـوا أيضا في الانتقـال من نحـو الجمـلة إلى نحو النصّ **'هارفــج'**

إذ حاول وصف التنظيم الداخلي للنصّ من خلال حديثه عن بعض العلاقات مثل علاقة الإحالة، والاستبدال والتكرار والترادف والعطف والترتيب.[3]

كما نشر **'فان دايك'** كتابا بعنوان **'بعض مظاهر نحو النصّ'** سنة 1972م اعترض فيه على النحو التقليدي، ودعا إلى إتباع طرق جديدة في تحليل النصّ والتعامـل مع النصّ على أنّه بنية كبرى، ومحاولة تحديد القواعد التي تحكم بنية المعنى الكلي للنصّ.

أما في سنة 1976م فقد ظهر كتاب مشترك لـ**'هاليداي'** و**'رقية حسن'** شكّل أول دراسة نصية متكاملة بعنوان **'الاتساق في الانجليزية'** عالج فيه مؤلفاه مفاهيم مثل النصّ والنصية، والاتساق، وبحثا مظاهر الاتساق مثل: الإحالة والاستبدال والحذف والوصل والاتساق المعجمي.[4]

1- فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، المرجع السابق، ص 22.

2- المرجع نفسه، ص 23.

3- المرجع نفسه، ص 27-28.

4- محمد خطابي: لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2006 م، ص 11.

وبعد ذلك بعام، أعاد **'فان دايك'** صياغة ما تجمع له من أراء العلماء المتفرقة ونشر كتابا بعنوان: **'السياق والنص'** ركّز فيه على الظواهر الدلالية والتداولية بحث فيه مفاهيم الترابط والاتساق وموضوع الخطاب والانسجام والبنية الكلية...[1]

وبناء على هذا عدّ الكثير من الباحثين **'فان دايك'** المؤسس الفعلي لعلم اللغة النصي الذي انبثق منه نحو النصّ.

ثم جاء كتاب **'النصّ والخطاب والإجراء'** لـ**'روبرت دي بوجراند'** سنة 1980م ليمثل مرحلة متقدمة، ويوضح القضايا الأساسية التي عولجت بشكل أعمق وأشمل.

ويمكن لنا أن نرصد الفوارق الجوهرية التي أقامها **'دي بوجرانـد'** بين الجملة والنـــصّ فيما يلي:[2]

1- النصّ نظام فعّال، في حين أنّ الجمل عناصر من نظام افتراضي، ويوضح المقصود بالنظام الفعّال، هو أنّ النصّ تجمع من الوظائف يوجد عن طريق عمليات قوامها الحكم والانتقاء اللذان يكونان بين عناصر النظام الافتراضي، لهذا يمكن لإنشاء النصّ أن يوصف بأنه تفعيل، وهذه السمة هي المعيار الجوهري للتعرف على النصّ بهذا الوصف، ويتبع ذلك أن النصّ ليس مجرد منزلة مختلفة عن منزلة الجملة، فقد يكون النصّ أكثر من كلمة واحدة وقد يتألف من عناصر ليس لها ما للجملة من الشروط: مثل علامات الطريق، والإعلانات، والبرقيّات ...وغيرها.

2- إنّ الجملة كيان قواعدي خالص يتحدد على مستوى النحو فحسب، أما النصّ فحقه أن يعرف تبعا لمعايير النصّية: كالاتساق، والانسجام والقصد ورعـايـة الموقـــف والتناص والإعلامية.

1- محمد خطابي: لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، المرجع السابق، ص 27.

2- روبرت دي بو جراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسّان، عالم الكتب القاهرة، ط2، 2007 م، ص 89-97.

3- إنّ القيود المفروضة على البنية التجريدية للجملة في النصّ يمكن أن يتمّ التغلب عليها بالاعتماد على سياق الموقف، فالعناصر التي يمكن فهمها من الموقف مثلا عن طريق الإدراك الحّسي يمكن السكوت عنها أو اقتضابها بواسطة المتكلم من دون الضرر بالطاقة الاتصاليّة للنصّ، وبذا لا يكون الصواب النحوي قانونا، بل يعدّ معيارا نلجأ إليه عند عدم وجود قرائن محدّدة أو هو تفضيل أي معيار يفضل على غيره حينما تتعدد الاحتمالات.[1]

4- التمييز بين ما يطابق القواعد وما لا يطابقها تمييز تقابلي ثنائي عندما يكون ثمة قواعد دقيقة، وكاملة لضبط الجمل، فالحكم بأنّ تركيبا ما يعد جملة يتم بمقارنة هذا التركيب بالأنماط التي تسمح بها القواعد النحوية، أما التمييز بين ما يعدّ نصا وما لا يعدّ نصا فلا يتم بمثل هذه المقارنة الآلية فكون النصّ مقبولا أو غير مقبول يعتمد على دوافع الموقف والإسهام في عملية الاتصال.[2]

5- ينبغي للنصّ أن يتصل بموقف تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف تسمى أسباب الموقف، أما الجمل فلا يمكن أبدا أن ترد وفق هذا المعطى.[3]

6- لا يمكن النظر إلى النصّ على أنّه مجرد صورة مكونة من الوحدات الصرفية أو الرموز اللغوية، إذ أنّ النصّ تجلّ لعمل إنساني ينوي به شخص ما أن ينتج نصّا ويوجه السامعين به إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة، لذا يبدو هذا التوجيه مسبّبا لأعمال إجرائية، فالنصوص تراقب المواقف وتوجهها وتغيّرها وليس للجملة هذا

1- روبرت دي بو جراند: النص والخطاب والإجراء، المرجع السابق، ص90.

2- المرجع نفسه، ص90.

3 - المرجع نفسه، ص91.

العمل لذا فهي ذات أثر محدود في المواقف الإنسانية، لأنها تستعمل لتعريف الناس كيفيّة بناء العلاقات النحوية فحسب.[1]

7- النصّ توالي من الحالات؛ كالحالة المعلوميّة والحالة الانفعاليّة، والحالة الاجتماعية، وهذه الحالات عند مستعملي النصّ عرضة للتغيّر بواسطة النصّ، وأنّ إنتاج النصّ وفهمه يأتي في صورة توال من الوقائع. ففي كل نقطة من نقاط هذا التوالي تطبّق الضوابط السائدة، فضوابط بدايات النصوص تختلف عن ضوابط استمرارها ونهاياتها، وفي المقابل يجري النظر إلى الجمل على أنّها عناصر من نظام ثابت متزامن أي نظام يرى في حالة واحدة مثاليّة مفارقة للتطور.[2]

8- إنّ الأعراف الاجتماعية تنطبق على النصوص أكثر ما تنطبق على الجمل فالوعي الاجتماعي ينطبق على الوقائع لا على أنظمة القواعد النحوية، إذ إنّ السمة الاجتماعية لتراكيب بعينها لا تؤثر إلا في قسط ضئيل من مجموع القواعد.[3]

9- العوامل النفسية أوثق علاقة بالنصوص منها بالجمل؛ فالجملة من حيث الصياغة الذهنية شكل استكشافي بجانب أمور أخرى تعين على الغايات الواسعة للاتصال، كالتعبير وتذكر المعلومات، أو السعي إلى غاية ما. أما حدود الجملة فيتم تحديدها فيما بعد أثناء إتباع النصّ، ثم يستغني عنها في المراحل الأولى للفهم.[4]

1- روبرت دي بو جراند: النص والخطاب والإجراء، المرجع السابق، ص92.

2 - المرجع نفسه، ص92.

3 - المرجع نفسه، ص92- 93.

4 - المرجع نفسه، ص93.

10- إنّ النصوص تشير إلى نصوص أخرى بطريقة تختلف عن اقتضاء الجمل لغيرها من الجمل الأخرى، إذ يعتمد متعلموا اللغة في استعمال الجمل على معرفة القواعد من حيث هي نظام افتراضي عام.[1]

بهذه الفوارق حاول **'دي بوجراند'** أن يوضح أنّ النص أقدر وأولى بالدراسة من الجملة لأنّ الجملة غير قادرة على أن تُكون حدثا تواصليا مكتفيا بذاته، إذ أنّ الجملة تستدعي جملا أخرى وبذا تكون النصّ. ولابدّ من التلميح هنا إلى أنّ **'دي بوجراند'** في إشارته إلى الجملة، إنما قصد الجمل التي تستعمل كشواهد نحوية، أو تلك التي لا تحمل معنى تاما – المجتزأة من النصّ- إذ إنّ الجمل تامة المعنى تعدّ أحيانا نصوصا باعتبار معايير النصية لمالها من دلالة تغني السامع/القارئ عن البحث في ما وراءها لإتمام فهم المعلومة الواردة فيها، كما أنّ الاهتمام بالنص لا يلغي وجود الجملة، إذ هي الأساس والمرتكز الذي يقوم عليه النصّ.

ومن أهم الدراسات أيضا التي عدّها الدارسون نقلة نوعية في نحو النصّ وتحليل الخطاب كتاب **'تحليل الخطاب'** لمؤلفيه **'يول'** و**'براون'** الصادر سنة 1983م، إذ يتمثل الفرق بين دراستهما وسائر المقاربات التي تناولت النصّ أو الخطاب في أنّهما عدا الخطاب مادة وموضوعا وغاية، كما اختزلا وظائف اللغة في وظيفتين هما نقل المعلومات والتفاعلية، كما ركزا اهتمامهما على المتلقي للنصّ أكثر من منشئه وجعلا تأويل المتلقي للنصّ من أهم عوامل انسجامه[2].

ونجد **'دي بو جراند'** في كتابه الموسوم بـ**'النصّ والإجراء والخطاب'** قد لخص هذه المحاولات التي أرادت تجاوز حدود الجملة والانتقال إلى النصّ أو الخطاب في ثلاث مراحل عامة هي:

---

1 - روبرت دي بو جراند: النص والخطاب والإجراء، المرجع السابق، ص93- 94.

2- محمد خطابي: لسانيات النصّ، مرجع سابق، ص 47-49.

تبدأ المرحلة الأولى مع ثلاثينيات القرن الماضي و تستمر حتى أواخر الستينيات منه إذ رأى بأنّ هذه المرحلة هي عبـــارة عن إشارات تلمح إلى أنّه ينبغي للنص أو الخطاب أن يكون أساسا للدراسات اللسانية مثلا (**إنجاردن** 1931م، و**بوهلر** 1934م و**هيلمسلف** 1943م، و**هاريس** 1952م...) ولكن هذه الآراء لم تؤثر في مسيرة اللسانيات المألوفة لأنّ أصحاب المناهج المتداولة اتجهوا اتجاها معاكسا لاشك فيه وذلك أن الانهماك في النظر إلى الوحدات الصغرى والجمل المفردة أدى بطبيعة الحال إلى الانصراف من دراسة النصّ الكامل.[1]

أما المرحلة الثانية فبدأت عام 1968م إذ تلاقت أراء طائفة من اللسانيين الذين استقل بعضهم عن بعض في الغالب حول فكرة 'لسانيات ما وراء الجملة' منهم على سبيل المثال: (**هايدولف** 1966م، و **بايك** 1967م، و **كريمز** 1968م...) إذ ركز هؤلاء في دراستهم على أنّ النصّ هو عبارة عن مجموعة من الجمل المتوالية، لذا استعاروا قواعد الجملة في تطبيقاتهم على النصّ، لكنهم تيقنوا فيما بعد أنّ هذا الاتجاه لا يمكّن من رؤية المميزات المهمة في النصّ، بيدّ أنّ العقبة التي بقيت ماثلة هي أنّ وحدة النصّ ظلت غامضة.[2]

أما المرحلة الثالثة التي بدأت في عام 1972م، فقد كانت بمثابة بشير لمرحلة جديدة بديلة لما سبقها في حقل الدراسات اللغوية، أكثر مما كانت مراجعة للنظريات القديمة، وجاءت المؤلفات الجديدة نقدا لأسس الدراسات النحوية المبنية على الجملة فأدت إلى مقترحات بأفكار جديدة، ومن أبرز من كتب هذه المؤلفات (**بيتوفي** 1971م و**كونو** 1972م و**دريسلر** 1972م...)، كما شهدت هذه الحقبة الأخيرة تطورا آخرا في مجالات علوم اللغة المرتبطة بالعلوم الأخرى، فقد أعلنت اللسانيات الاجتماعية

1- روبرت دي بو جراند: النص والخطاب والإجراء، المرجع السابق، ص64-65.

2- المرجع نفسه، ص65-66.

معارضتها للتجريدات القديمة المرتبطة بموقف ما، وأشارت إلى ضرورة التفاعل الاجتماعي داخل الجماعة اللغوية[1].

أما فيما يخص نتائج وفوائد الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النصّ فيمكن رصد بعضها في الأتي:

- "نحو النصّ غيّر نظرة الدرس اللساني إلى اللغة؛ وذلك بسبب الإحساس الطاغي بالوظيفة الاجتماعية للغة، وإلى ضرورة وجود الدور التواصلي الذي يعدّه علماء اللسانيات جوهر العمليات الاجتماعية فهذه الوظيفة الاجتماعية، والدور التواصلي للغة فسح الطريق لاتساع مفهوم النصّ.

- نحو النص أضاف مهام جديدة للنحو لم تكن موجودة من قبل في نحو الجملة ومن بينها كما يشير **'فان دايك':** صياغة قواعد تمكننا من حصر كل النصوص النحوية في لغة ما بوضوح، ومن تزويدنا بوصف للأبنية، فنحو النصّ إعادة شكلية للكفاءة اللغوية الخاصة بمستخدم اللغة في عدد لا نهائي من النصوص.

- نحو النص أفاد الترجمة من لغة إلى لغة أخرى؛ حيث يرى **'روبرت دي بوجراند'** أنّه يمكن للسانيات النصّ أن تقدم إسهاما لدراسة الترجمة بعكس اللسانيات التقليدية التي تعنى بالنظم الافتراضية، لأنّ الترجمة من أمور الأداء وليس امتلاك النحو والمعجم فقط كافيا للقيام بها، بسبب الحاجة إلى الترابط في استعمالات اللغة، وذلك من المهام الأساسية لنحو النصّ، لذا يمكن أن يفيد كثيرا في هذا المجال في النقل من اللغات الأجنبية إلى العربية أو العكس"[2].

1- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، المرجع السابق، ص 67.

2 - أنظر أحمد عفيفي: نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م، ص49.

ومن خلال نحو النصّ نستطيع أن نعيد النظر في بعض المفاهيم اللغوية التقليدية السائدة، وذلك إما لتعميقها أو لتعديلها، ويعطي لنا الدكتور أحمد عفيفي مثالين في هذا السياق:

- "**المثال الأول:** يشير النقاد إلى افتقار قصيدة العصر الجاهلي إلى الوحدة العضوية وذلك لتعدد الأغراض في القصيدة الواحدة، ولكن يمكن من خلال نحو النصّ إعادة دراسة القصيدة الجاهلية من خلال وسائل التماسك، وذلك لإيجاد هذا الترابط المفهومي الملحوظ أو حتى بعض وسائل الربط الرصفي الذي ينتج عنه القول بوجود وحدة عضوية كاملة وقد قدم الدكتور **'سعد مصلوح'** نموذجا لتلك الدراسة حول قصيدة **'المرقش الأصغر' بنت عجلان**، وقد استطاع أن يلمس مدى إحكام النسيج في التشكيل اللغوي للنص، وصلة ما بين ظاهر النصّ وعالم النصّ، واستطاع أن يكشف بواسطة السبك والحبك عن ثراء النصّ والقدرة الكافية والفعّالة فيما هو نتاج إبداعي.

- **المثال الثاني:** يتمثل في النظر إلى مفهوم التضمين بوصفه عيبا من عيوب القافية فقد عابه العروضيون مع أنّه ارتباط دلالي مباح، وهو تعالق نحوي بين بيتين فالبيت الأول يحتاج البيت الثاني في قول الشاعر:

كَأَنَّ القَلْبَ لَيْلَةَ قِيْلَ يـُـغْدَى بلَيْلَى العَامِرِيَّةِ أو يـُـــــــــــرَاحُ.

قَطَاةٌ غرَّها شَرَكٌ فبَاتَـــــتْ تُجاذِبُهُ وقَدْ عَلَقَ الجَنـــــَـــــاحُ."[1]

1 – أنظر أحمد عفيفي: نحو النصّ، المرجع السابق، ص50–52.

عدّ العروضيون والبلاغيون القدامى ذلك قبحا، وأنّ مثل هذا الارتباط من العيوب التي يجب على الشاعر تفاديها، أما إذا أعملنا نظر نحو النصّ في هذا الأمر نجد ترابطا واضحا وتماسكا دلاليا قائما بين البيتين، يقول الدكتور **'صلاح فضل':** "ومن الواضح أنّ الصورة الشيّقة في هذه الأبيات الغزلية العذبة لم تشفع عند البلاغي المعياري الصارم الذي يرى في البيت وحدة نحوية لا ينبغي أن تظل مفتوحة بأي شكل على البيت المجاور لها"[1].

من هنا تدخل الرؤية الواضحة لنحو النصّ لتحسم الموقف مؤكدة أنّ هذا الترابط ليس عيبا بما فيه من انسجام وتلاحم رصفي ومفهومي، وهكذا نستطيع أن نغير رؤيتنا حول بعض المفاهيم من خلال نحو النصّ.

-فسّر نحو النص الكثير من الظواهر التركيبية لم يستطع نحو الجملة تفسيرها كما أنّه اهتم في تحليلاته بضم عناصر جديدة لم تكن موجودة في نحو الجملة كعلاقات التماسك النحوي النصي وأبنية التطابق والتقابل والتراكيب المحورية والتراكيب المجتزأة وحالات الحذف والجمل المفسرة التحويل إلى الضمير والتنويعات التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية، وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا كاملا دقيقا إلا من خلال وحدة النص الكلية[2].

1- أنظر أحمد عفيفي: نحو النص، المرجع السابق، ص51- 52.

2- المرجع نفسه، ص46- 47.

2. مفهوم النص:

استعصى مصطلح النص على التعريف قديما وحديثا، إذ كثيرا ما تكاثفت الأسئلة في ماهيته وأقسامه، وأغراضه وتمايزه عن أشكال تواصلية أخرى، ومن بين الأسئلة الملحة؛ أي نص نعني؟ أهو النص الديني أو الفلسفي أو العلمي أو الأدبي أو اللساني؟ أهو النص المكتوب أو المنطوق أهو التراثي؟ أم الحداثي؟ الشعري أم النثري؟ وبازدحام هذه المعاني وتشابكها كان من الضروري أن ننطلق من عمق التراث للبحث عن حدود هذا النسق اللغوي، وبخاصة وأنّ هذا المصطلح سجل حضورا مركزيا في الذخيرة العربية اللغوية والمعرفية أيضا، فقد عبر عن مرجعية القوانين المتحكم إليها في الحياة العربية الإسلامية، ويبدو أنّ العرب الأوائل ميزوا بين مستويين في النص هما: مستوى النظام ومستوى التوظيف[1].

ولما كانت الرسالة الدينية نصية في شكلها فإنّها أسست لكيفية استثمار المقولات الدينية في الحياة الإنسانية، ثم وجهت بطرق غير مباشرة الفكر العربي للنظر في الكون والوجود بكل أبعاده النفسية، والاجتماعية والحضارية والأدبية واللغوية ولعل التوصيف الموضوعي لأنواع الخطاب العربي القديم هو الذي وجه الأنظار إلى تأسيس المعرفة اللغوية الصوتية والنحوية والبلاغية والمعجمية والتاريخية، والإبداع بشتى أشكاله وقد تمّ هذا التوصيف في دائرة اللفظ والمعنى، وربما هذا هو الذي يجعلنا نقر مطمئنين أنّ الحضارة العربية نصية في مبدئها[2].

في البداية لابد أن نعرج على مفهوم النصّ لغة وذلك من خلال استقراء مادة (ن ص ص) في المعاجم العربية قديمها وحديثها.

1- نعمان بوقرة: نحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية، مجلة علامات، عدد61، مج 16، جمادى الأولى 1428 هـ، ماي 2007 م، ص 9.

2- المرجع نفسه، ص 10.

1. النص لغة:

تعددت المعاني اللغوية لمادة (ن ص ص) في المعاجم العربية:

فجاء في **'لسان العرب'** لـ**'ابن منظور'**: "النص: رَفْعُكَ الشَّيْء، نَصَّ الحَدِيثَ يَنُصُّهُ نَصًّا: رَفَعَهُ. وكُلُّ ما أُظْهِرَ، فَقَدْ نُصَّ. وقالَ عَمْرُو بْنُ دِينَار: ما رَأَيْتُ رَجُلاً أَنَصّ لِلحَدِيثِ مِنَ الزُّهْرِيُّ، أَيْ أَرْفَعَ لَهُ وَأَسْنَدَ. يُقَالُ: نَصَّ الحَدِيثَ إلى فُلاَن أَيْ رَفَعَهُ، وكَذَلِكَ نَصَصْتُهُ إِلَيْهِ. ونَصَّتِ الظَّبْيَةُ جِيدَها: رَفَعَتْهُ.

ووُضِعَ عَلَى المِنَصَّةِ أَيْ عَلَى غَايَةِ الفَضِيحةِ والشُّهْرَةِ وَالظُّهُورِ. ونصَّ الْمتاعَ نصًّا: جَعَلَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ"[1].

وجاء في **'كتاب العين'** لـ**'الخليل بن أحمد الفراهيدي'**: "نصصت الحديث إلى فلان نصا؛ أي رفعته، قال:

ونَصَّ الحديثَ إلى أهلـــــــه فإنّ الوَثيقَة فينَصِّـــــــــــــــهِ

والنَّصْنَصَةُ: إثباتُ البعير رُكْبَتَيْهِ في الأرض وتَحَرّكُه إذا هَمَّ بالنّهُوضِ. ونَصَصْتُ الرجلَ: استَقْصَيْتُ مَسْأَلَتَه عن الشيءِ، يقال: نصّ ما عنده أي استقصاه، ونص كل شيءٍ: مُنتَهاه"[2].

1- ابن منظور: لسان العرب، مادة (ن ص ص)، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د.ط) (د.ت)، المجلد الثاني، ص 4441.

2 - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424هـ 2002 م، ج4، ص 228.

ومنسوب لـ **'علي'**– كرم الله وجهه– إذا بلغ النساء نصّ الحقاق فالعصبة أولى أي إذا بلغت غاية الصغر إلى أن تدخل في الكبر فالعصبة أولى بها من الأم، يريد بذلك الإدراك والغاية"[1].

وجاء في **'مختار الصحاح'** في مادة (ن ص ص) مايلي: "نص الشيء رفعه وبابه ردّ ومنه منصة العروس ونص الحديث إلى فلان رفعه إليه ونصّ كل شيء منتهاه"[2].

ما نلحظه على هذه المعاني – معاني مادة (ن ص ص)– في المعاجم القديمة أنّه ليس هناك اختلاف يذكر في معنى 'نصّ'، فما نجده عند **'ابن منظور'** نجده عند **'الخليل بن أحمد'**، ونجده كذلك عند **'محمد بن أبي بكر الرازي'**، بالإضافة إلى أنّ المعاني اللغوية لمادة (ن ص ص) في هذه المعاجم متعددة ومتنوعة وتدل إما على:

- الرفع بنوعيه الحسي والمعنوي.
- أقصى الشيء وغايته.
- ضم الشيء إلى الشيء.
- الإظهار.

عندما ندقق في هذه الدلالات ألا يمكننا أن نلاحظ أنّ الرفع والإظهار يعنيان أنّ المتحدث والكاتب لابد له من رفع نصه وإظهاره لكي يدركه المتلقي/السامع، وكذلك كون النص أقصى الشيء وغايته، أليس هو تجسيد لفكرة مفادها أنّ النصّ أكبر وحدة لغوية يمكن الوصول إليها، كما أنّ ضم الشيء إلى الشيء أليس هو في حقيقة الأمر ضم الجملة إلى جملة أخرى أو بالأحرى ضم الجملة إلى جمل أخرى بالعديد من الروابط

1 – أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، المرجع السابق، 228.

2– محمد ابن بكر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (د.ط)، 1999 م، ص 276.

كل هذه المعاني وغيرها تدل على مدى نضج الفكر العربي وتبلوره وثرائه، بيّد أنّه دائما بحاجة إلى من يزيح اللثام والغبار عليه.

أما المعنى المتداول والشائع بين متكلمي اللغة العربية المعاصرة، فهو صيغة الكلام الأصلية التي وردت في المعاجم الحديثة مثل المعجم الوسيط والمعجم الوجيز، إذ جاء في الأول النص بمعنى: "صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف، أو ما لا يحتمل إلا معنى واحد أولا يحتمل التأويل ومنه قولهم: لا اجتهاد مع النص"[1].

وتمّ تعريفه –أي النص– في المعجم الوجيز على أنّه: "النص جمع نصوص مالا يحتمل إلا معنى واحدا أولا يحتمل التأويل ومنه قولهم لا اجتهاد مع النص (عند الأصوليين): ما نصّ عليه في الكتاب والسنة"[2].

إطلاق النصّ على صيغة الكلام الأصلية معنى مستحدث للنص اعتمده مجمع اللغة العربية لأنّ القدماء لم يصرحوا بهذا المعنى.

ما نستنتجه في الأخير أنّ جذر مادة (ن ص ص) قديم في اللغة العربية، وليس من الألفاظ الدخيلة أو المولدة، وأنّ معاني 'النصّ' اللغوية لا تنأى عن الرفع والإظهار بالمعنى الحسّي، والرفع والإسناد بالمعنى المجرّد، ولكن لا موقع للنص بمفهومه المعاصر في المعاجم العربية القديمة، كما أنّ المعاجم العربية الحديثة لم تتناوله من حيث هو مفهوم أدبي و نظرية نقدية.

1– مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، القاهرة، ط4، 2004م، ص 926.

2– مجمع اللغة العربية: معجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، مصر، (د.ط)، 1994م، ص 619.

2. النص اصطلاحا:

قبل أن نتوغل في تعريف النصّ اصطلاحا لابد من توضيح فكرة مفادها أنّ تعريف النصّ يعدّ مبحثا صعبا في التراث العربي، نظرا لاتساع هذا الأخير وتنوعه، إذ تحتاج عملية البحث فيه إلى الكثير من الوقت والجهد والحنكة المنهجية والعدّة الإجرائية، وذلك لتعدد المنطلقات الفكرية والمعرفية والمداخل الخاصة بدراسته ودراسة النصّ فيه، ولهذا فإنّ تتبع هذا المفهوم– مفهوم النصّ– في التراث العربي ليس بالأمر اليسير الهين وعليه اخترنا بعض النماذج من علمائنا الأجلاء لنذّكر ببعض من أفكارهم المتعلقة بمفهوم النصّ.

والأصل في التفكير بالنصّ عند المنظرين العرب والمفسرين والمؤولين يعود في حقيقة الأمر إلى ضرورة فهم النصّ القرآني فهما صحيحا، والإحاطة بأسرار معانيه لتفادي تفسيره تفسيرا خاطئا[1].

1.2. النص في الثقافة العربية:

لعلّ من أشهر المؤسسين لمعنى النصّ اصطلاحا في الوعي البياني الأصولي **'الإمام الشافعي'**– رحمه الله– الذي عرف النصّ على أنّه الذي لا يقبل أي تأويل وهذا من خلال سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ يقول: "وسنن رسول الله مع كتاب الله وجهان: أحدهما نصّ كتاب، فاتبعه رسول الله كما أنزل الله، والآخر جملة بيّن رسول الله فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة، وأوضح كيف فرضها: عاما أو خاصا، وكيف أراد أن يأتي به العباد، وكلاهما اتبع فيه كتاب الله"[2].

1– نهلة فيصل الأحمد: التفاعل النصي التناصية، النظرية والمنهج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2000 م، ص 23.

2– حسين خمري: نظرية النصّ، من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص 139.

يتضح من هذا القول أنّ مفهوم النصّ عند **'الشافعي'**– رحمه الله– هو الذي لا يقبل التأويل بل إنّ معناه في ظاهره.

أما **'الإمام الغزالي'**– رحمه الله– فيعرف النصّ في كتابه **'المستصفى'** بقوله: "النصّ اسم مشترك يطلق في تعاريف العلماء على ثلاثة أوجه:[1]

الأول: ما أطلقه الشافعي –رحمه الله– فإنه سمّى الظاهر نصا وهو منطبق على اللغة ولا مانع منه في الشرع. والنصّ في اللغة بمعنى الظهور. تقول العرب نصّت الظبية رأسها إذا رفعته وأظهرته، وسّمي الكرسي منصة إذ تظهر عليه العروس...

الثاني: وهو الأشهر، ما لا يتطرق إليه احتمال لا عن قرب ولا عن بعد كالخمسة مثلا فإنّه نصّ في معناه لا يحتمل الستة ولا الأربعة...فكل ما كانت دلالته على معناه في هذه الدرجة سمّي بالإضافة إلى معناه نصا.

الثالث: التعبير بالنص عمّا لا يتطرق إليه احتمال مقبول يعضده دليل.

يرى الدكتور **'محمد أديب صالح'** أنّ حجة الإسلام **'الإمام الغزالي'**– رحمه الله– قد جاءنا بمسلك ثالث في تعريف النّص، فوجدناه يعرف النّص بأنّه "ما لا يتطرق إليه احتمال يعضده دليل"[2].

كما نجد الشيخ **'المولوي محمد آعلي بن علي التهانوي'**– رحمه الله– قد أثبت معاني النصّ كما جاءت عند **'الغزالي'**– رحمه الله– بقوله: "النصّ كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنّة سواء كان ظاهرا أو نصاّ أو مفسرا حقيقة أو مجازا عاما أو خاصا اعتبارا منهم للغالب لأنّ عامة ما ورد من صاحب الشرع نصوص"[3].

1– حسين خمري: نظرية النصّ، من بنية المعنى إلى سيميائية الدال المرجع السابق، ص 139.

2– المرجع نفسه، ص 140.

3– المرجع نفسه، ص 140.

النصّ في التراث الفقهي والأصولي اكتسب دلالتين اثنتين إحداهما عامة اكتسبها من سياق التداول العام للفظ النصّ في أوساط الأصوليين، والأخرى خاصة وهي التي منحت للدال نصّ في سياق الاستخدام الاصطلاحي له، ومحاولة وضع القواعد المحددة لدلالته.

كما نجد أنّ مفهوم النصّ بدلالته المتعارف عليها اليوم في اللسانيات لم يغب عن ذهن البلاغيين لاسيما عند **'عبد القاهر الجرجاني'**- رحمه الله- فالنصّ عنده ما ارتبطت أجزاءه بعضها مع بعضها الأخر وأمثل صورة عنده لهذا النصّ هو (النصّ القرآني) الذي يقول فيه: "أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعه ومجاري ألفاظها ومواقعها وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام وتذكير وترغيب وترهيب ومع كل حجة وبرهان وصفة وتبيان برهانهم أنهم تأملوه سورة سورة وعشرا عشرا وآية آية فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أنّ غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور ونظاما والتئاما واتقانا وإحكاما"[1].

وقد اتضح مفهوم النص أكثر عند **'حازم القرطاجني'**- رحمه الله- ؛ وذلك نتيجة تبنيه لنظرة شمولية للنصّ ميزته عن غيره من أهل النظر في علوم البيان والبديع فهو أول من قسم القصيدة العربية إلى فصول بالرغم من أنّ لها أحكام في البناء، كما أنه هو أول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة وأخرها فيقول: "الأبيات بالنسبة إلى الشعر المنظوم نظائر الحروف المقطعة من الكلام المؤلف، والفصول المؤلفة من الأبيات نظائر الكلم المؤلفة من الحروف، والقصائد المؤتلفة من الفصول نظائر العبارات المؤلفة

1- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمد محمود شاكر، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت)، ص 39.

من الألفاظ فـ...يحسن نظم القصيدة من الفصول الحسان كما يحسن ائتلاف الكلام من الألفاظ الحسان إذا كان تأليفها منها على ما يجب"[1].

أما مفهوم النصّ عند صاحب كتاب **"الصناعتين" "أبو هلال العسكري"**– رحمه الله– فقد اتخذ صورة الكلام المنظوم الذي حسن نظمه وجاد رصفه وسبكه فيقول"أجناس الكلام المنظوم ثلاثة: الرسائل، والخطب، والشعر، وجميعها تحتاج إلى حسن التأليف وجودة التركيب، وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا، ومع سوء التأليف ورداءة الرّصف والتركيب شعبة من التعمية، فإذا كان المعنى سببّا، ورصف الكلام جيدا كان أحسن موقعا، وأطيب مستمعا، فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائعا في المرأى وإن لم يكن مرتفعا جليلا، وإن اختلّ نظمه فضمّت الحبة منه إلى مالا يليق بها اقتحمته العين وإن كان فائقا ثمينا"[2].

إنّ هذه التعريفات والمفاهيم المتعددة والمتنوعة لمصطلح نصّ من قبل علمائنا الأجلاء باختلاف توجهاتهم الفكرية والمعرفية هي في حقيقة الأمر تعكس مدى وعي علمائنا المبكر وإدراكهم لقضية النصّ هذه الأخيرة التي لم تسترع اهتمام الباحثين الغربيين إلا في وقت متأخر.

أما فيما يخص مفاهيم النصّ عند الباحثين والمفكرين العرب المحدثين فقد تعددت وتنوعت هي الأخرى بحسب منطلقاتهم الابستمولوجية والفكرية، ولعلّ من أبرز هذه المفاهيم مايلي:

1– أبو الحسن القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان (د.ط)، (د.ت)، ص 287.

2– أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري: كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية ط1، 1371هـ –1952 م، ص 161.

يعرّف الدكتور **'أحمد عفيفي'** النصّ فيقول: "ينبغي أن يكون المفهوم الأساسي لأي نصّ أنّه وسيلة لنقل الأفكار والمفاهيم إلى الآخرين، فهو ينقل شيئا ما إلى المخاطب، وهو ليس هدفا في حدّ ذاته، إنّما هو طريق للخطاب"[1]، والدكتور **'العفيفي'** في تعريفه هذا متأثر إلى حد بعيد بتعريف **'جيفري ليتش'** و**'مايكل شورت'** اللذان يعرفان النصّ على أنّه عبارة عن"التوصيل اللغوي- سواء كان منطوقا أو مكتوبا- باعتباره رسالة فحسب تتخذ صورة شفرات محددة في صورتها المسموعة أو المرئية"[2].

أما الدكتور **'سعد مصلوح'** فيعرف النصّ على أنّه: "سلسلة من الجمل كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل أو لنماذج الجمل الداخلة في تشكيله"[3].

ما يعاب على هذا التعريف أنّه غيّب البعد الاتصالي للنصّ كما عدّه متوالية من الجمل تفتقد لأواصل الاتساق والانسجام.

كما نجد أيضا من الذين تعاطوا مع مفهوم النصّ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف الذي عرف النصّ على أنّه: "رسالة لغوية تشغل حيز معينا، فيها جدلية محكمة مضفورة من المفردات تؤلف سياقا خاصا بالنصّ نفسه ينبث في المرسلة اللغوية كلها"[4].

فالنصّ حسب الدكتور حماسة عبد اللطيف يجب أن يكون له هدف وبناء محكم وسياق خاص.

1- أحمد عفيفي: نحو النصّ، مرجع سابق، ص 20.

2- المرجع نفسه، ص 20.

3- المرجع نفسه، ص 24.

4- المرجع نفسه، ص 25.

أما الدكتور **'منذر عياشي'** فيعرف النصّ على أنّه: "نسيج من الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة، بحيث تفرض شكلا ثابتا ووحيدا ما استطاعت إلى ذلك سبيلا"[1].

أما الدكتور **'الأزهر الزناد'** فيحد النصّ على أنّه: "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، وهذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح نصّ"[2].

'الزناد' في تعريفه هذا يولي اهتماما كبيرا لعملية الربط، دون الإشارة الصريحة إلى الكتابة أو النطق، وإن كان فيه ميل إلى الملفوظ كما يرى الدكتور **'أحمد عفيفي'**.

أما **'محمد مفتاح'** فيعرف النصّ على أنّه: "متتالية من الجمل بينها علاقة من العلاقات، ومتى انعدمت هذه العلاقة لا يبقى هناك نصّ"[3].

ف**'محمد مفتاح'** في تعريفه هذا يوضح فكرة مفادها أنّ وجود النصّ مرهون بجملة العلاقات التي تقيمها جمله فيما بينها، وانعدام هذه العلاقات يؤدي إلى انعدام النص لا محالة.

2.2. النص في الثقافة الغربية:

تعددت دلالة النصّ في وعي الدارسين الغربيين تبعا لتعدد زوايا النظر إليه، ومجالات تناوله وتحليله، وهذا التعدد في حقيقة الأمر تعبير عن حيرة معرفية ومنهجية في اللسانيات الغربية.

فكل باحث تناول مفهوم النصّ حسب منظوره ووفق الدافع الذي يحركه والنتيجة التي يبتغيها، وقبل تعريف هذا المفهوم وبحث كيفياته وصيغ تشكلاته يتعيّن علينا البحث

1- أحمد عفيفي: نحو النصّ، المرجع السابق، ص 26.

2- الأزهر الزناد: نسيج النصّ، مرجع سابق، ص 12.

3- حسين خمري: نظرية النصّ، مرجع سابق، ص 48.

في تاريخيته، "فالنصّ بما هو صيغة من صيغ اشتغال اللغة، فقد شكّل موضوعا للتحديد المفهومي في فرنسا، خلال سنوات الستينيات، حول مجلة **'تال كال'** مع **'رولان بارث'** و**'جاك دريدا'** و**'فيليب سولرز'** وخاصة **'جوليا كرستيفا'** "[1].

فالنصّ مفهوم معاصر رسمت حدوده **'جوليا كرستيفا'** في مجلة **'تال كال'** وبعدها في كتابها **'سيميوتيكي'**، وهذا في إطار السيميائيات ونظرية اللغة، ووضّحت الإطار المنهجي لهذا المفهوم واتّخذت من النموذج اللساني والسيميائي نموذجا للنصّ[2]. قبل أن نتطرق إلى المفهوم الاصطلاحي للنصّ لابدّ أن نعرج على دلالته اللغوية.

إنّ دلالة نصّ اللغوية في الثقافة الغربية تحيل على النسيج وتحمل الدلالة نفسها في أصلها اللاتيني[3]. وكلمة النسيج تعود في منشئها إلى الحقل الصناعي المادي وما عبارات مثل النسيج الاقتصادي ونسيج الخلايا إلا استعارات من هذا الحقل[4].

أما فيما يخصّ مفهوم النصّ اصطلاحا فقد تعددت تعريفاته، وتشعبت إلى حدّ صعوبة رصدها وحصرها جميعا، ولعلّ من أبرز هذه التعريفات مايلي:

يعرف **'إيزنبرج'** النصّ على أنّه: "متتالية جملية مستعملة في الاتصال اللغوي مؤكدا المعنى الرياضي لمصطلح متتالية"[5]. **'إيزنبرج'** في تعريفه هذا يركز على البعد الاتصالي للنصّ.

أما النصّ عند **'هارفج'** هو: "وحدة لسانية متتابعة ومبنية بسلاسل من الإضمار متصلة"[6]. **'هارفج'** في تعريفه هذا انطلق من مبدأي العلاقة والتجانس.

1- حسين خمري: نظرية النصّ، المرجع السابق، ص 43.

2- المرجع نفسه، ص 43.

3- نهلة فيصل الأحمد: التفاعل النصي، مرجع سابق ص 28-29.

4- المرجع نفسه، ص 29.

5- نعمان بوقرة: نحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية، مرجع سابق، ص 15.

6- المرجع نفسه، ص 15.

أما النصّ من منظور **'هاليداي'** فهو: "وحدة دلالية تمثل اللغة في التواصل فقد يكون كلمة أو جملة أو عدة جمل أو قصة"[1].

ويعدّ **'هاليداي'** النصّ أيضا: "عملية تفاعل لغوية في واقع اجتماعي يتم بواسطتها تبادل المعاني، هذا يعني أنّ النصّ عند **'هاليداي'** هو وحدة دلالية تواصلية وضرب من الحوار بين المتخاطبين باللغة.

أما **'برينكر'** فيعطي للنصّ ثلاث تعاريف:

- ***التعريف الأول:*** النصّ عبارة عن: "تتابع متماسك من عمليات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى" فالنصّ عند **'برينكر'** هو أكبر وحدة لغوية فهو- أي **برينكر**- كما يرى **'سوينسكي'** لم يتحدث عن جمل ومتواليات جملية بل عن علامات ومركبات العلامات، وقد مكّنه ذلك من أن يدرك كلمات مستقلة على أنّها نصوص أيضا مثل عناوين الصور والأمثال وتركيب النداء وما أشبه ذلك[2].

- ***التعريف الثاني:*** النصّ هو: "مجموعة منظمة من القضايا، أو المركبات القضوية تترابط بعضها مع بعض على أساس محوري موضوعي، أو جملة أساس من خلال علاقات منطقية دلالية"[3].

ف**'برينكر'** في هذا التعريف الثاني يتجاوز ما في العلامة من عموم ويستند إلى الجانب الدلالي المحوري.

وقد علّق الدكتور **'سعيد بحيري'** على هذا التعريف الثاني قائلا بأنّ هذا التحديد يقوم على مفاهيم منطقية إذ أنّ الجملة في المنطق قضية دلالية كذلك، حيث يجمع

1-نعمان بوقرة: نحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية، المرجع السابق، ص 15.

2- المرجع نفسه، ص 21.

3- سعيد بحيري: علم لغة النصّ، مرجع سابق، ص 110.

بين القضايا المختلفة استمرار وحدة الموضوع، ثم يشكل انسجام التصورات التي تستخلص من القضايا علاقات باطنية قد لا تعكسها التراكيب اللغوية الفعلية للنصّ[1].

- ***التعريف الثالث:*** في هذا التعريف لا يكتفي **'برينكر'** بإدخال التماسك الدلالي في حدّه بل يحاول أن يدخل عنصر التماسك التداولي للنصّ الذي ينطلق من تضمن نصّ ما في موقف اتصالي من خلاله يحقق أو يمكن أن يحقّق كل نصّ بوصفه أداة اتصال ووظيفة اتصالية يحاول من خلالها أن يدرك مقاصد محددة، يتّم فهمها من الناحية اللغوية في شكل أحداث كلامية[2].

لاشك أنّ تعدد تعريفات النصّ لدى **'برينكر'** لا يعبر عن تناقض أو اختلاف حقيقي في مفهوم النصّ بقدر ما يعبر عن تعدد جوانب النصّ المختلفة وعليه فإنّ هذه التعريفات الثلاث تتضافر فيما بينها لتصور مفهوم متكامل للنصّ، مراعية في ذلك جوانبه المختلفة.

أما **'روجر فاولر'** فيعرف النصّ على أنّه: "البنية السطحية الخطية الأكثر إدراكا ومعاينة"[3]، المراد بالبنية السطحية في هذا التعريف هو المتوالية من الجمل المترابطة فيما بينها على نحو يشكل استمرار وانسجاما على صعيد تلك المتوالية، فالنصّ أو البنية النصية تبعا لهذا التعريف اللساني موجودة في أي عمل كيفما كان نوعه، وذلك باعتبار أنّ أي النصّ هو خطاب أو فعل لغوي ينجزه كاتب ضمني لقارئ ضمني[4].

فحين يرى **'تودوروف'** أنّ النصّ قد يتطابق مع كتاب بأكمله، وهو يعرف باستقلاله وانغلاقه[5]. ويتابعه **'فاينريش'** فيعرف النصّ بأنّه: "تكوين حتمي يحدد بعضه بعضا"[6]

1- سعيد بحيري: علم لغة النصّ، المرجع السابق، ص140.

2- عبد الواسع الحميري: الخطاب والنصّ، المفهوم -العلاقة-السلطة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2008م ص 107.

3- المرجع نفسه، ص 108.

4- حسين خمري: نظرية النصّ، مرجع سابق، ص 50.

5- جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية ولسانيات النصّ، مرجع سابق، ص 70.

6- سعيد بحيري: علم لغة النصّ، مرجع سابق، ص 110-117.

هذا يعني أنّ النصّ حسب **'فاينريش'** هو كلية مترابطة الأجزاء تتابع الجمل فيها وفق نظام، وتسهم كل جملة في فهم ماثليها، كما تسهم المتقدمة في فهم المتأخرة، بحيث يتحقق المعنى من خلال معاني الأجزاء وتآزرها في بنية كلية كبرى.

أما الباحث السيميولوجي الروسي **'لوتمان فيدرج'** مفهوم النصّ في تصوراته الكلية عن الفن فيرى أنّ تحديد النصّ يعتمد على المكونات التالية:[1]

- ***التعبير***: فالنصّ يتمثل في علاقات محددة، تختلف عن الأبنية القائمة خارج النصّ فإذا كان هذا النصّ أدبيا فإنّ التعبير يتّم فيه أولا من خلال علامات اللغة الطبيعية والتعبير – في مقابل اللاتعبير – يجبرنا على أنّ نعتبر النصّ تحقيقا لنظام، وتجسيدا ماديا له، وطبقا لثنائية **'دي سوسير'** الشهيرة التي تضع الكلام مقابل اللغة فإنّ النصّ ينتمي دائما إلى مجال الكلام التنفيذي الفردي.

- ***التحديد:*** التحديد لازم للنص، فالنصّ يحتوي على دلالة غير قابلة للتجزئة مثل أن يكون قصة أو أن يكون وثيقة أو أن يكون قصيدة مما يعني أنّه يحقق وظيفة ثقافية محددة وينقل دلالتها الكاملة.

- ***الخاصية البنوية:*** ترتبط هذه الأخيرة بخاصية التحديد السابق فبروز البنية شرط أساسي لتكوين النصّ.

أما النصّ عند **'جوليا كرستيفا'** فهو: "جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة بالربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه، فالنصّ إذن إنتاجية"[2].

فالنصّ حسب **'جوليا كرستيفا'** هو تحويل شامل للخطاب الأدبي، أي أنّه تشغيل ثوري للغة الإبداعية، وقدرة إنتاجية هائلة للنصّ الثقافي، كما أنّه–النصّ– أكثر من مجرد

1– سعيد بحيري: علم لغة النصّ، المرجع السابق، ص 108.

2– جوليا كرستيفا: علم النصّ، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1991 م، ص21.

خطاب أو قول إذ أنّه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتدّ بها على أساس أنّها ظاهرة لغوية.

أما **'آدام سميث'** فقد حدّ النصّ بأنّه: "جزء حدد موضوعيا (محوريا) من خلال حدث اتصالي ذي وظيفة اتصالية (إنجازية)"[1]. **'فسميث'** في هذا التعريف اشترط وحدة الموضوع الذي يدور حوله النصّ، ووحدة مقصده إذ أنّه قد تشكل لأداء هدف بعينه.

أما **'فان دايك'** فرأى بأنّ مفهوم النصّ لا يتحدد بمستوى واحد، أو حتى بنموذج واحد (النحوي مثلا) ولكنّه يتطلب نظرية معقدة التي تخص في الوقت ذاته مستويات مختلفة (المورفولوجي، والتركيبي والدلالي والتداولي)[2].

فالنصّ حسب **'فان دايك'** هو: "بنية شكلية مجردة أكبر من الجملة"[3]؛ أي أنّ النصّ يفترض مبدئيا فعلا كلاميا يتميز عن الأفعال الكلامية الأخرى ويتشكل داخل متتالية من النشاط وحدة خفية تتحدد بعلامة البداية والنهاية.

فحين حدّ **'رولان بارث'** النص بأنّه: "المساحة الظاهرية للعمل الأدبي وهو نسيج الكلمات المستثمرة في العمل والمنظمة بالكيفية التي تفرض بها معنى قارا ووحيدا قدر الإمكان"[4].

ويعرفانه –**هاليداي** و**رقية حسن**– في سياق آخر على أنّه: "فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة"[5].

1- حسين خمري: نظرية النصّ، مرجع سابق، ص 51.
2- المرجع نفسه، ص 45.
3- محمد خطابي، لسانيات النصّ، مرجع سابق، ص 13.
4- أحمد عفيفي: نحو النصّ، مرجع سابق، ص 22.
5- حسين خمري: نظرية النصّ، مرجع سابق، ص 43.

هذا يعني أنّ النص مبني على فكرة التماسك والترابط فكل متتالية من الجمل تشكل نصاّ على أساس جملة من العلاقات بين عناصرها.

ونجد من الذين عرفوا النصّ أيضا **'كالماير'** فعدّه: "مجموعة من الإشارات الاتصالية التي ترد في تفاعل تواصلي يمكن أن يحدد بوضع نقطة أو علامة استفهام أو تعجب"[1]. كما أنّه يُعرف النصّ في سياق أخر على أنّه: "نظام إحالي، لأنه يأتي في الدرجة الثانية بالقياس إلى نظام الدلالة"[2].

أما **'روبرت دي بوجراند'** و**'دريسلر'** فيعرفان النصّ على أنّه: "واقعة اتصال تلّبي سبعة معايير للنصية وإذ أعتبر أحد هذه المعايير السبعة غير متحقق، فإنّ النصّ لا يتسم بالاتصالية آنذاك"[3].

فالنصّ حسب – **'دي بوجراند'** و**'دريسلر'**– تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال.

هذه أبرز وأهم تعريفات النصّ في الثقافة الغربية وليس كلها، وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أنّ هناك اختلاف شديد في تعريف النصّ بين الباحثين الغرب إلى حدّ التناقض والإبهام أحيانا أخرى، فمسألة وجود تعريف مانع للنصّ مسألة غير منطقية من جهة التصور اللغوي، لكن بالرغم من ذلك تبقى محاولة الوصول إلى تعريف يضم أكبر عدد من الملامح الفارقة محاولة طموحا.

1– نعمان بوقرة: نحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية، مرجع سابق، ص 16.

2– حسن خمري: نظرية النصّ، المرجع السابق، ص 43.

3– روبرت ديبوجراند ولفغانغ دريسلر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ط1، 1992 م، ص 25.

3. شروط النصية:

تعدّ دراسة مفهوم النصية أهم عمل في الدرس اللساني، من حيث أنّها عامل ناتج عن الإجراءات الاتصالية من أجل استعمال اللغة[1] فقد أجمل كل من **'دي بوجراند'** و**'فولفجانج دريسلر'** سبعة معايير للنص، بحيث إذا اختل أحد المعايير لا يكون النص نصا وقد قدماها في قولهما "عن النص: إنه حدث تواصلي التحقق يلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير وقد صنفت كما يلي:

ما يتصل بالنص ذاته، وهما معيارا الاتساق والانسجام وهي:

1- الاتساق (السبك) .Cohesion

2- الانسجام (الحبك) .Coherence

ما يتصل بمستعملي النص سواء أكان المستعمل منتجا أم متلقيا وهي:

3- القصد .Intentionality

4- القبول .Acceptabhilty

ما يتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص وهي:

5- الإعلام .Informativity

6- المقامية (الموقفية) .Situationality

7- التناص .[2] Intertextuality

1. الاتساق (Cohesion): ونجد ترجمات أخرى لهذا المصطلح منها السبك والترابط التضام، ولعل مصطلح الاتساق هو الأكثر انتشارا، وهو أحد الركائز الأساسية لتحليل

1- روبرت ديبوجراند ولفغانغ دريسلر: مدخل إلى علم اللغة النصي، المرجع السابق، ص 95.

2- أنظر أحمد عفيفي: نحو النص، مرجع سابق، ص 75-76.

النص، إذ يقصد به ذلك الترابط الشديد بين العناصر اللغوية المكونة لنص ما أو ما يعرف بالربط النحوي الذي يعد مظهر عام يتحقق في جل النصوص؛ إذ يتعلق بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في النص، "وتحقيق الترابط الكامل بين بداية النص وآخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة حيث لا يعرف التجزئة"[1]. لذلك يتطلب تحقيق الاتساق الاستقراء الكلي للتراكيب النحوية، متيحا بذلك لمحلل النص حتى يحتفظ النص بكينونته واستمراريته مجموعة من الأدوات منها: الإحالة، الحذف التكرار الاستبدال،...

2. *الانسجام* (Coherence**)**: يعدّ مصطلح الانسجام أهم المصطلحات في لسانيات النص، إذ يحتل هذا المعيار ومعيار الاتساق موقعا مركزيا في الدرس اللساني المعاصر. ويقصد به التتابع للمفاهيم والعلاقات داخل النص؛ أي العلاقات التي تربط معاني الأقوال في الخطاب، أو معاني الجمل في النص"[2].

3. *القصد* (*Intertianality*): ويعني أنّ النص حدث لغوي مقصود ومخطط له من طرف منشئه، وليس مجرد تتابع للكلمات والجمل، وهو يتضمن موقف منتج النص لإنتاج نص متماسك ومتناسق، باعتبار منتج النص فاعلا في اللغة مؤثرا في تشكيلها وتركيبها. وأنّ مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها[3].

4. *القبول*(*Acceptabhilty*): وهو تعبير عن موقف متلقي النص إزاء كون النص يمثل صورة من صور اللغة بوصفها نص متسق ومنسجم.

5. *الإعلامية*(*Informativity*): وتتعلق بإمكانية توقع المعلومات الواردة في النص أو عدم توقعها على سبيل الجدة؛ أي أنّ كل نص يجب أن يتضمن قدرا من المعلومات

1- أنظر أحمد عفيفي: نحو النص، المرجع السابق، ص 96

2- نعيمة سعدية: الاتساق النصي في التراث العربي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد الخامس، جوان 2009م.

3- أنظر أحمد عفيفي: نحو النص، المرجع السابق، ص 79.

تختلف باختلاف نوع النص. بحيث يجب أن يكون للنص مضمون يريد إبلاغه للمتلقي فهو يوصل على الأقل معلومات محددة، غير أنّ مقدار الإعلامية هو الذي يوجّه اهتمام السامع. إذ يمكن أن تقود الإعلامية إلى رفض النص، إذا كان هذا الأخير يحمل منخفضا من المعلومات[1].

6. المقامية (Situationality): وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص ذو صلة بموقف حالي أو موقف قابل للاسترجاع؛ لأن معنى النص يتحدد أصلا من خلال الموقف.

7. التناص (Intertextuality): وهو مصطلح نقدي يقصد به العلاقة بين نصين أو عدة نصوص، "أو هو ترحال للنصوص وتداخل نصي في فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"[2].

وعليه يمكن القول أنّ توفر هذه المعايير يسمح للمتلقي بالتمييز بين النص واللانص مما يتيح له القدرة على القبول أو الرفض، كما أنها تتيح للمتلقي إصدار الأحكام.

III. مفهوم الخطاب:

يعدّ مصطلح الخطاب من أهم المصطلحات التي ولجت عالم النقد في الآونة الأخيرة. إذ تعددت سبل مقاربة مفهومه، وكثرت التعاريف وتشعبت الأقاويل حوله بسبب تنوع التخصصات المعرفية، وتعدد الاتجاهات والنظريات والمدارس اللسانية، إلا أن ذلك لم يقف حائلا أمامه في أن "يحتل موقعا محوريا في جميع الأبحاث والدراسات التي تندرج في مجال تحليل النصوص، حيث برزت للوجود شعب دراسية في اللسانيات والفلسفة والأدب جعلت منه ركنا رئيسا ضمن مقرراتها، واتخذته عناوين لفروع معرفية مختلفة وغدا كل مؤلف يتناول اللغة الإنسانية من جانبها التواصلي لا بدّ أن يجعل أساسه الخطاب

1- أنظر أحمد عفيفي: نحو النص، المرجع السابق، ص 76.

2- جوليا كرستيفا: علم النص، مرجع سابق، ص 96.

وهدفه تحليله"[1]. هذا وقد ورد لفظ الخطاب عند العرب كما ورد عند الغربيين مع درجات من التفاوت أو التقارب في معناه"[2].

1. الخطاب لغة:

الخطاب في اللغة العربية مشتق من مادة (خ ط ب)، التي تشير إلى عدد من الدلالات اللغوية. "فالخطب هو الشأن والأمر صغر أو عظم، وجمعه خطوب وخطب المرأة خطبا وخطبة وخطّيبي بكسرها، وهي خطبه وخطبته...وخطب الخاطب على المنبر خطابة بالفتح، وخطبة بالضم وذلك الكلام خطبة أيضا أو هي الكلام المنثور المسّجع نحوه، ورجل خطيب حسن الخطبة بالضم،...وفصل الخطاب الحكم بالبينة أو اليمين أو الفقه في القضاء، أو النطق بأما بعد"[3]. فالخطاب بهذا المفهوم يقوم على أساس التلفظ وهو مرادف للكلام. ونفس المعنى نجده في **لسان العرب** لـ**'ابن منظور'** الذي يرى "أنّ الخطاب هو مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبا والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن. قال الليث إنّ الخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر واختطب يخطب خطابة واسم الكلام الخطبة"[4].

فالخطاب عند **'ابن منظور'** يعني الكلام الذي يحدث عن طريق المشاركة بين طرفين (متكلم ومستمع).

وفي **'أساس البلاغة'** لـ **'الزمخشري'** نجد: "خاطبه أحسن الخطاب، والخطاب هو المواجهة بالكلام...واختطب القوم فلانا دعوه إلى أن يخطب إليهم...ونقول

1- أبوعلي فؤاد: مناهج تحليل الخطاب، منتديات جمعية المترجمين واللغويين المصريين، الرابط: http: //egyfroums.com

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، مارس 2004 م، ص 35.

3- الفبروز أبادي: القاموس المحيط، باب الجيم فصل الباء، مادة خطب، المطبعة الأميرية، مصر، (د.ط)، 1301 هـ، ج1، ص 63.

4- ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثاني، ص 1194.

له أنت الأخطب البيّن الخطبة، فتخيل إليه أنه ذو البيان في خطبته...وماخطبك. ما شأنك الذي تخطبه"[1].

ويذهب **'الخليل'** في**'كتاب العين'** إلى أنّ "الخَطْب: سَبَبُ الأَمر. والخِطاب: مراجعة الكلام. والخُطبة: مصدر الخطيب. وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخطبة قام في النادي، فقال: خِطْبٌ "[2].

أو هو عبارة عن نوع من القول تجتمع فيه الصنعة اللفظية والحجة المقنعة، مع عدم الإثقال على السامع[3]. فالخطاب هو نظام القول المحاجج والمجادل."فالخطاب يقتضي حوار ومشاركة، ولا خطاب إلا باعتبار تضمين معنى المكالمة، وهو الكلام الذي يقصد به الإفهام، أو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه"[4].

وجاء الخطاب في **'معجم الصحاح'** لـ **'لجوهري'** بمعنى "الخطب: سبب الأمر تقول: ما خطبك، وخطبت على المنبر خطبة بالضم...وخطُب بالضم خطابة بالفتح: صار خطيبا "[5].

وانطلاقا مما سبق يمكن القول أنّ الدلالة اللغوية لمادة (خ ط ب) تضمنت عدة مدلولات، والتي تشكل بمجموعها المعنى اللغوي لمصطلح الخطاب عند العرب القدامى الذي يقارب المدلول اللغوي للخطاب في الدرس اللساني المعاصر إن لم نقل يطابقه.

1- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان ط 1، 1998 م، ج1، ص 255.

2- الخليل بن احمد الفراهيدي: معجم العين، ج1، مرجع سابق، ص 418 - 419

3- عبد الواسع الحميري: الخطاب والنص، مرجع سابق، ص 11.

4- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت ط 2، 1998 م، ص 419.

5- إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، (د.ط)، (د.ت) ج1، ص 121-122.

2. الخطاب اصطلاحا:

1.2. الخطاب في الثقافة العربية:

انتبه العلماء العرب القدامى إلى مصطلح الخطاب، فقد اهتم كل من علماء التفسير واللغة، والبلاغة والفقه بتقديم مفهوم للخطاب، نظرا لاهتمامهم بالقرآن الكريم، الأمر الذي أدى إلى تنوع وتعدد مفاهيم هذا المصطلح بسبب اختلاف مجال الدراسة.

وترجع الريادة في الاهتمام بالخطاب عند العرب إلى علماء التفسير من خلال شرحهم وتفسيرهم لمفردة الخطاب التي وردت في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة[1] بصيغ متعددة، منها صيغة الفعل في **قوله تعالى:** ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ الذاريات:٣١. وأيضا ما ورد في سورة المؤمنون، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾المؤمنون:٢٧. وبصيغة المصدر وردت في سورة **"النبأ"،قَالَ تَعَالَى:** ﴿ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ النبأ: ٣٧، وفي سورة **"ص"، قَالَ تَعَالَى:** ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ص: ٢٣ .وأيضا في قوله تعالى عن داود عليه السلام: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ص: ٢٠

وبالعودة إلى كتب التفسير القديمة والحديثة نجدها تتفق في شرحها لمادة (خ ط ب) التي وردت في القرآن الكريم، فقد فسر **"ابن كثير"** كلمة "خطبكم" في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ أي: ما شأنكم وفيما جئتم[2].

1- محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن العظيم، دار الكتب المصرية، مصر، (د.ط)، 1364 هـ - 1945 م، ص 253.

2- العلامة عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 1427 هـ 2006 م، ج 4، ص 343.

أما **'الزمخشري'** فقد فسّر كلمة 'لا تخاطبني' التي وردت في سورة **'المؤمنون'** بمعنى "لا تدعني في شأن قومك"[1].

وفسّر **'الطبري'** كلمة 'خطاب' التي وردت في سورة **'النبأ'**، بمعنى "لا يقدر أحد من خلقه خطابه يوم القيامة، إلا من أذن له منهم وقال صوابا"[2]، "فجميع الخلق ذلك اليوم ساكنون لا يتكلمون. فلا يتكلم أحد إلا بشرطين: أن يأذن الله له في الكلام، وأن يكون ماتكلم به صوابا"[3]. فـ"موقف هؤلاء المقربين إلى الله، الأبرياء من الذنب والمعصية. موقفهم هكذا صامتين لا يتكلمون إلا بإذن وبحساب"[4].

وفسّر **'ابن كثير'**مفردة الخطاب في **قوله تعالى:** ﴿ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴾ بمعنى"غلبني، يقال عزّ يعز إذا قهر وغلب"[5].

وفسّر **'الزمخشري' قوله تعالى:**﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴾ . بقوله: "البيّن من الكلام...الذي يتنبه من يخاطب به ولا يلتبس عليه، وأردت بفصل الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والصواب والخطأ...ويجوز أن يراد بالخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممّل"[6].

وعليه واعتمادا على ما ورد في كتب التفسير يمكن القول أنّه رغم تعدد السياقات التي وردت فيها مفردة الخطاب في القرآن الكريم، إلا أنّه يحيل على الكلام الذي يقوم

1- الزمخشري: تفسير الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ط)، 1947 م، ج 4، ص 77 -80.
2- أبو جعفر الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، المملكة العربية السعودية، ط 1 1420هـ - 2000 م، ج 24، ص 175.
3- العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن مُعلا اللويحق، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1424 هـ - 2003 م، ص 868.
4- سيد قطب: في ظلال القرآن، المجلد السادس، دار الشروق، بيروت، ط 1، 1972 م، ص 3809.
5- عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج 4، ص 47.
6- الزمخشري: تفسير الكشاف، المرجع السابق، ص 210.

على الحوار والمشاركة، وهذا ما يتفق مع اللسانيات الحديثة لأنّه يقتضي طرفين؛ متكلم ومستمع.

أما عند النحاة فقد وردت مادة(خ ط ب) بصيغة اسم المفعول، بمعنى المخاطَب بفتح الطاء، وقصدوا به الطرف الثاني في عملية التخاطب، والذي يوجّه المرسل(المتكلم) كلامه إليه، وورد ذلك في خضم حديثهم عن المضمرات. إذ يقول **'ابن يعيش'** في **شرحه:** "والمضمرات لا لبس فيها، فاستغنت عن الصفات لأنّ الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات والأحوال المقترنة بها: حضور المتكلم والمخاطب والمشاهدة لهما وتقدم ذكر الغائب الذي يصير به بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم، فأعرف المضمرات المتكلم لأنه لا يوهمك غيره، ثمّ المخاطب والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة"[1]. والخطاب بهذا المفهوم ينحصر في الطرف الثاني(المخاطَب) وهذ"ما يذهب إليه النحاة عند تصنيف الضمائر المتصلة والمنفصلة بحديثهم عن الكاف الّتي تلحق اسم الإشارة (إذا)، مثل: ذلك، ذلكم، ذلكن، إذ تختلف حركات هذه الكاف ليكون ذلك أمارة على اختلاف أحوال المخاطب من التذكير والتأنيث، وتلحقه علامات تدل على عدد من المخاطبين، ويوضح لك ذلك نعت اسم الإشارة ونداء المخاطب"[2].

أما الخطاب عند علماء الأصول فقد عرف اهتماما كبيرا، لأنه يشكل اللبنة الأساسية الّتي تقوم عليها أعمالهم وبحوثهم. فكثيرا ما ترددت مادة (خ ط ب) وبصيغ مختلفة في مواضع مختلفة من أعمالهم، "ومن أبين الأدلة على ذلك إيرادهم لاسم الفاعل (مخاطب) ولاسم المفعول (مُخَاطَب)، بوصفهما طرفي الخطاب"[3]، لذلك يدل لفظ الخطاب في عرفهم

1- موفق الدين ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج 3، ص 84-85.

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 35-36.

3- المرجع نفسه، ص 36.

على الكلام، فقد "عرّفه بعض المتقدمين من علماء الأصول بأنه الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيئ للفهم"[1].

فالخطاب عند الأصوليين حسب هذا المفهوم؛ يعني الكلام المباشر الذي يقتضي متكلم، ومستمع، وسياق، لتحقيق غاية مقصودة من طرف المتكلم عن طريق المستمع.

أما **'الآمدي'** فقد عرّف الخطاب بقوله: "إنه اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه"[2].

فالخطاب حسب **'الآمدي'** هو كلام مقصود صادر عن متكلم، حامل لمعنى متضمن موجه إلى مستمع معين، الذي يجب أن يكون متهيئ لتلقي خطاب المتكلم وفهم معناه المتضمن الذي يقصده. "والمراد بالفهم ههنا الإفهام الواقع بالفعل"[3]. كما يمكن أن نفهم من خلال هذا التعريف، أنّ **'الآمدي'** عرّف الخطاب بأنّه عبارة عن لفظ أي أنّه قد أخرج من تعريفه للخطاب الإشارات غير اللغوية وحصره في الإشارات اللغوية فقط، لكن هذا لا ينفي أنّ **'الآمدي'** كان على وعي بالعملية التخاطبية التواصلية.

أما **'الكفوي'** فقد أدرج تعريف للخطاب في معجمه **'الكليات'** يقترب كثيرا من المفهوم الحديث، لأنّه توسع في دلالة الخطاب، فيعرفه بأنّه "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه"[4]. فمن خلال هذا التحديد لمصطلح الخطاب، يمكن القول أنّ **'الكفوي'** إضافة إلى تحديده الكامل والواعي لعناصر العملية التخاطبية، راح يورد لكل عنصر شرطا خاصا به، فالخطاب أو التلفظ يجب أن يكون ممّا اصطلح عليه الناس

1- بدر الدين الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000 م، ص 749.

2- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي : الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1980 م، ج 1، ص 136.

3- محمد علي التهانوي: موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق رفيق العجم وآخرون، ج1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ط1، 1996م، ص 749.

4- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسَّيني الكفوي: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مرجع سابق، ص 419.

والمخاطِب يجب أن يتوفر فيه شرط القصدية لإيصال المعنى المتضمن في الخطاب إلى المخاطَب، أما هذا الأخير فوجب أن يكون مستعدا للفهم، مضيفا أنّ الكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع فإنّه لا يسمى خطابا"[1].

لذلك يمكن القول أنّ الأصل في الخطاب عند الأصوليين، أنّه الكلام الملفوظ من طرف متكلم، وموجه إلى مستمع بهدف إفهامه.

واستئناسا بما سبق يمكن القول أنّ مفهوم الخطاب عند العرب القدامى عرف نضجا وتطورا، متجاوزين فكرة أنّ الجملة هي أكبر وحدة يمكن أن يعبر بها المتكلم إلى الخطاب مما أدى إلى الاهتمام به والتوسع في دراسته وتحديده.

أما الدراسات العربية الحديثة فقد مالت إلى الأخذ بالمفهوم الغربي لمصطلح الخطاب، ولذلك نجد تشابها بين تعريفات العرب المحدثين، وتعريفات الغرب، ولا سيّما بعد تأثرهم واحتكاكهم بالدراسات اللسانية الغربية، وخاصة بعد ظهور كتاب **'دي سوسير'، 'محاضرات في اللسانيات العامة '** الذي فرّق فيه بين اللغة والكلام.

وتجدر بنا الإشارة إلى ريادة الباحثين المغاربة في ترجمة مصطلح الخطاب واستعماله في بحوثهم الحديثة، وذلك لقربهم من البيئة الغربية التي ظهر وتطور فيها مصطلح الخطاب، ولعلّ أبرزهم **'عبد السلام المسدي'**، و**'محمد مفتاح'، 'سعد مصلوح'** و**'عبد المالك مرتاض'** وغيرهم.

ويعرّف **'عبد السلام المسدي'** الخطاب بقوله: " إن ما يميز الخطاب هو انقطاع وظيفته المرجعية لأنّه لا يرجعنا إلى شيء ولا يبلغنا أمرا خارجيا إنّما ذاته وذاته هي المرجع والمنقول في نفس الوقت "[2]؛ فالوظيفة المرجعية هي التي تحـــدد تميـــز

1- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسَّيني الكفوي: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المرجع السابق، ص 419.

2- عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط 3، (د.ت)، ص 116.

الخطـاب من عدمه، فانقطاع الوظيفة المرجعية للخطاب تجعله يشكل علاقات إحالية تكتفي بذاتها إذ يؤدي غيابها- حسب **نور الدين السد** في كتابه **الأسلوبية وتحليل الخطاب**- إلى جعل الخطاب متميز لا نظير له في الواقع، بسبب أن الخطاب لا يعنى بتصوير الأحداث، كما هي في الواقع، وإنّما يعنى بتصوير الواقع بلغة مميزة تخلق عالما مختلفا عن العالم الواقعي، وذلك باستعمال تقنيات أسلوبية جمالية [1].

أما الباحث **'سعد مصلوح'** فقد اشترط في الخطاب الشفرة المشتركة بين المتكلم والمستمع حيث يرى أنّ الخطاب "رسالة موجهة من المنشئ للمتلقي تستخدم فيها نفس الشفرة اللغوية المشتركة بينهما، ويقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموع الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية، والدلالية التي تكون نظام اللغة"[2].

فالخطاب حسب **'سعد مصلوح'** لا تتحقق وظيفته التواصلية إلا من خلال علم طرفي العملية الخطابية بمجموع الأنماط الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكون نظام اللغة أي القناة، وبهذا المنظور يكون **'سعد مصلوح'** قد أهمل الوظائف الأخرى التي يحققها الخطاب إضافة إلى الوظيفة التواصلية، كالشعرية والتعبيرية. على خلاف **'محمد مفتاح'** الذي يمنح وظائف عديدة للخطاب التعبيرية والتفاعلية إضافة إلى الوظيفة التواصلية، فالخطاب عنده يتميز بأنّه:

- **تواصلي:** يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف.
- **تفاعلي:** على أنّه الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء، فهناك وظائف أخرى للخطاب اللغوي، أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليه"[3].

1- أنظر نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، (د.ط)،1997 م، ج 2، ص 68.

2- المرجع نفسه، ص 68.

3- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري - إستراتيجيات الخطاب - المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 3، يوليو 1992 م، ص 120.

2.2. الخطاب في الثقافة الغربية:

يقابل الخطاب في الثقافة الغربية اللفظ الفرنسي **'Discours'** المأخوذ من أصل لاتيني وهو الاسم **'Discursus'** المشتق من الفعل **'Dscurrere'** الذي يعني الجري هنا وهناك أو الجري ذهابا وإيابا وهو فعل يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي وإرسال الكلام، والمحادثة الحرة والارتجال[1].

إذا كان أصل مفهوم الخطاب في التراث العربي، ومصدر نشوئه دينيا أصوليا فإنّه في التراث الغربي فلسفي، فالبرغم من انتماء المصطلح إلى حقل اللسانيات إلا أنّ جذوره ترجع إلى **'اللوغس Logos'** حيث "انحصر مفهومه في حدود المعنى الذي يظهره الكلام، وأصبحت مهمته منذ ذلك الحين منحصرة في تخليص المعنى ممّا هو ظني ونسبي ومتغيّر؛ لأنّه ذو طبيعة عقلية "[2].

ولعلّ أول محاولة لتعريف الخطاب عند الغرب ترجع إلى **'أفلاطون'** "فمعه حيث يتماثل المقال مع العقل (لوغوس) بُذلت أول محاولة لضبط المقال وعقلنته وبناء منطقه على قواعد تستمد من داخل المقال نفسه أكثر مما تستمد من أصل خرافي أو وضعي يفرض بداهته على المقال"[3]. لذلك بقي الخطاب في الفكر الغربي السائد حتّى بداية عصر النهضة، بمثابة نظام من العمليات الذهنية أو القائمة على مجموعة من القواعد المرتبة ترتيبا منطقيا، إنّه عملية ذهنية تنجز بواسطة عمليات أساسية ظرفية ودائمة [4].

1- عبد الرحمن حجازي: الخطاب السياسي، دراسة أسلوبية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 2005 م، ص 19.

2- عبد الواسع الحميري: الخطاب والنصّ، مرجع سابق، ص 89.

3- معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، مج 1، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1، 1986 م، ص 771.

4- عبد الواسع الحميري: الخطاب والنصّ، المرجع السابق، ص 89.

وعلى هذا الأساس يعتبر كتاب **'ديكارت'**، المعنون بـ**'مقال في المنهج'** "دليلا واضحا على هذا التحول وبداية العقلانية الحديثة"[1]، وتكمن أهمية الكتاب في كونه يؤسّس لمصطلح الخطاب أكثر ممّا هو تفسير وتحديد للمفهوم ذاته.

أما في الدراسات الغوية الحديثة نجد من الباحثين من يرى أنّ النشأة الأولى لمفهوم الخطاب عند الغرب، ترجع إلى **'فرديناند دي سوسير'ferdinand de Saussure** من خلال كتابه **'محاضرات في اللسانيات العامة'**، الذي فرّق فيه بين اللغة والكلام فاللغة عنده هي "جزء جوهري من اللسان، وفي الوقت ذاته نتاج إجتماعي لملكة اللسان"[2] والكلام عنده ظاهرة فردية، وأيضا بلورته لمفهوم النسق أو النظام الذي تطور فيما بعد إلى بنية.

ومنه يمكن القول أنه رغم انتباه **'دي سوسير'** إلى الكلام، ووعيه بضرورة وجود طرفين في العملية التخاطبية، إلا أنّ اهتمامه انصب على اللغة فقط؛ لأنّها عبارة عن منظومة رموز تخضع لنظام معين يتجسد من خلال وحدة قابلة للوصف والدراسة في حين أنّ الكلام عبارة عن صور مختلفة لا يمكن حصرها، ودراستها في الواقع؛ فالكلام عبارة عن "خطاب يتشكل بمجرد حدوث تواصل بين المتكلم والسامع"[3].

هذا ويكاد يجمع كل الباحثين الغربيين في مجال الدراسات اللغوية اللسانية الحديثة وتحليل الخطاب والنقد، على ريادة **'ز. هاريس Hariss . Z'** [4] في استعمال مصطلح الخطاب وتعريفه، وذلك من خلال بحثه **'تحليل الخطاب'** (1952م)، إذ يعتبر أول لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني، بجعله يتعدى حدود الجملة إلى الخطاب

1- عبد الواسع الحميري: الخطاب والنصّ، المرجع السابق، ص 90.

2- رابح بوحوش: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، (د.ط)، 2006 م، ص 17.

3- أنظر ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر، (د.ط)، 2005، ص 79.

4- عبد الواسع الحميري: الخطاب والنصّ، مرجع سابق، ص 90.

بكامله[1]، ومن هذا المنطلق جاء تعريفه للخطاب من منظور لساني بحت، فيعرفه بأنّه "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة؛ يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"[2].

واعتمادا على ما سبق يمكن القول أنّ **'هاريس'** حاول أن يُخضِع الخطاب إلى منهجه التوزيعي، وأنّ الخطاب عنده عبارة عن متتاليات من الجمل، ترتبط فيما بينها بواسطة علاقات معينة، التي تتوزع بموجبها هاته الجمل التي تشكل الخطاب.

وفي المقابل نجد الباحث الفرنسي **'إميل بنفينيست Emile Benveniste'** قد رفض حصر الخطاب كموضوع لساني في الجملة "التي نظر إليها **'هاريس'** بوصفها وحدة الخطاب، ليرفض من ثمّ التوقف عند حد **الملفوظ** بوصفه الموضوع اللغوي المنجز والمنغلق والمستقل عن الذات التي أنجزته، ليقيم بدلا عن ذلك، مفهوم **التلفظ Enonciation**[3]؛ وهو الفعل الحيوي في إنتاج نص ما وهو مقابل **للملفوظ Enonce** باعتباره الموضوع الذي انتهى من إنجازه فاستقل عن الذات المنجزة، وبالتالي فموضوع الدراسة عنده هو التلفظ وليس الملفوظ[4].

كما يرى **'بنفينيست'** إضافة إلى موضوع الدراسة، أنّه بالحديث عن الخطاب نكون قد غادرنا "عالم اللغة كمنظومة من الرموز، ونلج في عالم آخر ألا وهو عالم اللغة كأداة للاتصال تجد تعبيرها في الخطاب"[5]. ومن هذا المنطلق عرّف الخطاب بأنّه "الملفوظ

1- عبد الواسع الحميري: الخطاب والنصّ، المرجع السابق، ص 90.
2- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1989 م، ص 17.
3- عبد الواسع الحميري: الخطاب والنصّ، المرجع السابق، ص 91.
4- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص 18-19.
5- سارة ميلز: الخطاب، ترجمة يوسف بغول، مطبعة البعث، قسنطينة- الجزائر، (د.ط)، 2004 م، ص 1.

منظورا إليه من زاوية آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، أو هو كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا، وهدف الأول التأثير على الثاني بطريقة ما"[1].

وانطلاقا بما تقدم يمكن القول أنّ **'بنفينيست'**، ومن خلال تعريفه للخطاب ركزّ على الوظيفة التواصلية للغة، والتي تتجسد من خلال الجملة باعتبارها أصغر وحدة مكونة له قابلة للدراسة والوصف، والخطاب عنده يستلزم لحدوثه تواصل بين طرفي العملية التخاطبية (المتكلم والمستمع).

أما الباحث **'دومنيك مانغينو Dominique maingueneau'**، فقد نظر إلى الخطاب من زاوية تداولية، جاء هذا في كتابه **'مقدمة في مناهج تحليل الخطاب'** الذي ألّفه أواخر السبعينات، حيث "عرض من خلاله عددا من تحديدات الخطاب أبرزها:

- الخطاب مرادف للكلام، بمفهومه عند **دي سوسير**.

- الخطاب هو الوحدة اللسانية التي تتعدى الجملة، وتصبح مرسلة كلية أو ملفوظا.

- الخطاب هو الملفوظ المعتبر من وجهة نظر حركية خطابية مشروط بها "[2].

فمن خلال هذه التحديدات التي وضعها **'مانغينو'** للخطاب، يمكن القول بأنّ هذا الباحث ينظر إلى الخطاب؛ باعتباره إنجاز يتم ضمن عملية تفاعلية متبادلة بين طرفين طرف باث وآخر مستقبل شرط أن تنجز هذه العملية التخاطبية في مقام معين بكل ما يتضمنه من مكونات، إضافة إلى الشرط الثالث الذي وضعه هذا الباحث والمتمثل في التفاعل المتبادل بين طرفي العملية التخاطبية.

1- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المرجع السابق، ص 19.

2- عبد الواسع الحميري: الخطاب والنصّ، المرجع السابق، ص 93.

وفي المجال نفسه يعرّف **'بيار جيرو P. Guirqnd'** الخطاب بقوله: "الخطاب يفرز الذاتية وسننه العلامية والدلالية فيكون سياقه الداخلي هو المرجع، ليقيم دلالاته حتّى لكأنّ الخطاب هو معجم ذاته"[1].

هذا ويقدم أصحاب **'معجم اللسانيات'** سنة (1973م)، ثلاثة تعريفات للخطاب "فهو أولا، يعني اللغة في طور العمل، أو اللسان الذي تتكلف بانجازه ذات معينة وهو ههنا مرادف للكلام بتحديد **دي سوسير**، وهو يعني ثانيا، وحدة توازي أو تفوق الجملة ويتكون من متتالية...لها بداية ونهاية، وهو ههنا مرادف للملفوظ. أما التحديد الثالث فيتجلى في استعمال الخطاب لكل ملفوظ يتعدى الجملة منظورا إليه من وجهة قواعد تسلسل متتالية الجمل"[2].

أما الناقد الفرنسي **'ميشال فوكو M. Faucault'** فقد ركزّ في محاضراته **'نظام الخطاب'** على أنّ تشعب الأقاويل وتعدد التعاريف حول مفهوم الخطاب، يعود إلى اختلاف رؤى ومرجعيات الباحثين في النظر إلى الخطاب، لذلك كان له مفهومه الخاص للخطاب الذي تجاوز به المفهوم الألسني البحت، إذ استطاع أن ينحت لمفهوم الخطاب سياقا اصطلاحيا مميزا؛ عن طريق استعماله الواعي والمكثف في العديد من الدراسات المختلفة، إذ يمثل الخطاب عنده "شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التّي تبرز فيها الكيفية التّي يُنتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة والمخاطر في الوقت نفسه"[3].

1- نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، المرجع السابق، ص 16.

2- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص 21.

3- ميجان الرويلي وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، ط 2، 2000 م، ص 89.

هذا "ويمثل الخطاب في الفعل النقدي فعل النطق، أو فاعلية تقول وتصوغ في النظام ما يريد المتحدث قوله، فالخطاب إذن كتلة نطقية لها طابع الفوضى، وحرارة النفس ورغبة النطق بشيء ليس هو تماما الجملة، ولا هو تماما النص، بل فعل يريد أن يقول"[1].

وعليه يمكن تلخيص مفهوم للخطاب وذلك من "خلال وضع الاصطلاح الأكثر عمومية له فهو نظام تعبير متقن ومضبوط"[2].

4. الخطاب والنص:

أدت صعوبة وضع تعريف موحد لمصطلح الخطاب إلى تداخله مع مصطلحات متاخمة ومرادفة إلى درجة يصعب التفريق بينها، وهذا ما أكده **'سعيد يقطين'** في كتابه **'تحليل الخطاب الروائي'**، "أنّه بتخطي الدراسات اللسانية عتبة الجملة نحو وحدة أكبر أصيبت المصطلحات باضطراب وتعتيم وحدوث خلط في ضبط المفاهيم، فهذه الوحدة الأكبر هي عند البعض (الملفوظ)، وعند آخرين (الخطاب)، وعند آخرين (النص)... وكل واحدة من هذه المصطلحات متعدد الدلالات والمعاني، وهي أيضا يقابل بعضها الآخر، أو يرادفه في هذا السياق أو ذاك وبحسب هذا الاتجاه أو الآخر"[3].

وهناك من الباحثين من لم يفرّق بين الخطاب والنص، حيث استعمالهما بنفس الدلالة، وهناك فريق آخر من الباحثين فرق بينهما.

فمن أصحاب الرأي الأول الذي يستعمل مصطلح الخطاب كمرادف لمصطلح النص **'غريماس'** "حيث يستند إلى اشتراك فعلي للفظتين في أداء المعنى ذاته، ويشير إلى أنّ الخطاب والنص يستعملان تبعا لذلك على ممارسات خطابية غير لغوية كالأفلام

1- نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 13.

2- فرحان بدرية الحربي: الأسلوبية في النقد العربي الحديث-دراسة في تحليل الخطاب-مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1424 هـ -2003 م، ص 40.

3- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المرجع السابق، ص 16.

والطقوس المختلفة والقصص المرسومة، وعليه نقول أنّ الاختلاف لا يمس مضمون اللفظة "[1].

كما نجد أيضا عند **'رومان جاكبسون R.Jakobson'** يعرِّف الخطاب الأدبي بأنّه "نص تغلبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام، وهو ما يفضي حقا إلى تحديد ماهية الأسلوب"[2].

ولـ**'رولان بارث R . Barth '** نفس الرأي في التسوية بين الخطاب والنص، فهو يرى أنّ النص "يظل على كل الأحوال متلاحما مع الخطاب، وليس النص إلا خطابا ولا يستطيع أحد أن يتواجد إلا عبر خطاب آخر؛ أي التناص"[3].

وترى **'جوليا كريستيفا Julia kristeva'** أنّ "النص الأدبي خطاب يخترق حاليا وجه العالم والإيديولوجيا والسياسة"[4].

أما **'روجر فاولر Roger fowler'** فقد ورد عنده تداخلا بين مصطلحي النص والخطاب في تحديده لمعالجة **'الأدب بوصفه خطابا'** إذ يجمعهما في قوله: "إن كل نص خطاب، فعل لغة من لدن مؤلف ضمني، له تصميم محدد لقارئ ضمني محدّد الهوية "[5].

من ناحية أخرى يرى **'فان دايك'** أن المساواة بين مصطلحي النص والخطاب ينحصر في الجانب الوظيفي، بقوله: "يبدو النص وحدة مجردة لا تتجسد إلا من خلال الخطاب كفعل تواصلي، وهو كذلك مجموع البنيات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوحيه"[6].

1- نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، المرجع السابق، ص 20.

2- نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 11.

3- المرجع نفسه، ص 31.

4- محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط 1، 2005 م، ص 9.

5- المرجع نفسه، ص 8.

6- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص 16.

هذا ويظل التمييز بين النص والخطاب من زاوية كون النص في الأساس بنية في مقابل كون الخطاب في الأساس موقفا هو التمييز أدبيات نظرية النص وتحليل الخطاب بيد أن الإلحاح على ربط النص بمقاصده ووظائفه مما يعيد هذين المصطلحين في الاستعمال إلى دوائر متشابكة[1] يصعب فك تداخلهما.

أما أصحاب الرأي الثاني فقد أوجدوا فروقا بين النص والخطاب، أهمها ما ذهب إليه **'جون ميشال آدم J. M. Adam'** بأن الفارق الجوهري بينهما هو السياق، ويتجلى ذلك من خلال "معادلته:

- الخطاب = النــص + ظروف الإنتاج.
- النــص = الخطاب – ظروف الإنتاج[2].

وهذا ما يؤكده **'دومينيك مانغينو'** في كتابه **'المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب'** بأنّه "يُنظر إلى الخطاب من حيث هو ارتباط النص بسياقه"[3]. فالخطاب بهذا المفهوم له صلة مباشرة بالسياق أو ما يعرف بظروف الإنتاج.

أما الباحث **'ليتش'** وزميله **'شورت'** فقد نظرا إلى "الخطاب بوصفه؛ تواصلا لسانيا ينظر إليه كإجراء يتم بين المتكلم والمخاطب، في حين نظرا إلى النص بوصفه، تواصلا لسانيا ينظر إليه كمرسلة مشفرة عبر وسيطها المكتوب أو الشفوي"[4]. ومن هنا وتبعا

1- محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، المرجع السابق، ص 11.

2- إكرام بن سلامة: المنطلقات اللغوية لتحليل الخطاب الشعري في النقد العربي القديم، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر 2008 م - 2009 م، ص 23.

3- دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط 1، 1428هـ 2008 م، ص 38.

4- عبد الواسع حميري: الخطاب والنص، المرجع السابق، ص 123.

لهذا التمييز يتصل الخطاب بالجانب التركيبي. أما النص فيتصل بالجانب الكرافي في خطيته كما يتجلى لنا على الورق[1].

وهناك من الباحثين من فرق بين الخطاب والنص بالكتابة، ومن أصحاب هذا التوجه نجد **'بول ريكور'** الذي يعرِّف النص بأنه "كل خطاب مثبت بواسطة الكتابة" [2]. وهذا يعني أن الخطاب عند **'بول ريكور'** متعلق باللغة المنطوقة، أما النص فيتحدّد من خلال الكتابة، فالنص بهذا المنظور عبارة عن خطاب مثبت بالكتابة. وهذا ما يؤكدّه **'روبير سكاربيت R. scarpit'** بقوله أنّ "اللغة الشفوية تنتج خطابا **des discours** بينما الكتابة تنتج نصوصا **des texts** وكلاهما يحدد بالرجوع إلى القناة التي يستعملها"[3] لذلك يعرف النص بنظامه الخطي وديمومته، أما الخطاب فإن محدوديته وديمومته مرتبطة بالمتكلم والسامع.

ومن خلال ما سبق يمكن القول أنّ الفرق بين الخطاب والنص حسب هذا الرأي راجع إلى اختلاف في زاوية النظر، وليس إلى طبيعة المصطلحين، وعلى هذا الأساس يمكن القول أنّ الخطاب يطلق على ما نتلفظ به، أما النص يطلق على ما نكتبه أو ما نقرأه.

ومن بين الذين طرحوا الفارق بين النص والخطاب عند العرب المحدثين نذكر على سبيل المثال لا الحصر الباحث **'محمد مفتاح'** الذي يرى أنّ "النص عبارة عن وحدات لغوية منضدة متسقة، وأنّ الخطاب عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة

1- عبد الواسع حميري: الخطاب والنص، المرجع السابق، ص 123.

2- المرجع نفسه، ص 125.

3- هاجر مدقن: الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، دراسة تطبيقية في 'كتاب المساكين' لـ: الرافعي، مذكرة ماجستير، جامعة ورقلة الجزائر ،2003 م، ص 12.

ومتسقة ومنسجمة. مضيفا قوله "نحن نجعل الخطاب أعّم من النص، فالتخاطب أعّم من التناص"[1].

وانطلاقا مما سبق يتضح لنا ارتباط الخطاب عند الكثير من الباحثين بالجانب المنطوق أما النص فقد ارتبط بالجانب المكتوب، وهناك من الباحثين من فرّق بين النص والخطاب بظروف الإنتاج أي السياق، ولكن في مجال اللسانيات الأمر يختلف "فالخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة؛ أي أنّه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق. وإذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاختزان في الذاكرة من خلال استعمال النص فإنّ عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما، والنصوص وسيلة من وسائل حمل الأنشطة الإنسانية "[2].

وفي الأخير يمكن القول أنّ "النص يمثل وحدة ملموسة مسجلة عبر وسيط ما أو على الأقل يمكن تسجيلها. وأما الخطاب فهو عنصر فكري مجرد يصعب ضبطه وتحديده في عناصر ملموسة معدودة "[3].

1- إكرام بن سلامة: المنطلقات اللغوية لتحليل الخطاب الشعري في النقد العربي القديم، مرجع سابق، ص 23.

2- روبرت دي بو جراند: النص والخطاب والإجراء، مرجع سابق، ص 6.

3- بسمة بالحاج رحومة الشكيلي وآخرون: مقالات في تحليل الخطاب، تقديم حمادي صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية جامعة منوبة، تونس، 2008 م، ص 76.

الفصل الثاني: التماسك النصي وأدواته

I. مفهوم التماسك النصي

1. التماسك النصي عند العرب القدامى

2. التماسك النصي عند المحدثين

II. الاتساق

1. مفهومه

1.1. الاتساق لغة

2.1. الاتساق اصطلاحا

III. وسائله

1. الإحالة

1.1. مفهومها

2.1. أنواعها

2. الاستبدال

1.2. مفهومه

2.2. أنواعه

3. الحذف

1.3. مفهومه

2.3. أنواعه

4. الوصل

1.4. مفهومه

2.4. أنواعه

5. الاتساق المعجمي

1.5. مفهومه

2.5. أنواعه

IV. الانسجام

1. مفهومه

1.1 الانسجام لغة

2.1. الانسجام اصطلاحا

V. آلياته

1. السياق

1.1. السياق لغة

2.1. السياق اصطلاحا

1.2.1. السياق في الثقافة العربية

2.2.1. السياق في الثقافة الغربية

1. 3. أنواع السياق القرآني

2. التغريض

1.2. مفهومه

3. بنية الخطاب

1.3. مفهومها

2.3. دور المتلقي في انسجام الخطاب

3.3. خصائص البنية الخطابية

يعدّ التماسك النصي من أبرز قضايا لسانيات النصّ، كما أنّه يشكل مظهرا من المظاهر النصية التي ركّز عليها علماء لسانيات النصّ لكونه يقوم على قرائن لغوية وغير لغوية تتجاوز حدود الربط بين أجزاء الجملة الواحدة إلى الربط بين مجموعة من الجمل، فهو ينطلق من النظرة الكلية للنصّ دون الفصل بين أجزائه ليظهر كنسيج واحد وبنية كلية، ومن خلاله–التماسك –يمكن الحكم على النصّ بالجودة والبراعة أو بسوء التركيب والصياغة فهو معيار أساسي للتفريق بين النصّ واللانصّ.

I. مفهوم التماسك النصي:

من المهم الإشارة إلى جهود علمائنا القدامى، في فهمالتماسك النصي قبل أن نلّج في غمار هذا المصطلح عند المحدثين لأنّه بكل بساطة لا يمكننا"إهدار أربعة عشر قرنا من النتاج اللساني المتميز، الذي هو إنجاز قوم من أعلم الناس بفقه العربية وأسرار تركيبها، وذخائر تراثها، فلن يتحقق طموح في وضع نظرية علمية دون إحياء الأفكار الصالحة في التراث والإفادة من الدراسات الحديثة...والإخلاص للبحوث التطبيقية"[1].

1ـ التماسك النصي عند العرب القدامى:

لعلّ من أبرز الأدلة والبراهين التي تؤكد اهتمام القدامى بقضية التماسك النصّي تلك المصطلحات النصية التي وظفوها في منجزاتهم البلاغية والنقدية وفي كتب الإعجاز والتفسير...كمصطلح السبك، الحبك، التناسب، التلاحم، التضام، الانسجام، الاتساق...

ونجد من أهم علمائنا الكبار الذين تفطنوا إلى قضية التماسك النصي وأشاروا إليها في مباحثهم ودراساتهم العالم البلاغي الجليل **'عبد القاهر الجرجاني'** –رحمه الله– إذ نجده يقول في هذا الصدد: "واعلم أنّ مما هو أصل في أن يدق النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت: أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا وأن يكون

1– صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ج1، ص 83.

حالك فيها حال الباني يضع التفرق بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين...واعلم أنّ من الكلام ما أنت إذا تدبرته أن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية حتى انتظم، بل ترى سبيله في ضمّ بعضه إلى بعض، سبيل من عمد إلى لآلء فخرطها في سلك، لا يبغي أكثر من أن يمنعها التفرق..."[1].

لقد بيّن **'الجرجاني'**-رحمه الله-من خلال قوله هذا أهمية اتحاد وتضام وانتظام أجزاء الكلام فيما بينها، وضرورة ارتباط الجملة الأولى بالجملة الثانية وهكذا دواليك حتى نهاية النصّ.

لم يتوقف **'عبد القاهر الجرجاني'**-رحمه الله-عند هذا الحد فحسب، وإنّما تجاوزه إلى وصف الطرق والوسائل التي يتم بها اتساق النص وانسجامه كطريقة الوصل والفصل، والتي يتمثل فيها التماسك الشكلي والتماسك الدلالي وصولا إلى التماسك الكلي لذلك نجده تعرض لبعض أدوات العطف كالواو، والفاء، وثم...التي تسهم جميعا في الترابط الظاهر سطحيا إذ يقول: "فأمر العطف إذن موضوع على أنّك تعطف تارة جملة على جملة وتعمد أخرى إلى جملتين أو جمل فتعطف بعضها على بعض ثمّ تعطف مجموع هذه على تلك"[2].

وبالإضافة إلى اهتمامه بارتباط الجمل بعضها ببعض بواسطة الأدوات كالواو وغيرها فإنّه اهتم أيضا بالعلاقة الخفية بين الجمل المشكلة للنصّ، وهي علاقة لا تعتمد على رابط شكلي ظاهر سطحيا[3]. حيث مثل لهذه العلاقة بأمثلة من القرآن الكريم،**قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ ﴾لقمان: ٧.يعقب

1- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص135-138.

2- المرجع نفسه، ص189.

3- محمد خطابي: لسانيات النصّ، مرجع سابق، ص 107.

'الجرجاني'– رحمه الله– على الآية الكريمة قائلا: " لم يأت معطوفًا نحو(وكأنّ في أذنيه وقراً) لأنّ المقصود من التشبيه (بمن في أذنيه وقرٌ) هو بعينه المقصود من التشبيه (بمن لم يسمع) إلا أنّ الثاني أبلغ وآكد في الذي أريد، وذلك أنّ المعنى في التشبيهين جميعاأن ينفي أن يكون لتلاوة ما تلي عليه من الآيات فائدة معه، ويكون لها تأثير فيه وأن يجعل حاله إذا تليت عليه إذا لم تتل، ولا شبهة في أنّ التشبيه بمن في أذنيه وقر أبلغ وآكد في جعله كذلك من حيث كأن من لا يصحّ منه السمع وإن أراد ذلك، أبعد من أن يكون لتلاوة ما يتلى عليه فائدة من الذي يصحّ من السمع..."[1].

بهذا يتضح: "أنّ تأكيد جملة لأخرى وسيلة هامة من وسائل تماسك النصّ/الخطاب رغم أنّ كيفية الاتصال معنوية غير معتمدة على رابط شكلي"[2].

ف **'الجرجاني'**كان على دراية بأهم قضية في لسانيات النصّ اليوم ألا وهي التماسك النصي (الاتساق/الانسجام).

إلى جانب **'الجرجاني'** نجد عالما آخر أفاض البحث في الوسائل والعلاقات والكيفيات التي يتماسك بها النصّ لدرجة أنّها لم تظهر عند غيره كما ظهرت في إنتاجه ألا وهو **'حازم القرطاجني'** (ت684 هـ).

حيث نجده – **القرطاجني**– يقول فيما يخص العلاقات التي تكون بين الفصول (كالجزء والكل والخاص والعام...) والتي يعتبرها أساسية في تماسك هذه الفصول: "ومن القصائد ما يكون اعتماد الشاعر في فصولها على أن يضمنها معاني جزئية تكون مفهوماتها شخصية ومنها ما يقصد في فصولها أن يضمن المعاني الكلية التي مفهوماتها جنسية أو نوعية ومنها ما يقصد في فصولها أن تكون المعاني المضمنة إياها مؤتلفة بين الجزئية والكلية..."[3].

1– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص 270 –271.

2– محمد خطابي: لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص 107 .

3– القرطاجني أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، مرجع سابق، ص 295.

بالإضافة إلى هذا فقد استعمل **"القرطاجني"** عدة مفاهيم فيما يخص العلاقات بين أجزاء النصّ الواحد من أشكال الترابط المضموني كالتناسب والاقتران والالتئام كما أشار أيضا إلى قوانين الابتداء أو ما سماه هو "بشروط الإبداع في المبادئ" وهوما يعرف في الدراسات النصية المعاصرة بمصطلح "**التغريض**" حيث يقول في ذلك: "وملاك الأمر في جميع ذلك أن يكون المفتتح مناسبا لمقصد المتكلم من جميع جهاته فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والنظم والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاء وتفخيم، وإذا كان القصد النسيب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقة وعذوبة من جميع ذلك، وكذلك سائر المقاصد"[1].

ولم يكتف **"القرطاجني"** بالاهتمام بالعلاقات بين أبيات الفصل الواحد، ولا عند العلاقة بين الفصول، وإنّما تجاوز ذلك إلى بعض الشروط التي ينبغي أن تحترم في مطلع كل فصل وفي نهايته وسماها بالتسويم والتحجيل.

كل هذا وغيره ينمّ عن مدى عبقرية **"القرطاجني"** وحنكته المعرفية، إذ يعدّ واحدا من النقاد القلائل الذين أعطوا تحليلا دقيقا ومفصلا لكيفية تماسك النص الشعري وتلاحمه.

وعلى غرار هذين القطبين–**الجرجاني/القرطاجني** نجد قطبا آخر اهتم بقضية التماسك النصي اهتماما منقطع النظير ألا وهو **"الجاحظ"** (ت255ه) وذلك من خلال تعريفه للشعر إذ اشترط فيه الترابط والتماسك، ونجده في هذا السياق يقول: "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكاواحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"[2]. فجودة الشعر عند **"الجاحظ"** مرهونة بمدى التحام أجزائه وتواؤمها.

1– القرطاجني أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، المرجع السابق، ص 310.

2– أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان والتبين، قدم له وبوبه وشرحه علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ط)، 2002م ج1، ص 18.

نجد أيضا من الذين اهتموا بقضية التماسك النصي**'أسامة ابن المنقذ'** (ت530هـ) إذ أورد نصا مهما في تعريف السبك حيث يقول: "السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره"[1].

ونجده – أي **أسامة ابن المنقذ**– في موضع آخر يقول: "خير الكلام المحبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض، كقول زهير ابن أبي سلمى:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا ما طعنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقـــــــــا"[2]

وعلى غرار البلاغيين نجد أيضا النقاد القدامى قد أشاروا إلى فكرة التماسك النصي وخير مثال على هؤلاء **'ابن طباطبا'** العلوي وذلك في معرض حديثه عن تأليف الشعر إذ نجده يقول: "ينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتنتظم له معانيها، ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه فينسى السامع المعنى الذي يسوق القول إليه كما أنّه يحترز من ذلك في كل بيت، فلا يباعد كلمة عن أختها ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها، ويتفقد كل مصراع، هل يشاكل ما قبله؟ فربّما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر، فلا يتنبه على ذلك إلا من دق نظره ولطف فهمه"[3].

ف **'ابن طباطبا'** في قوله هذا يؤكّد على ضرورة اتساق أبيات القصيدة، وحسن تجاورها وانتظامها، وقوة ترابطها وتعلق أولها بآخرها "فانتظام المعاني واتصال الكلام بعضه ببعض أمور ينبغي لها أن تفهم وتراعى في ضوء الاستمرارية المعنوية التي توفر

1– أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده، مصر، 1960م، (د.ت)، ص 163.

2– المصدر نفسه، ص 163.

3– محمد أحمد بن طباطبا العلوي: عيار الشعر، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1982 م، ص 129.

للنص/الخطاب حبكًا طولياً هو نواة أبنيته الصغرى، كما توفر لها حبكا كليا هو نواة أبنيته الكبرى، وهما يؤديان بالضرورة إلى المشاكلة بين أجزاء النصّ"[1].

وإلى جانب علماء البلاغة والنقاد نجد أيضا علماء التفسير قد تفطنوا إلى قضية التماسك النصي، ودوره في فرادة النص القرآني وتميزه عن باقي الخطابات الأخرى حتّى كأنّه كلمة واحدة وذلك لقوة ترابط وتعاضد آياته وسوره، ولعلّ من أبرز علماء التفسير الذين أولوا عناية كبيرة بقضية التماسك النصي الإمام **'السيوطي'** (ت911هـ) وذلك من خلال كتابه النفيس **'تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور'** إذ ركّز فيه على قضية من أهم قضايا التماسك النصي ألا وهي قضية التناسب في المعاني والمقاصد بين نصوص السور إذ نجده يقول في هذا الشأن: "إنّ القاعدة الأساسية التّي استقر بها القرآن: أنّ كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح وإطناب لإيجازه وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن طويلها وقصيرها..."[2].

هذه هي القاعدة التي يرى **'السيوطي'** أنّها تحكم ترتيب السور وهي كما يرى **'محمد خطابي'** تتخذ الجانب العقلاني في الإجمال أو التفصيل أساسا لهذا الترتيب[3].

ولم يتوقف الإمام **'السيوطي'** عند هذا الحد بل عدّ الالتئام والتناسب أحد وجوه الإعجاز القرآني إذ يقول: "فالوجه الثالث من وجوه إعجازه حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحتها...والوجه الرابع مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني"[4].

1- محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، مرجع سابق، ص 103.

2- جلال الدين السيوطي: تناسق الدرر في تناسب السُّور، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، (د.ت) ص 65.

3- محمد خطابي: لسانيات النص، مرجع سابق، ص 198.

4- جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، (د.ت)، ج 1 ص 23-43.

وإلى جانب الإمام **'السيوطي'** نجد قطبا آخر سلط الضوء على قضية التماسك النصي وذلك من خلال اهتمامه بعلم المناسبات ألا وهو الإمام **'برهان الدين البقاعي'** في كتابه الموسوم بـ **'نظم الدرر في تناسب الآيات والسور'**،"إذ يعدّ هذا المؤلَف من أبرز وأهم الكتب التي ألفت في قضايا الدراسات النصية، على مستوى التطبيق في التراث العربي ومن الكتب السبّاقة في مضمار الربط بين الجمل، في المتتالية النصية، سواء على مستوى ربط السورة الواحدة، أو ربط السور المتتالية والمتباعدة حتى أنّه ربط سورة الناس بسورة الفاتحة، ولم يأل جهدا في الربط ما بينهما"[1].

إذ نجده يقول في حديثه عن سورة الناس: "ومقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن، والتي هي مصادقة الله ومعاذة الشيطان، ببراعة الختام، وفذلكة النظام، كما كانت الفاتحة شاملة لذلك، لأنّها براعة الاستهلال ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول، واتصال العلة بالمعلول والدليل بالمدلول، والمثل بالمثول"[2].

ف **'البقاعي'** يركّز على ربط الجمل بعضها ببعضها الآخر، أكثر من عنايته بربط عناصر الجملة الواحدة، ولم يكن إنكارا منه لوجود رابط، بل لأنّه رأى أنّ ذلك أسهل، إذ نجده يقول في هذا الخضم: "وهذا العلم – يقصد علم المناسبات– ليكشف أنّ الإعجاز طريقتان: أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التراكيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب والأول أقرب تناولا، وأسهل ذوقاً"[3].

1– عمر أبو خرمة: نحو النصّ–نقد نظرية وبناء أخرى–عالم الكتاب الحديث أربد، الأردن، (د.ط)، 2004 م، ص 48 .

2– برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الاسمي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت) ج 22، ص 423.

3– المصدر نفسه، ج 1، ص 11.

ويرى في توضيح الفكرة الثانية أنّ: "الذي ينبغي في كل آية هو أن يبحث عن كونّها تكملة لما قبلها أومستقلة، ثمّ المستقلة، ما وجه مناسبتها لما قبلها"[1]. فمؤلف **'الإمام البقاعي'**– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور– يعدّ آية منقطعة النظير في دراسة علم التناسب في جميع كتاب الله عزّ وجلّ، فكانت محاولته بذلك محاولة متكاملة لم توجد عند أحد من قبله.

هذه مجرد إشارات بسيطة فيمايخص نظرة علمائنا القدامى إلى قضية التماسك النصي وأدواته، وهناك الكثير من الأمثلة التي تؤكد إدراكهم القضية لكنها لا تزال مغمورة وفي طي النسيان وتحتاج إلى من يميط اللثام عنها، وفي الأخير يمكن القول بأنّ علمائنا القدامى على اختلاف مشاربهم بلاغيين، نقاد، مفسّرين...قد تفطنوا إلى فكرة التماسك النصي، بيد أنّ آراءهم تلك لم تكن متبلورة في نظرية معرفية كاملة وقائمة بذاتها وإنّما بقيت مشتتة ومتفرقة على شكل مباحث بين طيات الكتب هنا وهناك.

1– البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المرجع السابق، ج 1، ص 8.

2. التماسك النصي عند المحدثين:

يعدّ التماسك النصّي عند المحدثين من أهم الأفكار التي سُلِط عليها الضوء في الدرس اللساني الحديث حتى عدّه البعض كل شيء في التحليل النصّي، لكن هذا المصطلح كغيره من المصطلحات الأخرى صعب الاتفاق على مفاهيمه؛ وذلك بسبب كثرة روافده وتعدد منابعه المعرفية، زد على ذلك عدم اقترانه بعالم لغوي أو بمدرسة لغوية بعينها فأصبح الدارس يجد نفسه أمام زخم هائل من المفاهيم والمصطلحات والتصورات النظرية، لذا اتخذ هذا المصطلح أشكالا متعددة تبعاً للأسس التي استند عليها، كما تعدّ إشكالية ترجمة المصطلح أيضا من أبرز الأسباب التي صعبت الاتفاق على مفاهيمه.

ويمكننا أن نلتمس التماسك في النصّ من خلال خاصيتين أساسيتين إحداهما خاصية الاتساق **(cohésion)** وهي ذات سمة سطحية شكلية أما الخاصية الثانية فهي الانسجام **(cohérence)**، وهي ذات سمة تركيبة دلالية، وهاتان الخاصيتان تتضافران معاً لتحقيق التماسك النصي.

II. الاتساق cohésion:

يعدّ الاتساق أحد المصطلحات الجوهرية في لسانيات النصّ، ومعياراً من أهم معايير النصية، كما أنّه يعدّ آلية من أبرز الآليات المتحكمة والمساهمة في دراسة بنية النصّ، وإبراز مواطن تحقق التماسك فيه من عدمها، وقبل أن نتعرف على مفهوم الاتساق عند أقطاب لسانيات النصّ يجب أن نبحث عن دلالة هذا المصطلح في المعاجم والقواميس اللغوية.

1. مفهومه:

1.1. الاتساق لغة:

إذا ما عدنا إلى المعاجم وأمهات الكتب باحثين عن المعنى الذي يمكن أن نلتمسه من خلال الجذر(وسق) وجدناه يدور حول مفهوم الاكتمال والتمام، فقد جاء في لسان العرب لـ **'ابن منظور'** (ت711هـ) في مادة (وسق): "والوسق: وقْرُ النّخْلَةِ. وأَوْسَقَتِ النَّخْلَةُ: كَثُرَ حَمْلهَا، والوُسُوقُ: ما دَخَلَ فِيهِ اللَّيْلُ وضمَّ. وقَدْ وسَقَ اللَيْلُ واتّسَقَ؛ وكُلّ ما انْضَمَ فَقَد اتَّسَقَ. والطَّرِيقُ يَأْتَسِقُ ويَتّسِقُ أَيْ يَنْظَمُ واتّسَقَ القَمَرُ: استوى. وفي التنزيل العزيز:﴿ **فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ** ﴾؛ قال الفراء: وما وسق، أي وما جمع وضمّ واتساق القمر امتلاؤه ليلة ثلاث عشر وأربع عشر والوَسَقُ: ضَمُ الشّيء إلى الشّيء"[1].

أما في القاموس المحيط لـ **'لفيروز آبادي'** (ت817هـ) فقد جاء في جذر (وسق) ما يلي: "وسقه، يسِقُه، جَمَعَه وحَمَلهُ ومنه ﴿ **وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ** ﴾ واستوسقت الإبل اجتمعت واتسق انتظم"[2].

2.1. الاتساق اصطلاحا:

قبل أن نتطرق إلى مفهوم **الاتساق(cohésion)** عند أعلام لسانيات النصّ يجب أن نشير إلى مسألة مهمة ألا وهي مسألة التداخل بين مفهومي **الاتساق (cohésion)** و**الانسجام (cohérence)** إذ كثيرا ما عُبر عن الأول بالثاني، وقد أشار "**ميشال آدام**" إلى هذا التداخل وذلك من خلال مقال كتبه سنة (1977م) تحت عنوان **ordre du texteordre du discours** إذ يشير فيه إلى أنّه كثيرا ما يستعمل مصطلح **الانسجام**

1- ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ج 2، ، ص 4836 -4837.

2- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مرجع سابق، ص 281.

(cohérence) ويكون المقصود **الاتساق(cohésion)** وحتى "**ميشال آدام**" وقع في هذا التداخل، وذلك في مؤلفه الموسوم بـ"**Linguistique et discours littéraire**"[1].

أما الباحثون العرب فقد ترجم كل واحد منهم هذا المصطلح **(cohésion)** حسب توجهه وزاوية نظره، فهناك من ترجمه **بالاتساق** أمثال **'محمد خطابي'** وهناك من ترجمه بـ **'السبك'** كما فعل **'سعد مصلوح'**، وهناك من ترجمه بأكثر من مصطلح أمثال **'أحمد عفيفي'** إذ ترجمه بـ **التضام** و**السيك والربط**...غير أنّ الأمر لم يتوقف بهم – أي الباحثين العرب– عند هذا الحد بل أعطى البعض منهم لمصطلح **الاتساق** من الدلالة أكثر ممّا يحتمل.

ولكي نتفادى هذا الخلط والتداخل انتقينا مصطلح الاتساق كمقابل للمصطلح الأجنبي **(cohésion)** ومصطلح **الانسجام** كمقابل للمصطلح الأجنبي **(coherence)**.

أما إذا ما رجعنا إلى أبرز التعريفات والمفاهيم التي أعطيت لمصطلح الاتساق فلعلّ أهمها وليس جلّها ما يلي:

يعرف **'هاليداي'** و**'رقية حسن'** الاتساق في مؤلفهما الموسوم بـ "**الاتساق في الإنجليزية Cohesion in English**" على أنّه: "مفهوم دلالي، إنّه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النصّ، والتي تحدّده كنص"[2].

فالاتساق عند الباحثين –هاليداي ورقية حسن – هو جزء من النظام اللغوي، كما أنّه يمثل مفهوما دلاليا لأنّه يرتبط بالعلاقات الدلالية التي توجد داخل النصّ.

كما يرى الباحثان – هاليداي ورقية حسن– أنّ الاتساق يظهر حين يعتمد تأويل عنصر ما في الخطاب على تأويل عنصر آخر إذ يفترض كل منهما الآخر، بحيث لا يمكن فعلا فهم الثاني إلا بالرجوع إلى الأول، وحين يحدث هذا تتأسس علاقة الاتساق

1– مفتاح بن عروس: الاتساق والانسجام، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الأدب العربي قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر،2007/ 2008 م، ص 15.

2– محمد خطابي: لسانيات النص، مرجع سابق، ص 15.

ومن ثمّ يدمج العنصران المفترِض والمفترَض في النصّ احتمالا على الأقل[1]. ويعدّ الباحثان الاتساق جزءا من النظام اللغوي، ويحتمل وجوده في الوسائل النظامية للإحالة والحذف...الموجودة في اللغة ذاتها، غير أنّ تحقيق الاتساق في أية حالة لا يعتمد على اختيار عنصر معين ضمن هذه الوسائل فحسب بل على وجود عنصر آخر يعين الافتراض الذي يقيمه هذا العنصر[2].

أما الاتساق عند **'دي بوجراند'** فهو معيار من أهم معايير النصية وهو "يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط على هيئة نحوية للمركبات والتراكيب والجمل، وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية والأدوات والإحالة المشتركة والحذف والروابط"[3].

فـ **'دي بوجراند'** يشير إلى تلك العلاقات التي تربط أجزاء النصّ بعضها ببعض على مستوى البنية السطحية.

فحين يرى **'carter'** أنّ "الاتساق ناتج عن العلاقات الموجودة بين الأشكال النصية أما المعطيات غير اللسانية (مقامية، تداولية) فلا تدخل إطلاقا في تحديده"[4]. فالاتساق وفقه يقتصر على الوسائل اللغوية الشكلية فقط.

أما **الاتساق** عند **'محمد خطابي'** فهو "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنصّ/خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"[5].

1- شريفة بلحوت: الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب ل م.أ.ك هاليداي ورقية حسن، مذكرة أعدت لنيل شهادة الماجستير، تخصص ترجمة قسم اللغة العربية وآدابها،2005جامعة الجزائر، -2006 م، ص 75.

2- المرجع نفسه، ص 76 .

3- روبرت دي بوجراند: النصّ والخطاب والإجراء، مرجع سابق، ص 103.

4- نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 81.

5- محمد خطابي: لسانيات النص، المرجع السابق، ص 5.

فالاتساق حسب **'محمد خطابي'** هو علاقة نحوية تركيبية تقتصر على البنية السطحية الشكلية للنصّ، أي على العلاقات التي توفرها وتمنحها الأدوات الرابطة لأجزاء النصّ.

ثم نجد **'خطابي'** يواصل كلامه مبينا الكيفية التي تحقق الاتساق في نصّ من النصوص قائلا: "ومن أجل وصف اتساق الخطاب/النصّ يسلك المحلل الواصف طريقة خطية متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالباً) حتى نهايته، راصدا الضمائر والإشارات المحيلة، إحالة قبلية أو بعدية، مهتما بوسائل الربط المتنوعة كالعطف والاستبدال، والحذف، والمقارنة والاستدراك وهلم جرا. كل ذلك من أجل البرهنة على أنّ النصّ/الخطاب (المعطى اللغوي بصفة عامة) يشكل كلا متآخذاً"[1].

هذه الوسائل التي ذكرها خطابي هي نفسها التي تطرقها لها الباحثان **'هاليداي'** و**'رقية حسن'** في مؤلَفهما **'الاتساق في الانجليزية'**.

أما **'سعد مصلوح'** فيتخذ مصطلح **السبك** كمقابل للمصطلح الأجنبي **Cohésion** ويرى أنّ "السبك يختص بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النصّ"[2]. والمقصود بظاهر النصّ حسبه تلك الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها، بما هي كم متصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية، ولكنّها لا تشكل نصّا إلا إذا تحقق لها وسائل السبك ما يجعل النصّ محتفظا بكينونته واستمراريته ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي **'grammaticaldependency'**[3].

1- محمد خطابي: لسانيات النص، المرجع السابق، ص 5.

2- سعد عبد العزيز مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، ط1، 2003م ص 228.

3- المرجع نفسه، ص 288 .

فالاتساق عند **'سعد مصلوح'** يتحقق من خلال الآليات النحوية التي تتوزع على سطح النصّ وتربط بين أجزاءه فتضمن له خاصية الاستمرارية.

أما الاتساق عند **'أحمد عفيفي'** فهو"معيار يهتم بظاهر النصّ، ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي"[1].

فتعريف **'عفيفي'** يحاكي إلى حدٍّ بعيد تعريف **'دي بوجراند'** و**'سعد مصلوح'** فالاتساق عندهم يتعلق بظاهر وسطح النصّ.

ويتخذ **'صبحي إبراهيم الفقي'** مصطلح **التماسك النصي** كمقابل للمصطلح الأجنبي **cohesion** وهو عنده "تلك العلاقات النحوية، أو المعجمية بين العناصر المختلفة في النصّ وهذه العلاقة تكون بين جمل مختلفة أو أجزاء مختلفة من الجملة "[2].

في الأخير يمكننا القول أنّ الاتساق لا يتم في المستوى الدلالي فقط وإنّما يتم أيضا في مستويات أخرى كالمستوى المعجمي /النحوي والمستوى الصوتي / الإملائي، كما أنّه يمثل العلاقات السطحية للنص؛ أي الوسائل والروابط التي تُكوِن بنية النصّ، وهو نوع من العلاقات التي يمكننا التعرف عليها مباشرة، ويتم تحققه بوجود عناصر لغوية معينة داخل النصّ مثل الضمائر والحذف والاستبدال وغيرها، وأنّ دوره في نهاية المطاف هو إعطاء النصّ انسجاما واستمرارية والتحاما.

III. وسائله:

تعددت واختلفت أراء الدارسين حول أدوات الاتساق وآلياته، ومرد هذا الاختلاف راجع في حقيقة الأمر إلى كيفية تحليل النص، وإلى تعدد المصطلحات التي يمكن إطلاقها على كل وسيلة من وسائل الاتساق، غير أنّ زوايا نظر الباحثين على الرغم من اختلافها في بعض الأحيان إلا أنّها تتفق وتجتمع في أحيانٍ كثيرة.

1- أحمد عفيفي: نحو النص، مرجع سابق، ص 90.

2- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ج 1، ص 95.

ولعلّ من أبرز من تحدث وسائل الاتساق بإسهاب الثنائي الشهير **'هاليداي'** و**'رقية حسن'** في كتابهما الموسوم بـ **'الاتساق في الانجليزية'**، إذ أفرد لكل وسيلة من وسائل الاتساق فصلا خاصا، وهي حسبهما خمسة يمكن إجمالها في الأتي:[1]

1) الإحالة. 2) الاستبدال. 3)الحذف.

4) الوصل. 5) الاتساق المعجمي.

فحين تتمثل أدوات الاتساق عند **'روبرت دي بوجراند'** فيما يلي:[2]

1) التكرار. 2) اتحاد المرجع. 3) الحذف.

4) التعريف. 5) الإحالة. 6) الربـط.

فـ **'دي بوجراند'** منح وسائل الاتساق بعدا دلاليا وآخر تداوليا، وفي عمل آخر له أضاف وسيلة أخرى ألا وهي التوازي[3]، ولكن على الرغم من هذا التصنيف الذي أتى به **'دي بو جراند'** إلا أنّه لم يخرج كثيرا عن تصنيف **'هاليداي'** و**'رقية حسن'**.

ومن الباحثين العرب الذين اهتموا بوسائل الاتساق وأعطوها تصنيفا آخرا نجد **'أحمد عفيفي'**، إذ جعلها سبعا وهي:[4]

1) إعادة اللفظ. 2)التضـام. 3)التعريف.

4) الإحالـــــة. 5)الاستبدال. 6) العطف.

7) الربط الرصفي.

أما الباحث العربي **'صبحي إبراهيم الفقي'**فقد صنف أدوات الاتساق إلى صنفين هما:[5]

1- أنظر محمد خطابي: لسانيات النصّ، مرجع سابق، ص 16-52.

2- روبرت دي بو جراند: النص والخطاب والإجراء، مرجع سابق، ص 301 .

3- محمد خطابي: لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص 229-230.

4- أحمد عفيفي: نحو النص، المرجع السابق، ص 105.

5- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، المرجع السابق، ج 1، ص 75 .

- ***وسائل تماسك داخلية:*** مثل العطف والوصل والفصل وأدوات التعريف والأسماء الموصولة والحال والزمان والمكان والرتبة والإسناد، ورأى بأنّ هذه الأدوات تلعب دورا كبيرا في تحقيق التماسك الداخلي للنصّ.

- ***وسائل تماسك خارجية:*** مثل المرجعية والإشارة، ويتمثل دورها في ربط العناصر داخل النصّ، وما يتصل بها من عناصر أخرى خارج النصّ.

1. الإحالة:

تعدّ الإحالة أو المرجعية –كما يسميها البعض–في علم اللغة النصي معيارا مهما من معايير الاتساق، وربط أجزاء النصّ وتماسكها، كما تساعد على تحفيز المتلقي، ولفت انتباهه للعلاقة المعنوية وإعمال ذهنه بين السابق واللاحق، والإحالة مصطلح تتجاذبه حقول معرفية عديدة كعلم الدلالة والتداولية وفلسفة اللغة والأدب ولسانيات النصّ، لكن نحن في بحثنا هذا سوف نسلط الضوء بطبيعة الحال على مفهوم الإحالة في لسانيات النصّ فحسب.

1.1. مفهومها:

في البداية تجدرنا بنا الإشارة إلى أنّ مصطلح الإحالة لم يغب عن ذهن علمائنا القدامى، فإذا ما بحثنا عن دلالة هذا المصطلح في المعاجم القديمة وجدناه يدور حول معنى الإتباع يقول **'الزبيدي'**: "يقال أتبع فلان بفلان أي أحيل له عليه. وأتبعه عليه أحاله"[1].

هذا فيما يخص المفهوم اللغوي للإحالة، أما المفهوم الاصطلاحي هو الآخر تفطن إليه العرب القدامى وذلك من خلال دراسة النحاة القدامى للإحالة: يعتمد على تصنيف الألفاظ إلى ألفاظ غير مبهمة وهي الألفاظ التي لها دلالة والتي تحيل بمفردها

1– السيد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم الغرباوى، ج 20، ص 383.

على خارجها في الواقع، وألفاظ مبهمة لها دلالة لكنك لا تعرف لها خارجا إلا متى توفر مفسّرها قد يكون مقاميا وقد يكون مقاليا.

ومن العلماء القدامى الذين أشاروا إلى الإحالة العالم النحوي الكبير **'سيبويه'** ويتجلى ذلك في قوله: "بدأوا بالإضمار لأنّهم شرطوا التفسير ونووا ومثل ذلك (رُبَّه رجلا) و(نعم رجلا) ولا يجوز كأن تقول (نعم) ولا (رُبَّه) وتسكت، لأنهم إنّما بدأوا بالإضمار على شريطة التفسير، وإنّما هو إضمار مقدم قبل الاسم والإضمار الذي يجوز عليه السكوت نحو (زيد ضربته) إنّما أضمر بعدما ذكر الاسم مظهراً، فالذي تقدم من الإضمار لازم له التفسير حتى يبينه، وممّا يضمر لأنّه يفسره ما بعده ولا يكون في موضعه مظهر قول العرب: (إنّه كرامٌ قومك) فالهاء إضمار الحديث الذي ذكرت بعد الهاء"[1]. فـ **'سيبويه'** كان على دراية بوسيلة الإحالة ولاسيما الإحالة البعدية.

كما لم تغب الوظيفة التي تلعبها الإحالة سواء أكانت إحالة بالضمائر أو بأسماء الإشارة في اتساق أجزاء النصّ وتماسكها عن ذهن علمائنا الأجلاء لاسيما المشتغلين بتفسير القرآن الحكيم، إذ تميز تناولهم بالتفطن إلى احتمال تعدد ما يحيل إليه الضمير وما يشير إليه اسم الإشارة، ولعلّ من أبرز هؤلاء المفسر الكبير الجليل **'الزمخشري'** إذ أشار هذا الأخير إلى الإحالة بالضمير وتعدد المحال إليه في تعقيبه على قوله تعالى:

﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾البقرة: ٤٥.

فيعلّق **'الزمخشري'** على هذه الآية الكريمة قائلا: "الضمير للصلاة أو للاستعانة يجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله تعالى: ﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ ﴾"[2].

1- أنظر أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 1988 م، ج2، ص 175-176.

2- الزمخشري: تفسير الكشاف، مرجع سابق، ج1، ص262.

وبهذا نستنتج أنّ الإحالة مفهوم قديم، لكنّه جديد بمفهوم استخدامه والتوسع فيه وفي تطبيقاته في علم اللغة النصي، ولهذا لم يُتفق على تعريف نهائي له فاستحق أن نتوقف أمام مفهومه الاصطلاحي.

إنّ الإحالة بمفهومها التقليدي هي تلك العلاقة القائمة بين الأسماء المسميات كما عرفها **'لاينز'** قائلا: "إنّ العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة فالأسماء تحيل على مسميات"[1].

يستعمل الباحثان **'هاليداي'** و**'رقية حسن'** الإحالة استعمالا خاصا، وهو أنّ العناصر المحلية كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها[2].

والإحالة حسبهما –**هاليداي ورقية حسن**– هي: علاقة دلالية، ومن ثمّ فهي لا تخضع لقيود نحوية، بل تخضع لقيود دلالية،إذ تستلزم وجود خصائص دلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه[3].

أما الإحالة حسب **'روبرت دي بوجراند'** فهي: "العلاقة بين العبارات من جهة والأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات"[4].

فحين نجد **'أحمد عفيفي'** يفرد كتابا خاصا للإحالة ويعرّفها على أنّها: "علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق أو يدل عليها المقام"[5].

1- أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النص، مرجع سابق، ص 116.

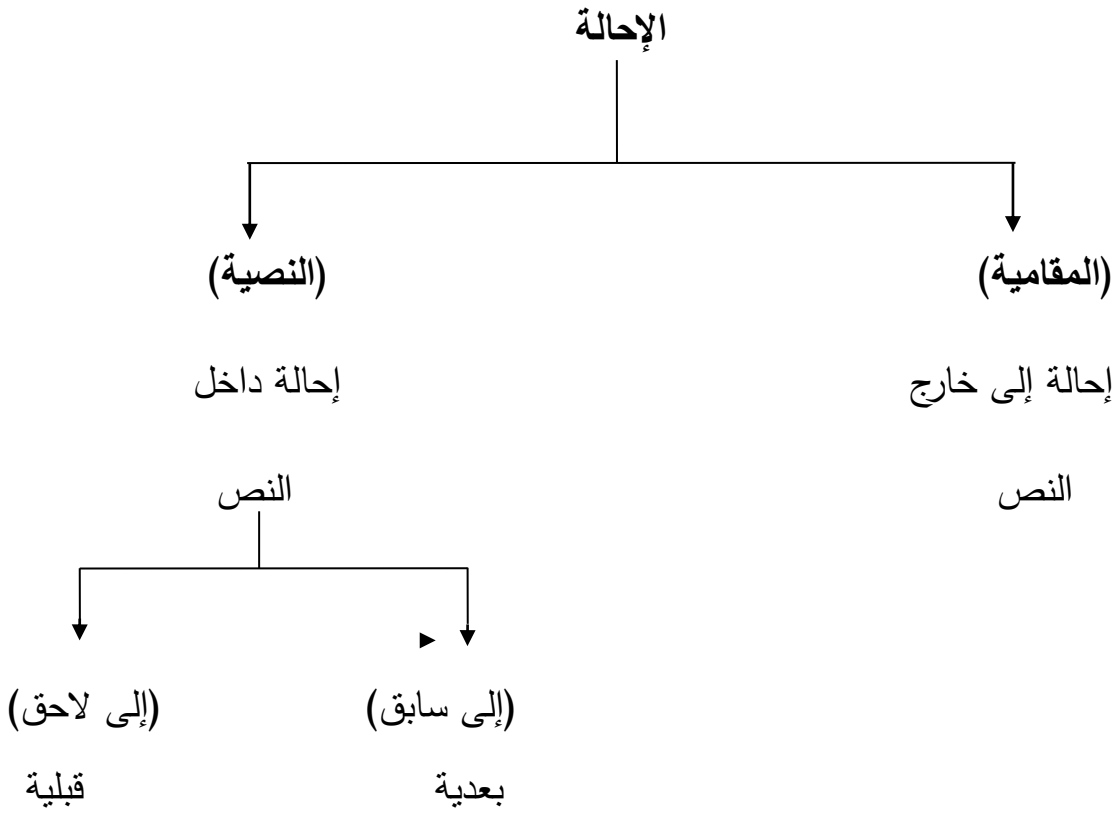
2- محمد خطابي: لسانيات النصّ، مرجع سابق، ص 16 -17.

3- المرجع نفسه، ص 17.

4- روبرت دي بو جراند: النصّ والخطاب والإجراء، مرجع سابق، ص 172.

5- أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النصّ، المرجع السابق، ص 13.

2.1. أنواع الإحالة:



1.2.1. الإحالة النصية:

تعرف أيضا بالإحالة داخل النص أو داخل اللغة وهي:"إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ سابقة كانت أو لاحقة"[1].

ويلعب هذا النوع من الإحالة دورا كبيرا في اتساق النصّ وتماسكه لذا يولي **'هاليداي'** و**'رقية حسن'** هذا النوع من الإحالة اهتماما خاصا وأهمية بالغة، كما أنّها تستخدم للدلالة على ذلك النوع الذي يحال فيه المخاطب على عنصر لغوي داخل النصّ

1- الأزهر الزنّادّ: نسيج النصّ، مرجع سابق، ص 118.

كما أنّها تركز على العلاقات اللغوية في النص وقد تكون بين ضمير وكلمة أو بين كلمة وكلمة أو عبارة وكلمة [1].

سنضرب مثال **'هاليداي'** و**'رقية حسن'** لتوضيح هذا النوع من الإحالة:

اغسل وانزع نوى ست تفاحات، ضعها في صحن مقاوم للنار[2]. فضمير **(الهاء)** في الجملة الثانية يحيل إلى ست تفاحات في الجملة الأولى، كما أنّه لا يمكن تفسيره إلا بالرجوع إلى ما يحيل إليه، وبالتالي ترتبط الجملتان وتشكلان نصّا. وتنقسم الإحالة النصية هي الأخرى إلى قسمين هما:

أ. إحالة قبلية:

يعرف هذا النوع بالإحالة إلى السابق أو كما يسميها **'الأزهر الزناد'** إحالة بالعودة[3] وهي عنده – أي **الأزهر الزنّاد**– "تعود على مفسر سبق التلفظ به، وفيها يجري تعويض لفظ المفسّر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر"[4].

كما تعني الإحالة القبلية استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أو عبارة سابقة في النصّ أو المحادثة[5].

وكمثال لهذا النوع من الإحالة، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ **البقرة: ١ – ٢.** في هذه الآية الكريمة توجد إحالة قبلية يمثلها ضمير **'الهاء'** الذي يحيل على الكتاب – أي القرآن الكريم– الذي سبق ذكره في الآية. و"الإحالة القبلية هي الأكثر دورانا في الكلام"[6].

1– صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ج1، ص1 .

2– محمد خطابي: لسانيات النص، مرجع سابق، ص 14.

3– الأزهر الزنّادَ: نسيج النصّ، المرجع السابق، ص 118.

4– المرجع نفسه، ص118.

5– صبحي إبراهيم الفقي: علم النص بين النظرية والتطبيق، المرجع السابق، ج1، ص 38.

6– الأزهر الزّنّاد: نسيج النصّ، المرجع السابق، ص 1.

ب. إحالة بعدية:

يسمى هذا النوع من الإحالة أيضا بالإحالة على اللاحق، وهي "تعود على عنصر إشاري مذكور في النصّ ولاحق عليه، ومن ذلك ضمير الشأن في العربية"[1].

سنضرب مثالا لهذا النوع من الإحالة، **قَالَ تَعَالَى:﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴾** الأنعام: ٣، فالضمير "هو" هنا يحيل إلى لفظ الجلالة **"الله "** الذي ورد بعده.

ج. إحالة مقامية:

تسمى بالإحالة خارج النص أو خارج اللغة، وهي: "الإحالة التي يحيلفيها المتحدث إلى شيء غير موجود في النصّ، ويمكن تسميتها بالإحالة لغير مذكور، أو لمرجع متصيد أي الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور"[2].

والإحالة المقامية تعرّف أيضا بأنّها:"إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي"[3].

ويعلّق **'دي بوجراند'** على هذا النوع من الإحالة قائلا:"تعتمد الإحالة لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف **contex** شأنها في ذلك شأن الإحالة لمذكور سابق **Anaphora** والإحالة لمتأخر **cataphora**"[4].

والإحالة الخارجية (المقامية) توجه المخاطب إلى شيء أو شخص في العالم الخارجي حيث "تسهم في خلق النصّ باعتبارها تربط اللغة بسياق المقام،إلا أنّها لا تساهم... في اتساقه بشكل مباشر"[5].

1- الأزهر الزّنّاد: نسيج النصّ، المرجع السابق، ص119.

2- روبرت دي بوجراند: النصّ والخطاب والإجراء، مرجع سابق، ص 301.

3- الأزهر الزنّادَ: نسيج النص، المرجع السابق، ص 119.

4- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، المرجع السابق، ص 332 .

5- محمد خطابي: لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص 17.

وكمثال على الإحالة المقامية قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْئَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ الأنبياء: ٦٣. فنحن في هذه الآية الكريمة لا نعرف أنّ المقصود بكبيرهم هو كبير الأصنام التي جعلوها آلهة إلا إذا عدنا إلى السياق أو معرفتنا السابقة.

3.1. وسائلها:

هذا فيما يخص أنواع الإحالة، أما وسائل الاتساق الإحالية فهي ثلاث حسب منظور **'هاليداي'** و**'رقية حسن'**:[1]

أ. الضمائر. ب . أسماء الإشارة. جـ . أدوات المقارنة.

ونحن هنا سنركز على تقسيمهما إلى:

أ. الضمائر:

تلعب الضمائر دورا كبيرا في الاتساق النصي؛ لكونها تنوب عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، كما أنّها تربط بين أجزاء النصّ المختلفة شكلا ودلالة داخليا وخارجيا، سابقة ولاحقة.

وتنقسم الضمائر في العربية إلى قسمين هما:ضمائر الحضور وضمائر الغياب وتتفرع ضمائر الحضور إلى ضمائر المتكلم باعتباره مركز المقام الإشاري وهو الباث وإلى ضمائر المخاطب لأنّ المخاطب هو الذي يقابل المتكلم في ذلك المقام ويشاركه فيه فهو المتقبل[2].

ضمائر الحضور تحقق الإحالة خارج النصّ بشكل نمطي ولا تصبح إحالة داخل النصّ أي اتساقية إلا في الكلام المستشهد به، أو في خطابات مكتوبة متنوعة من ضمنها الخطاب السردي فيبقى دور ضمائر الحضور ثانويا في اتساق النصّ.

1- محمد خطابي: لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص 18.

2- أنظر الأزهر الزّنّاد: نسيج النص، مرجع سابق، ص 117.

أما ضمائر الغياب فيخضع معيار التفصيل فيها للجنس والعدد[1]، ويؤدي هذا النوع من الضمائر دورا أساسيا في اتساق النصّ من خلال الربط بين أجزائه، والوصل بين أقسامه[2].

وهناك من وسع مفهوم الضمائر وجعلها تشمل كذلك الأسماء الموصولة باعتبار هذه الأخيرة تقوم بوظيفة المرجعية والربط، قد تشير هذه الأسماء إلى عنصر سابق أو لاحق في النصّ أو إلى خارج النصّ.

يقسم الثنائي **'هاليداي'** و**' رقية حسن'** الضمائر إلى:[3]

- ضمائر وجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هي، هم، هن...
- وضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابه، كتابنا...

ويرى **'أحمد عفيفي'** أنّ الضمائر الدالة أو المحيلة إلى متكلم أو مخاطب سواء كانت ضمائر وجودية أو ملكية فهي تعد من قبيل الإحالة خارج النصّ كالضمير 'أنا' أو'نحن' فإنّه يصدق على ذات خارج النصّ وكذلك عندما يخاطب الكاتب المتلقي فيستخدم الضمير أنت أو أنتم...فإنّه يحيل إلى مجموعة من الناس، هم أيضا خارج النصّ، وعلماء النصّ لا يعولون على هذا النوع من الضمائر في عملية الاتساق النصي وإنّما الذي يعولون عليه هو ضمائر الغائب التي تميل غالبا إلى شيء داخل النصّ وتُكَّون إحالة نصية، وهذا النوع من الضمائر يجبر المتلقي على البحث في النصّ عمّا يعود إليه الضمير، فيكون ذلك من قبيل الترابط النصي، وهذا ما يؤكّد على دراسته النصيين[4].

1- أنظر الأزهر الزّنّاد: نسيج النص، المرجع السابق، ص117 .

2- محمد خطابي: لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص 18.

3- المرجع نفسه، ص 18 .

4- أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النصّ، ص 23 -24.

سنورد مثالا من الذكر الحكيم يبرز أهمية الضمير ودوره في تواشج وتعالق أجزاء النصّ **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب:٣٥، فالضمير **' لهم'** دلّ على ثلاث وعشرين كلمة كاملة، وأغنى عن تكرارها وربط بين أجزاء الكلام.

ب . أسماء الإشارة:

تعدّ أسماء الإشارة من أبرز أدوات الإحالة إذ تقوم بالربط النصي عندما تستخدم في الإحالات القبلية والبعدية، وهي حسب منظور **'أحمد عفيفي'**:"...تتساوى مع ضمائر الغياب،إذ إنّها عادة تحيل إلى ما هو داخل النصّ"[1].

ويقسم **'أحمد عفيفي'** أسماء الإشارة إلى:[2]

1. تقسيم حسب الظرفية إلى:

- ظرفية زمانية مثل: الآن، غدا، أمس. - ظرفية مكانية مثل: هنا، هناك، هنالك.

2. تقسيم حسب المسافة إلى:

- بعيد مثل: ذاك، ذلك، تلك. - قريب مثل: هذا، هذه.

3. حسب النوع إلى:

- مذكر مثل: هذا. - مؤنث مثل: هذه.

1- أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النصّ، المرجع السابق، ص 24.

2- المرجع نفسه، ص 24.

4. حسب العدد:

- مفرد مثل: هذا، هذه. - مثنى مثل: هذان، هاتان.

- جمع مثل: هؤلاء.

تقسيم **'العفيفي'** هذا يحاكي إلى حدٍ كبير تصنيف الباحثان **'هاليداي'** و**'رقية حسن'** اللذان يقسمان بدورهما أسماء الإشارة إلى عدة أصناف، ويذهب الباحثان إلى أنّ هناك عدة إمكانيات لتصنيفها إما:[1]

- حسب الظرفية: الزمان(الآن، غداً...).

المكان(هنا، هناك...).

- حسب الحياد: (the).

- حسب الانتقاء: (هذا، هؤلاء...).

- حسب البعد مثلا: (ذلك، تلك...).

- حسب القرب مثلا:(هذه، هذا...).

وتقوم هذه الأسماء بالربط القبلي والبعدي في النصّ وتسهم في اتساقه[2].

سنعطي مثالا عن اسم الإشارة ودوره في تحقيق الإحالة الاتساقية، من خلال قوله تعالى:

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾الكهف:١٧.

1- أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النص، المرجع السابق، ص 19 .

2- المرجع نفسه، ص 19.

فاسم الإشارة "ذلك" أشار إلى شيء عظيم سابق أي شأنهم وحديثهم وما صنعه الله بهم من ازورار الشمس عنهم آية من آياته، كل هذا المعنى والترابط والتسلسل لم يكن ليتحقق لولا القيمة الإحالية والدلالية لاسم الإشارة.

جـ . أدوات المقارنة:

تصنع أدوات المقارنة ربطا واضحا بين السابق واللاحق ويقصد بأدوات المقارنة كلالألفاظ التي تؤدي إلى المطابقة أو المشابهة أو الاختلاف أو الإضافة إلى السابق كماّ وكيفا أو مقارنة، وذلك يظهر فيما يلي: مثل، مشابه، غير خلافا، علاوة على، بالإضافة إلى، أكبر من، كبير عن، كبير مثل، ومقارنة بما، أسوة بـ، فضلا عن...[1]

أما **'محمد الخطابي'** فيرى أنّ أدوات المقارنة تنقسم إلى عامة يتفرع عنها التطابق ويتم باستعمال عناصر مثل:(same) والتشابه (وفيه تستعمل عناصر مثل: similar...) والاختلاف(باستعمال عناصر مثل: otherwise, other) وإلى خاصة تتفرع إلى كمية (تتم بعناصر مثل: more...) وكيفية (أجمل من، جميل مثل...) وهذه الوسيلة لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية، وبناء عليه فهي تقوم مثل الأنواع المتقدمة لا محالة بوظيفة اتساقية[2]. وكشاهد على أدوات المقارنة، قوله تعالى:﴿**مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾آل عمران: ١١٧، فلفظة **'أكبر'** في الآية الكريمة ربطت الجملة الثانية بالجملة الأولى،لأنّه لا يكون شيء أكبر إلا بمقارنته بشيء أخر، ولا يعرف ذلك الشيء الآخر إلا بالرجوع إلى ما سبق في الآية، ومن تتحقق فكرة اعتماد أجزاء النصّ بعضهاعلى بعض، وعدم استغناء أحدها عن الآخر.

1- أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النص، المرجع السابق، ص 26 .

2- محمد خطابي: لسانيات النصّ، مرجع سابق، ص 19.

ونجد كلا من **'روبرت دي بوجراند'**و**'أحمد عفيفي'** و**'الأزهر الزناد'** يدرج وسيلة إحالية أخرى إلى جانب الوسائل الإحالية – السابقة الذكر– الضمائر أسماء الإشارة أدوات المقارنة ألا وهي "**الأسماء الموصولة**".

د. الأسماء الموصولة:

تعدّ الأسماء الموصولة من الألفاظ الإحالية التي لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود إلى عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب،كما أنّها تقوم أيضا على مبدأ التماثل والتطابق فيما هو موجود يظهر ذلك جليا في القسم المعروف باسم الموصول الخاص أو المختص مثل: الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي...

أما الاسم الموصول العام فإنّه لايمكن أن تنطبق عليه فكرة التماثل والتطابق، فهو من حيث الإبهام مبهم، لكنّه لا يطابق لأنه يأتي بلفظ واحد لكل الموجودات بأنواعها مثل: من وما...

وتشارك الأسماء الموصولة بقية أدوات الاتساق الإحالية في عملية التعويض، فهي ألفاظ كنائية لا تحمل دلالة خاصة، وكأنّها جاءت تعويض عما تحيل إليه، وهي أيضا تقوم بالربط الاتساقي من خلال ذاتها ومرتبطة بما يأتي بعدها من صلة الموصول التي تصنع ربطا مفهوميا بين ما قبل الذي وما بعده، حيث يشير النحويون إلى أنّ تلك الصلة ينبغي أن تكون معلومة للمتلقي (السامع) قبل ذكر اسم الموصول. وكمثال عن اسم الموصول ودوره في الإحالة الاتساقية، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾** ﴾الزخرف: ٩ – ١١، ما نلحظه على الآية الكريمة هو أنّ الاسم الموصول **'الذي'** المتكرر ثلاث مرات قد لعب دورا فعالا ومهما في الربط بين أجزاء الآيات الكريمة، إذ يحيل إلى

العزيز العليم – أي الله تعالى– وهو يقوم بخلق الاستمرارية بين الآيات ويحقّق الاتساق بينها.

في الأخير يمكن القول أنّ الإحالة بالضمائر هي أكثر الأدوات قوة في صنع الاتساق الدلالي للنصّ، وتجسيد وحدته العامة، بل إنّها تعدّ أهم الوسائل تحقيقا للتآلف ليس على مستوى أجزاء النصّ فحسب، بل على امتداد النصّ بأكمله، ذلك لأنّها تفرق بين الربط الرصفي والربط المفهومي، أي بين ما هو لفظي وما هو معنوي.

2. الاستبدال:

1.2. مفهومه:

يعدّ الاستبدال المظهر الثاني من مظاهر الاتساق، كما أنّه يعتبر مصدرا أساسيا من مصادر اتساق النصوص وتماسكها فهو"صورة من صور التماسك النصي التي تتّم بالكلمات أو العبارات"[1]. فـ "الاستبدال عملية تتم داخل النصّ، إنّه تعويض عنصر بعنصر آخر"[2].

ويعمل الاستبدال على اتساق النصّ داخليا في المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات أو عبارات، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي، ومعظم حالات الاستبدال النصي قبلية[3].

ويسهم الاستبدال في اتساق النص من خلال العلاقة بين العنصرين المستبدِل والمستبدَل، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وعنصر لاحق فيه ومن ثمّ

1– أحمد عفيفي: نحو النصّ، مرجع سابق، ص 122.

2– محمد خطابي: لسانيات النصّ، مرجع سابق، ص 19..

3– المرجع نفسه، ص 19 .

يمكن الحديث عن الاستمرارية "أي وجود العنصر المستبدل بشكل ما في الجملة اللاحقة"[1].

وهذا ما أشار إليه **'محمد خطابي'** قائلا: "ينبغي البحث عن الاسم أو الفعل أو القول الذي يملأ هذه الثغرة في النصّ السابق،أي المعلومات التي تمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي توجد في مكان آخر في النصّ"[2]. وكشاهد على الاستبدال**قوله تعالى**﴿ **قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ** ﴾آل عمران: ١٣

ما نلحظه على الآية الكريمة هو استبدال كلمة **'أخرى'** بكلمة **'فئة'**بمعنى وفئة كافرة.

2.2. أنواعه:

وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع:[3]

1.2.2. الاستبدال الاسمي:

يتم هذا النوع من الاستبدال باستعمال عناصر لغوية إسميه (مثل: آخر، آخرون نفس) أو (one, ones, same) ومثال هذا النوع، قوله تعالى:﴿ **وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا** ﴾الفتح:٢٠.

في هذه الآية تمّ استبدال كلمة **'غنائم'** بكلمة **'أخرى'**فالاستبدال وقع في المجموعة الاسمية.

1- محمد خطابي: لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص 20.

2- المرجع نفسه، ص 20-21.

3- محمد خطابي: لسانيات النص، ص 20-21، وأحمد عفيفي: نحو النصّ، ص 123-124.

2.2.2. الاستبدال الفعلي:

هذا النوع من الاستبدال يمثله استعمال العنصر يفعل أو استعمال العنصر وكمثال عن هذا النوع، قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾الممتحنة:١، وقع الاستبدال في هذه الآية الكريمة ضمن المجموعة الفعلية إذ أستبدل الفعل **'يتخذ'** بالفعل **'يفعل'**.

3.2.2.الاستبدال القولي:

يستعمل في هذا الصنف من الاستبدال العنصران (ذلك، لا) أو العنصران (No So) وكمثال على هذا النوع من الذكر الحكيم، **قَالَ تَعَالَى:**﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ ﴾الزلزلة:١- ٤.

الله تعالى استبدل الآيات 1، 2، 3، بتنوين العوض في قوله "**يومئذ**"، وتنوين العوض يؤدي وظيفة الإحالة التي تساهم في الربط بين الآيات.

3. الحذف:

1.3مفهومه:

يعدّ الحذف أداة من الأدوات الاتساقية المهمة التي تلعب دورا فعالا في تماسك النصوص وترابطها، ويختلف دور الحذف عن باقي الوسائل الاتساقية الأخرى كالاستبدال والإحالة، لكونه لا يترك أثرا عن المحذوف فيما يلحق من النصّ.

في البداية لابدّ من الإشارة إلى أنّ وسيلة الحذف ودورها في تماسك أجزاء النصّ لم تغب عن بال علمائنا القدامى على اختلاف سياقاتهم المعرفية نحويين، بلاغيين مفسرين...فقد أفردوا لهذه الأداة – أي الحذف– أبوابا وفصولا خاصة ومستقلة بذاتها

في مؤلَفاتهم، ولعلّ من أهم من تحدث عن مسألة الحذف العالم البلاغي الجليل **'عبد القاهر الجرجاني'** في كتابه النفيس **'دلائل الإعجاز'**إذ نجده يقول: 'وهو- أي الحذف- باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر،فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما يكون بياناً إذا لم تبن"[1].

لم يتوقف **'الجرجاني'** عند هذا الحد فحسب بل نجده يحلل شواهد شعرية من نظم **'البحتري'** ويعقب عليها مبينا مواطن الحذف فيها.

ونجد كذلك من العلماء العرب الذين كان لهم تصور حول مسألة الحذف النحوي الكبير **'ابن جني'** إذ نجده يقول في معرض حديثه عن الحذف: " قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة وليس شيء من ذلك إلى عن دليل عليه، وإلاّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[2].

فـ **'ابن جني'** في كلامه هذا يؤكد ويلح على ضرورة وجود الدليل الذي يدل أو يشير إلى المحذوف وذلك لتفادي اللبس والغموض في الكلام.

وقد أعطى **'ابن جني'** نماذج عن الحذف منها:[3]

- **حذف الجملة:** كجملة القسم والشرط والخبر وغيرها.

- **حذف المفرد:** ويكون على ثلاثة أضرب:اسم وفعل وحرف، ومن أضرب حذف الاسم: حذف المبتدأ والخبر والمضاف والموصوف...أما حذف الفعل فيتم والفاعل فيه، فيكون بمثابة حذف جملة، أو يحذف وحده، أما حذف الحرف فيكون لضرورة يقتضيها المعنى[4].

1- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص 188 .

2- أبو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 2، 2003 م، ج 2، ص 140.

3- المصدر نفسه، ص140.

4- أنظر المصدر نفسه، ص 142-158.

ومن الذين كانت لهم أيضا نظرة ثاقبة حول قضية الحذف ودوره في ترابط أجزاء التركيب وتماسكها القطب الكبير الإمام والمفسّر **'جلال الدين السيوطي'** إذ نجده يطلق على الحذف مصطلح **الإحتباك** مبررا هذه التسمية قائلا:"ومأخذ هذه التسمية من الحبك،الذي معناه الشدُّ والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب،فحبك الثوب سدّ ما بين خيوطه من الفُرَج وشدّه وإحكامه، بحيث يمنع عنه الخلل من الحسن الرونق وبيان أخذه منه من أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفُرَج بين الخيوط،فلما أدركها الناقد البصير بصوغه في نظمه وحوكهفوضع المحذوف مواضعه كان حابكا له مانعا من خلل يطرقه، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل..."[1].

فنظرة **'السيوطي'** للحذف تطابق إلى حد كبير نظرة علماء لسانيات النص، ومن أبرزهم الثنائي **'هاليداي'** و**'رقية حسن'** اللذان يعتبران الحذف"علاقة داخل النصّ، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق. وهذا يعني أنّ الحذف عادة علاقة قبلية.

أما الحذف عند **'روبرت دي بوجراند'** فهو يعتمد في الدرجة الأولى على المقام أو السياق حيث نجده يقول: "إنّه استبعاد العبارات السطحية لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن ومن هذا الاستبعاد يستطيع القارئ أن يلتمس المعاني التأويلية الصحيحة للنصّ معتمدا على السياق اللغوي والسياق الموقفي، فوجود الحذف بدرجات مختلفة يتلاءم كل منها مع النصّ والموقف مثال أخر من أمثلة ضوابط الاطراد والاستعمال"[2].

2.3. أنواعه:

والحذف ثلاثة أنواع كما أشار إلى ذلك **'هاليداي'** و**'رقية حسن'** هي:

1- جلال الدين السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 420.

2- روبرت دي بو جراند: النصّ والخطاب والإجراء، مرجع سابق، ص 345.

1.2.3. الحذف الاسمي:

يقع هذا النوع من الحذف داخل المركب الاسمي أي حذف داخل المجموعة الاسمية، وكمثال على هذا النوع قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾الأنعام: ٦٣.

الحذف في هذه الآية الكريمة وقع في المجموعة الاسمية فالمحذوف هو 'ظلمات' أي 'قل من ينجيكم من ظلمات البرّ و(ظلمات) البحر'.

2.2.3. الحذف الفعلي:

يتم هذا النوع من الحذف على مستوى المجموعة الفعلية وكشاهد على هذا النوع قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾الأنعام: ١. فالحذف في هذه الآية الكريمة حصل على نطاق المركب الفعلي فالمحذوف هو الفعل 'خلق'؛ أي 'الحمد لله الذي خلق السموات و(خلق) الأرض'.

3.2.3. الحذف داخل شبه الجملة أو حذف العبارة:

هذا النوع من الحذف يختلف عن النوعين السابقين لكونه لا يقتصر على المجموعة الاسمية أو الفعلية وإنّما يشمل العبارة أو الجملة برمتها بما تتضمنه من أسماء وأفعال وكمثال على هذا النوع من الحذف، قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾الأنعام: ١٢، في هذه الآية الكريمة حذفت جملة بكاملها فالمحذوف هو'ما في السموات والأرض'؛ أي 'قل لمن ما في السموات والأرض قل لله(ما في السموات والأرض)'.

لكن ما يلاحظ على هذه الأنواع من الحذف هو أنّها لا تساهم كلها في اتساق النصّ وتماسكه، إذ منها ما يكون بعيدا عن هذه الوظيفة كما يرى ذلك **'صبحي إبراهيم الفقي'**[1] ويعطي شاهدا على ذلك من القرآن،**قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾**الأنعام: ٣٢. فالتقدير: يتقون الله لدلالة السياق لكن لا يوجد في الآية الكريمة ما يحال عليه المحذوف، وعليه يصعب القول بإمكانية تحقق الاتساق.

وقد عقد **'هاليداي'** و**'رقية حسن'** مقارنات كثيرة بين الحذف الفعلي والحذف الاسمي، وذكرا أنّ أكثر الأنماط التي يتحقق فيها الحذف هي العناصر التي تحذف من جملة الاستفهام، إذ يمثل الاستفهام الدرجة القصوى للحذف المعجمي تبعا للمفترض مقدما في تلك الجمل الاستفهامية مثل: محمد لم يعرف، هل فعل؟[2]

في الأخير يمكن القول أنّ **الحذف** يكتسي أهمية كبيرة في الكلام عامة واتساق النصوص خاصة، وذلك لكونه يجنبنا الإطناب والحشو الزائد والتكرار في الكلام ويضفي بالمقابل نوعا من الإيجاز والاختصار، كما يؤدي إلى إعمال ذهن القارئ/المتلقي وإظهار إمكاناته من خلال تقدير هذا الأخير للمحذوف، والحذف لا يحقّق الاتساق بين المذكور والمحذوف فحسب بل يتجاوز ذلك إلى تحقيق التماسك بين المذكور السابق للحذف والمذكور.

4. الوصل:

يعدّ الوصل الأداة الرابعة من أدوات الاتساق، غير أنّه يختلف عن باقي الوسائل الاتساقية الأخرى كونّه "لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو ما سيلحق كما هو شأن الإحالة والاستبدال والحذف"[3].

1- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ج2، ص 225.

2- المرجع نفسه، ص 194 .

3- محمد خطابي: لسانيات النص، مرجع سابق، ص 22.

1.4. مفهومه:

الوصل حسب **'هاليداي'** و**'رقية حسن'** هو:"تحديد للطريقة التي يترابط فيها اللاحق مع السابق بشكل منظم"[1].

يعقب **'محمد خطابي'** على تعريف **'هاليداي'** و**'رقية حسن'** قائلا: "معنى هذا أنّ النصّ يشتمل على جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا ولكي تدرك وحدة متماسكة، فإنّها تحتاج إلى عناصر ربط متنوعة تصل بين أجزاء النصّ"[2].

أما **'دي بوجراند'** فيرى أنّ الوصل يشير إلى العلاقات التي بين مساحات المعلومات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات، كما يشير أيضا إلى إمكان اجتماع العناصر والصور وتعلق بعضها ببعض في عالم النصّ[3].

2.4. أنواعه:

ينقسم **الوصل** حسب **'هاليداي'** و**'رقية حسن'** فهي تنقسم إلى أربعة أصناف هي:[4]

1.2.4. الوصل الإضافي:

يتم هذا النوع من الوصل بواسطة الأداتين'الواو' و'أو' كما تنضوي تحته علاقات أخرى مثل التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع: بالمثل...وعلاقة الشرح، وتتم بتعابير مثل: أعني، بتعبير أخر...وعلاقة التمثيل المتجسدة في تعابير مثل: مثلا، نحو...

1- محمد خطابي: لسانيات النص، المرجع السابق، ص 227.
2- المرجع نفسه، ص 23.
3- روبرت دي بو جراند: النصّ والخطاب والإجراء، مرجع سابق، ص 346-347 .
4- محمد خطابي: لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص 23-24 .

وكمثال على الوصل الإضافي، **قوله تعالى:** ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾يوسف: ٤. قامت واوالعطف التي هي إحدى أدوات الوصل الإضافي بربط مع الفعل رأيت الأولى محور الآية.

2.2.4. الوصل العكسي:

يقصد بهذا النوع من الوصل 'على عكس ما هو متوقع'، ويتم بواسطة جملة من الأدوات من بينها yet, but ...وبتعابير مثل however nevertheless، بيد أنّ الأداة التي تعبر عن الوصل العكسي في نظر الباحثين هي yet.

3.2.4. الوصل السببي:

هذا النوع من الوصل يمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر ويعبر عنها بعناصر مثل: therefore hence thus so...هكذا، إذن. وتنضوي تحت هذا النوع من الوصل مجموعة العلاقات الخاصة كالنتيجة والسبب والشرط...وهي كما نرى علاقات منطقية ذات صلة وثيقة بعلاقة عامة هي السبب والنتيجة.

4.2.4. الوصل الزمني:

يعدّ هذا النوع آخر أنواع الوصل وهو علاقة بين جملتين متتابعتين زمنيا، وأبسط تعبير عن هذه العلاقة هو then.

5. الاتساق المعجمي:

يعدّ الاتساق المعجمي آخر وسيلة من وسائل الاتساق حسب**'هاليداي'** و**'رقية حسن'** دائماً، وتختلف هذه الوسيلة عن باقي أدوات الاتساق الأخرى كونها لا تتضمن "الحديث

عن العنصر المفترِض والعنصر المفترَض –كما هو الحال في باقي الأدوات الاتساقية – السالفة الذكر– ولا عن وسيلة شكلية (نحوية) للربط بين عناصر في النصّ"[1].

1.5. مفهومه:

يعد الاتساق المعجمي "وسيلة لفظية من وسائل السبك– أي الاتساق– التي تقع بين مفردات النصّ، وعلى مستوى البنية السطحية فيه، تعمل على الالتحام بين أجزائه معجميا، ومعاني جمله وقضاياه من خلال إحكام العلاقات الدلالية القريبة والبعيدة فيه، إذ يؤدي ذلك إلى تلازم الأحداث، وتعالقها من بداية النصّ حتى آخره، ممّا يحقق للنصّ نصيته"[2].

2.5. أنواعه:

ينقسم الاتساق المعجمي في نظر الباحثين–هاليداي ورقية حسن– إلى قسمين:[3]

1.2.5. التكرار (Reiteration):

1.1.2.5. مفهومه:

أ. التكرار عند العرب القدامى:

يعدّ التكرار وجها من وجوه الاتساق المعجمي، لكن قبل أن نتطرق إلى هذه الأداة الاتساقية عند علماء لسانيات النصّ يجب أن نشير إلى معالجة علمائنا القدامى لظاهرة التكرار وأهم الآراء التي بلوروها حول هذه الوسيلة الاتساقية المهمة.

حظي التكرار باهتمام كبير من طرف علمائنا القدامى على اختلاف الحقول المعرفية التي اشتغلوا عليها بلاغة، تفسير، إعجاز، نحو...إذ عدّ التكرار عند البلاغيين

1– محمد خطابي: لسانيات النص، المرجع السابق، ص 24.

2– جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، مرجع سابق، ص70.

3– محمد خطابي: لسانيات النص، المرجع السابق، ص 24.

أصلا منّ أصول البديع، ولعلّ من أشهر من تحدث عن أداة التكرار من العلماء العرب ودورها في اتساق أجزاء النصّ وتماسكه العالم الجليل **'ابن رشيق القيرواني'** إذ نجده يقول في معرض حديثه عن ظاهرة التكرار في الشعر" وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ثمّ يردّدها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو قسم منه، وذلك نحو قول زهيـر:

إن تلق يوماً على علاته هرمـــا تلق السماحة النّدىخلقـــــــــــــا

فعلق (يلق) بهرم، ثم علقها بالسماحة، وكذلك قوله أيضا:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنـــه ولو رام أسباب السماء بسلّـــــــــــم

فردّد (أسباب على ما بينّت) "[1].

قول **'ابن رشيق'** هذا ينِم عن استيعابه وفهمه لظاهرة التكرار والدور الذي تلعبه في اتساق أجزاء الكلام وتماسكه.

ومن العلماء العرب الأجّلاء الذين عكفوا أيضا على دراسة ظاهرة التكرار ورصد دورها في تعالق أجزاء الكلام وتعاضدها العالم الكبير **'ابن أبي الإصبع'** إذ تميزت نظرته بتجاوز حدود دراسة ظاهرة التكرار على مستوى الجملة الواحدة إلى المستوى النصّي بحيث يسهم في تماسك أجزاء النصّ أو أبيات القصيدة، ومن بين أنواع التكرار عنده ما أسماه **' بتشابه الأطراف'**، وعرّفه بقوله "وهو أن يعيد (أي الشاعر) لفظ القافية في أول البيت الذي يليها، وهذا النوع من التشبيه لا يتوقف على مستوى النصّ فحسب، وإنّما ينطبق أيضا على النصّ القرآني نحو **قوله تعالى:** ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ**

1- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، (د.ط)، 1981 م، ج1، ص 323.

﴿نُّورٍ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾النور: ٣٥. ومن شواهده أي- تشابه الأطراف- شعرا قول أبي نواس:

خزيمة خير بني خـــــــــازم وخازم خير بنـــــــــــــــي دارم

ودارم خير تميم ومـــــــــــا مثل تميم في بنـــــــــــــي آدام"[1].

يتبين لنا تكرار(دارم) وهو لفظ القافية في صدر البيت الثاني ممّا يسهم في تماسك أجزاء البيتين،بحيث يتضح في هذا النمط التكراري تجاوز حدود الجملة والبيت الواحد إلى إحكام التماسك بين البيتين.

ومن العلماء العرب القدامى الذين تحدثوا عن ظاهرة التكرار أيضا العالم الكبير **'الزمخشري'** إذ تصدر قائمة المفسرين العرب الذين درسوا وعالجوا مسألة التكرار، إذ نجده يقول في هذا الصدد: "جدوى التأكيد إذا كرّرت، فقد قررت المؤكد وما علق به في نفس السامع ومكنته في قلبه، وأَمَطتَ شبهة ربّما خالجته أو توهمت غفلة أو ذهابا عماّ أنت بصدده فأزلته..."[2].

ولم يتوقف **'الزمخشري'** عند هذا الحد فحسب بل نجده يتحدثكذلك عن أنواع التكرار وهي عنده صنفان تكرار صريح وتكرار غير صريح فالصريح نحو قولك: "رأيت زيداً" وقال أعشى همذان (من الخفيف):

مُرَّ إنّي قد امتدحتك مـــــــــــرّا واثقا أن تثيبني وتسُـــــــــــــــرَّا

مرَّ يَا مُرَّ مُرَّة بن تليـــــــــــــدٍ ما وجدناك في الحوادث غِـــــــــرّا

وغير الصريح، نحو قولك 'فعل زيد نفسه وعينه'"[3]

1- أنظر ابن الإصبع المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حنفي محمد شرف، (د.ط)، (د.ت) ص 320-321.

2- أبو القاسم الزمخشري محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق ودراسة خالد إسماعيل حسان، مكتبة الآداب، ط1 ،2006 م، ص 156.

3- المصدر نفسه، ص 156.

هذه مجرد شواهد بسيطة فيما يخص نظرة علمائنا القدامى لمسألة التكرار وهناك العديد من الأمثلة الأخرى التي تنم عن الحنكة والعبقرية التي تميز بها علماؤنا في معالجتهم لظاهرة التكرار غير أنّ السياق لا يسعفنا لذكرها جميعا.

د. التكرار عند المحدثين:

أما التكرار عند المحدثين فقد لقي أيضا حظا وافرا من الاهتمام والدراسة، ومن الذين اهتموا بالتكرار ودوره علماء لسانيات النص إذ تضاربت آراؤهم حوله فهناك من عدّه قسما من أقسام الاتساق المعجمي أمثال الثنائي **'هاليداي'** و**'رقية حسن'** إذ يقولا في هذا الصدد: "وهو- أي التكرار- شكل من أشكال التماسك المعجمي التي تتطلب إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف له أو شبه مرادف"[1].

ونجد **'محمد خطابي'** يورد هو الآخر تعريفا للتكرار ينطبق تماما مع تعريف **'هاليداي'** و**'رقية حسن'** إذ يقول: "التكرير هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً"[2].

أما **'ديفيد كريستال'** فقد جعل التكرار واحداً من عوامل التماسك النصي، وذكر أنّه التعبير الذي يكرر في الكل والجزء[3].

فحين نجد أنّ هناك من عدّ التكرار نوعا من أنواع الإحالة ومن أمثال هؤلاء **'الأزهر الزنّاد'** إذ أطلق على التكرار اسم **'الإحالة التكرارية'** وهي عنده تتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد[4].

1- أحمد عفيفي: نحو النّص، مرجع سايق، ص 106 .

2- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ج 1، ص 19.

3- نفس المرجع، ص 19.

4- الأزهر الزّنّاد: نسيج النص، مرجع سابق، ص 119.

أما التكرار حسب **'صبحي إبراهيم الفقي'** فهو "إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك بالفظ نفسه أو بالترادف وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصي بين عناصر النصّ المتباعدة "[1].

أما **'تمّام حسّان'** فيرى بأنّ"ثمة نوع من إعادة الذكر لإنعاش الذاكرة أيضا، وهو ما يعرف بالتكرار أو إعادة ذكر صدر الكلام بعد أن حال بينه وبين ما يتعلق به فاصل طويل من الكلام وجعله مظنّة النسيان أو ضعف العلاقة بما يتبعه من خبر أو فاعل أو جواب فإذا أعيد صدر الكلام اتضحت العلاقة بما يليه وينتمي إليه"[2].

ثم نجده يدلّل على كلامه هذا بشاهد من الذكر الحكيم وذلك في **قوله تعالى:** ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ البقرة:٨٩.

يعلّق تمّام حسّان على التكرار الوارد في هذه الآية الكريمة بقوله: "حين طال الفاصل بين'لما جاءهم' وجوابها تكررت لتقوية الارتباط بالجواب"[3].

أما التكرار حسب **'دي بو جراند'** فهو لا يلعب دورا كبيرا في اتساق النص وتماسكه إذ نجده في هذا السياق يقول: "تعدّ إعادة اللفظ في العبارات السطحية التي تتحد محتوياتها المفهومية وإحالاتها من الأمور العادية في المرتجل من الكلام"[4]. ويمكن "لإعادة اللفظ في العبارات الطويلة أو المقطوعة أن تكون ضارة لأنّها تحبط الإعلامية"[5].

غير أنّ **'دي بوجراند'** في موضع آخر أثبت دور التكرار قائلا: "ومن صواب طرق الصياغة أن تخالف ما بين العبارات بتقليبها بواسطة المترادفات ولكن قد يحدث ألا يكون

1- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، المرجع السابق، ج 1، ص 20.
2- تمّام حسان: البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1993 م، ص 113.
3- المرجع نفسه، ص 113.
4- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، مرجع سابق، ص 303.
5- المرجع نفسه، ص 306.

هناك اسم واحد للمدلول المطلوب...وفي التقارير العلمية يجب أن يكون هناك استقرار على استعمال المصطلحات المحددة على الرغم ممّا يتطلبه مبدأ الإعادة ويبدوا أنّ السامعين والقراء يهيئون إرهاصاتهم للاستجابة لهذه العوامل"[1].

سنقدم المثال التالي لتوضيح أنماط التكرار:

(شرعت في الصعود إلى القمة { الصعود / التسلق / العمل / الشيء / [هو] } سهل للغاية)[2]

فكلمة 'الصعود' تعتبر إعادة لنفس الكلمة الواردة في الجملة الأولى و'التسلق' مرادف لـ 'الصعود'، و'العمل' اسم مطلق أو اسم عام يمكن أن يدرج فيه الصعود أو مسألة الصعود. و'الشيء' كلمة عامة تندرج ضمنها أيضا الكلمة 'الصعود'، إلخ.

ويقصد المؤلفان بالأسماء العامة مجموعة صغيرة من الأسماء لها إحالة معممة مثل: 'اسم إنسان'، 'اسم المكان'، 'اسم الواقع' وما شابهها (الناس، الشخص الرجل، المرأة، الطفل، الولد، البنت...)"[3].

1- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، المرجع السابق، ص 306.

2- محمد خطابي: لسانيّات النص، ص 24.

3- المرجع نفسه، ص 25.

فالتكرار عند **'هاليداي'** و**'رقية حسن'** سلم مكون من أربع درجات يأتي في أعلاها إعادة العنصر المعجمي نفسه، ويليه الترادف (أو شبه الترادف) ثمّ الاسم الشامل وفي أسفل السلم تأتي الكلمات العامة[1].

2.1.2.5. أنواع التكرار:

أ. إعادة العنصر المعجمي: يعني هذا النمط من التكرار إعادة الكلمة كما هي دون تغير ويسمى أيضا بالتكرار التام أو المحض، وكشاهد على هذا نوع **قوله تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

﴾التوبة: ٦٧ - ٦٨ .

ب . الترادف أو شبه الترادف: هو النوع الثاني من أنواع التكرار ويقصد به تكرار المعنى دون اللفظ، وكمثال على هذا النوع من التكرار قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾آل عمران: ١٠٤.

ج . الاسم الشامل أو الاسم العام: يقصد بهذا الأخير اسم يحمل أساسا مشتركا بين عدة أسماء ومن ثم يكون شاملا لها وكمثال على هذا النوع **قوله تَعَالَىٰ:** ﴿**فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ** ﴾ الرحمن: ٦٨، فالفاكهة اسم شامل تنضوي تحته شتى أنواع الفاكهة ومنها النخل – أي التمر – والرمان

1- جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، مرجع سابق، ص 79.

د. الكلمات العامة: هي آخر نوع من أنواع التكرار، وهي ألفاظ فيها من الشمول والعموم ما يتّسع بكثير عن الشمول الموجود في الاسم الشامل وكشاهد على هذا النوع **قولهتَعَالَى:** ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾الأنعام: ١٦٥. ففي هذه الآية الكريمة من الألفاظ العامة التي ينضوي تحتها كل أسماء الله وصفاته.

3.1.2.5. دور التكرار في التماسك النصي:

أما عن دور التكرار وأثره في التماسك النصي فيمكن رصده من خلال الوظائف التالية:[1]

- الاستمرارية، فالاستمرار في تكرار كلمة معينة تسهم في تتابع النص وترابطه وبالرغم من تكرار الوحدة المعجمية نفسها، إلاّ أنّ الكلمتين المكررتان لا تحملان الدلالة ذاتها فالوحدة المكررة ليست هي الوحدة السابقة، بل اكتسبت بما فيها وبما بعدها معنى آخر وهذا هو المسوغ لوجودها مرة أخرى في بنية النص.
- شّد النص، وسبكه من خلال هذا الاستمرار والاطرّاد حيث يسهم التكرار بربط الوحدات النصية الكبرى بالوحدات النصية الصغرى، مما يخلق أساسا مشتركا بينهاويحكم العلاقات بين أجزاء النصّ.
- كثافة الكلمات المكررة داخل النص، فالكلمة الأولى تختلف عن الكلمة الثانية المكررة، إذ إن الكلمة المكررة تكتسب كثافة أعلى؛ مما يسهم في نسيج النص، وفك شفراته الدلالية من خلال التتابع الدلالي، ممّا يدعم ثبات النص بهذه الديمومة الواضحة ويسهم في تماسكه.

1- نوال بنت إبراهيم الحلوة: أثر التكرار في تماسك النصي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات خالد منيف، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثامن، ماي 2012 م، ص 24.

- إنّ بناء النص على عناقيد من الكلمات المكررة يوضح القضية الكبرى في النص فتلك هي المفاتيح التي تربط المحتوى القضوي، وتسهم في الربط بينها.
- يحمل التكرار طاقة وظيفية متميزة، تتمثل في الدعم الدلالي لمفردات محددة في النص، وإبقاءه عليها في بؤرة التعبير؛ ممّا يؤكّد الأثر الذي يتركه التكرار في العمليات الاجتماعية فإنّ اللفظ المكرر وإن كان بسيطا فإنّه يحظى من خلال التكرار بقوة دافعة.
- إنّ إعادة اللفظ تمنح منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة؛ لأنّ أحد العنصران المكرران قد يسهم في فهم الآخر؛ ممّا يدعّم بناء النص وإعادة تأكيده الأمر الذي يفرض تآزراً ما بين الجانب المعجمي للنص، وسياقه الخاص.
- تسهيل فهم الكلام، وفائدته هنا تتمثل في أنّه يُظِهر تعالق الجمل بعضها ببعض كما أنّه يسهل على السامع أو القارئ فهم النص، إذ يتم توصيل المعلومات إليه بوتيرة أبطأ قليلا[1].

مما سبق تتضح لنا أهمية التكرار، فهو وسيلة من وسائل التماسك؛ إذ أنّه المعيار الذي يميز بين النص واللانص.

2.2.5. التضام/المصاحبات المعجمية(Collocation):

يعدّ التضام أحد طرفي الاتساق المعجمي إلى جانب التكرار، والظاهرة اللغوية الثانية التي تسهم في تحقيق الاتساق المعجمي.

1- نوال بنت إبراهيم الحلوة: أثر التكرار في تماسك النص، المرجع السابق، ص 24-25.

1.2.2.5. مفهومه:

أ. التضام عند العرب القدامى:

قبل أن نطرق باب التضام عند المحدثين يجدر بنا التنقيب عن دلالة هذا المصطلح عند علمائنا القدامى، لأنّه بكل بساطة لا نكاد نجد مسألة أو ظاهرة من ظواهر لسانيات النص تخلو من لمسة القدامى ومعالجتهم لها، فإرثنا التراثي ولا سيما البلاغي منه يزخر بالعديد من العلاقات الحاكمة لآلية التضام كالمقابلة والتطابق والتضاد ومراعاة النظير... ومن أمثلته:

– ***المطابقة:*** تعني المطابقة الإتيان بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثمّ يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب.[1] إذ نجد القزويني يسمي المطابقة بالطباق والتضاد أيضا وهي عنده "الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة"[2].

وتكون المطابقة إما: بلفظين من نوع واحد سواء اسمين نحو قولهتَعَالَىٰ:﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴾الكهف: ١٨، أوفعلين مثل قوله تَعَالَىٰ:﴿ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ ﴾آل عمران:٢٦،أوحرفين نحوقوله تَعَالَىٰ:﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ ﴾الأنعام: ١٢٢. أو لفظين من نوعين،نحو أي ضالا فهديناه"[3].

– ***مراعاة النظير:*** مراعاة النظير لون من ألوان البديع وفن من فنونه إذ يعرّفه العالم البلاغي**'القزويني'** قائلا:"مراعاة النظير وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيقأيضا وهو أن

1– عبد الفتاح لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، 1999 م، ص 34.

2– الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 348–349.

3– المصدر نفسه، ص349.

يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد، **قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾**الرحمن: ٥.

وقول **ابن رشيق:**

أصحُّ وأقوي ما سمعناه في النِّـــــدى من الخبر المأثور مُنذُقديـــــــــــــــم

أحاديث ترويها السُّيول عن الحَيَـــا عن البحر، عن كف الأمي تميـــــــــــم"[1].

فـ **'ابن رشيق'** ناسب بين الصحة والقوَّةِ والسماع والخبر المأثور والأحاديث والرواية ثمّ بين السيل والحياة والبحر وتميم، مع ما في البيت الثاني من صحة الترتيب في العنعنة إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر، كما يقع في سند الأحاديث، فإنّ السيول أصلها المطر والمطر أصله البحر على ما يقال؛ ولهذا جعل كف الممدوح أصلا للبحر مبالغةً.[2]

ب. التضام عند المحدثين:

أما التضام عند أقطاب لسانيات النص وعلى رأسهم **'أولمان Ullmann'** هو ذلك: "الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة"[3].

فحين تعددت ترجمات الباحثين العرب للمصطلح الأجنبي **collocation** فهناك من ترجمه بـ **'التضام'** أمثال **'محمد خطابي'**، وهو عنده "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"[4]. ثمّ نجده يورد مثالا للباحثين **'هاليداي'** و**'رقية حسن':**

1- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، المرجع السابق، ص 355-356.

2- المصدر نفسه، ص 356.

3- أحمد عمر مختار: علم الدلالة، مرجع سابق، ص 74.

4- محمد خطابي: لسانيات النص، مرجع سابق، ص25.

– ما لهذا الولد يتلوى في كل وقت وحين؟ البنات لا تتلوى[1].

فكلمة (البنات) هنا ليس لها نفس المرجع الذي لكلمة (الولد) في الجملة الأولى؛ ومن ثمّ ليس بينهما علاقة تكرار معجمي، ورغم هذا تبدو هاتان الجملتان منسبكتين، فما الفاعل في هذا السبك؟ الفاعل– حسبما ذكر هاليداي ورقية حسن– هو وجود علاقة معجمية بين لفظتي (الولد) و(البنت) هي علاقة التضاد Oppositeness[2].

فحين نجد **'أحمد محمد مختار'** يضع مصطلح **'النظم'** أو **'الرصف'** كمقابل للمصطلح الأجنبي **'collocation'**، غير أنّه لا يقدم تعريفا لهذا المصطلح، وإنّما يستند في ذلك إلى تعريف **'أولمان'** السالف الذكر.

أما **'جميل عبد المجيد'** فقد انتقى مصطلح **"المصاحبة المعجمية"** كمقابل للمصطلح الأجنبي **'Collocation'**، إذ يرى في هذا الصدد أنّ ثمة أزواج من الألفاظ متصاحبة دوما بمعنى أنّ ذكر أحدها يستدعي ذكر الآخر، ومن ثمّ يظهران– دومًا– معًا، وهذا ما يسمى بالمصاحبة المعجمية[3].

تتعدد العلاقات الحاكمة لآلية التضام ويمكن حصر جلّها في الآتي:

2.2.2.5. آلياته

أ. التضاد:

التضاد علاقة من العلاقات التي تنضوي تحت آلية التضام، وهو بدوره يتفرع إلى أنواع متعددة منها:

1– محمد خطابي: لسانيات النص، المرجع السابق، ص 25 .

2– جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية ولسانيات النص، مرجع سابق، ص 107.

3– المرجع نفسه، ص 107.

- **التضاد الحاد أو التضاد غير المتدرج:** يعد هذا النوع من التضاد "قريبا من النقيض عند المناطقة، ويتفق مع قولهم أنّالنقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان"[1] وهذا النوع من التضاد أكثر مقدرة على الربط النصي[2].

ويفرد **'أحمد مختار عمر'** لهذا النوع من التضاد جملة من الأمثلة نحو: حي -ميت/ متزوج-أعزب...[3]

- أما **التضاد المتدرج:** فهو يقع بين نهايتين لمعيار متدرج أو بين أزواج من المتضادات الداخلية، وهذا النوع من التضاد نسبي فمثلا قولنا الحساء ساخن يعني أنّه ساخن بالنسبة لدرجة الحرارة المعينة للحساء أو للسوائل ككل، غير أن الأمر يختلف إذا نحن قلنا الماء ساخن[4].

وهناك أنواع أخرى من التضاد؛ كـ **'التضاد العكسي'** مثل باع-اشترى/ زوج-زوجة[5].

- و**'التضاد الإتجاهي'** مثل: أعلى-أسفل/ يصل-يغادر/ يأتي-يذهب[6].

ب. التنافر:

يعدّ التنافر أيضا علاقة من العلاقات الحاكمة لآلية التضام، ويرتبط التنافر كذلك بفكرة النفي مثل التضاد، وهو بعبارة أخرى عدم التضمن من طرفين، وذلك مثل العلاقة بين خروف وفرس وقط وكلب أو العلاقة بين الألوان مثل العلاقة بين الأزرقوالأصفر...[7].

1- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، مرجع سابق، ص 102.
2- أحمد عفيفي: نحو النَّص، مرجع سابق، ص 113.
3- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، المرجع السابق، ص 102.
4- المرجع نفسه، ص 102.
5- المرجع نفسه، ص 103.
6- المرجع نفسه، ص 103-104.
7- المرجع نفسه، ص 105-106.

ويدخل تحت التنافر أيضا ما يسمى بعلاقة الرتبة مثل: ملازم–رائد–مقدم–عقيد–عميد–لواء، وعلاقة الزمن أو ما يسمى بالمجموعات الدورية مثل: فصول–شهور–أعوام...[1]

ج. علاقة الجزء بالكل:

علاقة الجزء بالكل هي أيضا نوع من العلاقات التي تندرج تحت أداة التضام وكمثال على هذا النوع من العلاقة علاقة اليد بالجسم، وعلاقة العجلة بالسيارة؛ فاليد ليست نوعا من الجسم ولكنّها جزء منه بخلاف الإنسان الذي هو نوع من الحيوان وليس جزءا منه[2].

في الأخير يمكن القول بأنّ الإحالة بأنواعها وكذلك الحذف والاستبدال والوصل والاتساق المعجمي بتكراره وتضامه هذه هي أبرز وأهم وسائل الاتساق وأدواته حسب منظور أقطاب لسانيات النص، وسوف نتأكد من نجاعة هذه الأدوات ومدى قوتها في تمكيننا من إدراك العلاقات القائمة بين الجمل والعبارات المكونة للنص من خلال المدونة التطبيقية.

لكن هذا لا يعني أنّ توفر أدوات الاتساق لوحدها سيصنع نصية النص وتماسكه بشكل كامل فلا بد من تواجد آليات الانسجام هذه الأخيرة التي تتضافر مع أدوات الاتساق لتحقق الوحدة النصية الكاملة للنص، وتبرهن على هويته، وتحدد لنا تراسمه.

IV. الانسجام:

1– أحمد عفيفي: نحو النَّص، المرجع السابق، ص 106.

2– أحمد مختار عمر: علم الدلالة، المرجع السابق، ص 101.

يعدّ الانسجام موضوع أساس في اللسانيات الحديثة، وأحد المعايير النصية السبعة وأهمها التي وضعها **'دي بوجراند'** لتحقيق التماسك النصي على مستوى بنيته العميقة حيث يعتبر"الانسجام أعم من الاتساقكما يغدو أعمق منه"[1]، لأنّه يعتمد على الاتساق غير أنّه يقحم قيودا عامة غير خطية مرتبطة خاصة بالسياق ونوع الخطاب"[2]

1. مفهومه:

1.1. الانسجام لغة:

والانسجام لغة من سجم: سجمت العين الدمع، والسحابة الماء، تسجمه وتسجمه سجما وسجوما وسجمانا، وهو قطران الدمع وسيلانه، قليلا كان أو كثيرا، وكذلك السّاجم من المطر، والعرب تقول دمع ساجم.

ودمع مسجوم: سجمته العين سجما؛ وقد أسجمه وسّجمه. السّجم: الدمع وأعين سجوم: سواجم، وكذلك عين سجُوم، وسحاب سجوم. وانسجم الماء والدّمع، فهو منسجمٌ إذا انسجم أي انصبَّ "[3].

وجاء في **'أساس البلاغة'لـ 'الزمخشري'** " سجم: دمع ساجم ومسجوم ومنسجم ودموع سواجم وعيون سواجم، وسجمت العين دمعها سجما وسجم الدمع سجوما "[4].

كما ورد في **'معجم العين'** بمعنى: "سجمت العين سجوما وهو قطران الدمع قلّ أو كثر، وكذلك المطر. ودمع ساجم ومسجوم، وسجمته العين سجما، ولا أسجمته العين. والسّجم: الدّمع "[5].

1- محمد خطابي: لسانيات النص، مرجع سابق، ص 5-6.

2- دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، مرجع سابق، ص 18.

3- ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثالث، مرجع سابق، ص 1947.

4- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، مرجع سابق، ج1، ص 440.

5- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مرجع سابق، ص 218.

فمن خلال تتبع مادة (س ج م) في المعاجم العربية نجد أنّها تحيل على سيلان الدمع وقطران المطر، وكلّها مفردات تدل على الانتظام والتتابع في الصب وانحدار سيلان الماء دون انقطاع؛ أي ضم الشيء إلى الشيء، وهذا ما يدفعنا للقول أنّ انصباب المطر وانحدار الماء يقابله انحدار وانصباب المعاني في النص.

2.1. الانسجام اصطلاحا:

عرّف **'ابن أبي الأصبع المصري'** (585-654)هـ الانسجام بقوله: "أن يأتي الكلام متحدرا كتحدر الماء المنسجم، بسهولة سبك وعذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف، حتّى يكون للجملة من المنثور، وللبيت من الموزون وقع في النفوس، وتأثير في القلوب ما ليس لغيره"[1].

أما **'الكفوي'** فقد عرّفه في معجمه **'الكليات'** بقوله: "هو أن يكون الكلام لخلوه من العقادة متحدرا كتحدّر الماء المنسجم لسهولته وعذوبة ألفاظه وعدم تكلفه ليكون له في القلوب موقع وفي النفوس تأثير"[2]. ومنه يتجلى لنا أنّ الانسجام هو عبارة عن تواتر الأفكار والمعاني تواترا عموديا يراعى فيه التسلسل المنطقي لهذه الأفكار والمعاني.

وكما حظيت ظاهرة **'الانسجام'** بعناية السلف، فقد لفتت أنظار الباحثين العرب المحدثين على اختلاف مشاربهم النقدية والمنهجية، لذلك عرف مصطلح الانسجام تباين آراء الدارسين بشأنه، وذلك من خلال إيجاد مقابل عربي له، فكان لكل دارس مصطلحه الخاص به مقابل المصطلح الأجنبي (**Coherence**) في اللغة الإنجليزية أو لغة أجنبية أخرى، فمثلا **'محمد خطابي'** نجده اختار مصطلح **'الانسجام'**، أما **'تمام حسان'** ترجمه

1- ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، تقديم حفنى محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 166.
2- الكفوي: الكليات، مرجع سابق، ص 196.

بـ **'الالتحام'**، و**'محمد مفتاح'**ترجمهبـ**'التشاكل'**، حيث حلل في ضوئه قصيدة كاملة تعرض فيها للتشاكل الصوتي والتركيبي والدلالي رابطا ذلك كله بالقواعد التداوليةفي حين استعمل الباحثان **'سعد مصلوح'** و**'محمد العبد'** مصطلح الحبك بدلا من المصطلحات السابقة أو ما شابههما كالتناسب، والتقارن...الخ، حيث يقول **'محمد العبد':** "فقد آثرت الحبك على غيره مما دار مداره' "[1].

وورد تعريف لمصطلح **'الانسجام'** في كتاب **'إبراهيم الفقي'** جاء فيه أنّ الانسجام هو مجموع العلاقات التي تربط معاني الأقوال في الخطاب أو معاني الجمل في النص. وبصفة عامة يصبح النص متماسكا إذا وجدت سلسلة من الجمل تطور الفكرة الأساسية[2].

أما عند الغرب فقد ظهر مصطلح **'الانسجام'** بلفظ **'Coherence'**، ومعناه هو: "الالتحام، ويتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه وتشمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم"[3].

يرى أصحاب **'معجم تحليل الخطاب'** أنّ مفهوم **'الانسجام'** قد ظهر "في اللسانيات في دروس **'ق.قيوم'** الذي يجعل منه خاصية للسان باعتباره نسقا، وباعتباره كلا نسقيا

1- الطيب العزالي قواوة: الانسجام النصي وأدواته، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة – الجزائر العدد الثامن، 2012 م، ص 62.

2- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،مرجع سابق، ص 94.

3- دي بوجراند: النص والخطاب والاجراء، مرجع سابق، ص 103.

أجزائه كلها في انسجام. وبانتقال هذا المفهوم من لسانيات اللسان إلى لسانيات الخطاب فقد اكتسب معنى آخر"[1].

كما يعدّ**'دي بوجراند'**" أول من تطرق للانسجام سنة (1980 م) حيث عرّفه بأنّه مجموع الإجراءات التي تؤدي إلى ترابط الأفكار ترابطا منطقيا مبنيا على ترتيب الأحداث والمناسبات وكذلك الخبرة وما يتوقعه الناس"[2]. حيث اعتبره " نصية قائمة على الإعلام"[3].

ولكن هناك من الباحثين من يرى أن **'شارول'** أول من تطرق إلى **الانسجام**، إذ يعود اهتمامه به إلى سنة 1967م حينما نشر مقالا في مجلة **'pratiques'**. ع/11-12 تحت عنوان **Grammaire de texte theorie de discours narrativit**[4].

إذ "يجعل**'م.شارول'**من الحاجة إلى الانسجام مبدأ عاما للتأويل، وشكلا مسبقا للتعرف على مجموع لغويّ باعتباره نصّا"[5]. حيث يرى أنّ "الحاجة للانسجام هي نوع من الشكل القبلي للتلقي الخطابي"[6].

أما **'سوفنسكي Sowinski'** فقد حدّد **الانسجام** بقوله: "يقضى للجمل والمنطوقات بأنّها محبوكة، إذا اتصلت بعض المعلومات فيها ببعض، في إطار نصي أو موقف اتصالي اتصالا لا يشعر معه المستمعون أو القراء بثغرات أو انقطاعات

1- باتريك شارودو، دومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري – حمادي صمود، دار سيناترا، تونس، (د.ط) 2008م، ص 100.

2- لمياء شنوف: الاتساق والانسجام في رواية سمرقند لأمين معلوف، دراسة تحليلية ونقدية، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة الجزائر2008.2009م، ص 52.

3- باتريك شارودو، دومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، المرجع السابق، ص 100.

4- مفتاح بن عروس: الاتساق والانسجام في القرآن، مرجع سابق، ص 11.

5- أنظر المرجع نفسه، ص 43

6- دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 21.

في المعلومات"[1]، فشرط انسجام النص عند **'سوفنسكي'** هو ترابط المعلومات مع عدم انقطاعها؛ أي استمرارية الدلالة المتولدة عن العلاقات المتشكلة داخل النص.

وحدد **'ليفاندوفسكي Levandowski' الانسجام** بقوله: "ليس الحبك محض خاص من خواص النص، ولكنّه أيضا حصيلة اعتبارات معرفية (بنائية) عند المستمعي أو القراء، الحبك حصيلة تفعيل دلالي، ينهض على ترابط معنوي بين التصورات والمعارف، من حيث هي مركب من المفاهيم وما بينها من علاقات، على معنى أنّها شبكة دلالية مختزنة، لا يتناولها النص غالبا على مستوى الشكل، فالمستمع أو القارئ هو الذي يصمّم الحبك الضروري أو ينشئه"[2]؛ أي أنّه انسجام النص ليس شيئا معطى، وإنّما هو في نظر **'ليفاندوفسكي Levandowski'** شيء ينبني، فالمتلقي هو الذي يحكم على **انسجام** النص من عدمه؛ أي أنّ النص يستمد انسجامه من فهم المتلقي وتأويله.

ويرى كل من **'براون'** و**'يول'**، أنّه " لتحديد مقاصد الخطاب، يسعى المتلفظ المشارك إلى معاينة نوع (الفعل اللغوي المؤدى): يحكم على الملفوظ بأنّه منسجم أو لا وفق طبيعته: اعتراض، تعليق، تهديد..."[3].

ومنه يمكن القول أنّ مصطلح **'الانسجام Coherence'** يعني مجموع الآليات الظاهرة والخفية التي تجعل متلقي النص/الخطاب قادرا على فهمه وتأويله، أو هو "العلاقات التي تربط معاني الأقوال في الخطاب، أو معاني الجمل في النص...وهذه الروابط تعتمد على معرفة المتحدثين والسياق المحيط بهم. إنّه مفهوم نسعى من خلاله

1- محمد العبد، النص والخطاب والاجراء، مرجع سابق، ص 55.

2- محمد العبد، النص والخطاب والاجراء، المرجع السابق، ص 55.

3- دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، المرجع السابق، ص 21.

إلى تقريب ماهية موضوع النص"[1]، فـ "الانسجام ليس ثاويا في النص، بل إنّ المتلفظ هو الذي يتولى بناءه"[2].

V. آلياته:

لقد تعددت آليات**الانسجام** تبعا لتباين آراء اللسانيين، إذ يمثل الانسجام بعدا مهّما في دراسة النص/الخطاب، لأنّه يرتبط بالمتلقي والسياق المحيط به، لهذا عني المهتمون بنحو النص بهذه الروابط وحاولوا حصرها وتصنيفها وبيان وظائفها، وسنحاول من خلال هذه الدراسة ذكر أهم هاته الأدوات.

1. السياق:

أولى علماء اللغة اهتماما متزايدا منذ بداية السبعينات بدور السياق في فهم النص حيث وضع مفهومه **'ملنوسكي Malinowski'** واستعمله **'فيرث Firth'** بعده[3]، ولكن هذا المصطلح لم يكن وليد المدارس الحديثة وحدها، بل إن جذوره تمتد وتتشعب في الدرس العربي القديم، استعانوا به في فهم النصوص وتحليلها، بل أكثر من ذلك فإنّه لم يكن محل اهتمام علماء القرآن فحسب، بل كان محل اهتمام جل العلماء العرب القدامى – من علماء التفسير والأصول والنحو والبلاغة وغيرهم– أمثال **'الإمام الشافعي'** و**'سيبويه** و**المبرد'** و**'ابن جني'**و**'الجاحظ'** و**'الجرجاني'** وغيرهم، معترفين" بفكرة السياق بشقيه المقالي والمقامي، متقدمين بأكثر من ألف سنة عن زمانهم، لأنّ الاعتراف بفكرتي

1– أنظر الطيب العزالي قواوة: الانسجام النصي وأدواته، مرجع سابق، ص 62.

2– دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، المرجع السابق، ص 21.

3– شريفة بالحوت: طبيعة النص وعلاقته بسياق المقام، جامعة تيزي وزو، الجزائر، الرابط: –https://www.manifest.univ ouargla

المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرة العقل المعاصر في دراسة اللغة"[1].

1.1. السياق لغة:

قبل الحديث عن معنى **السياق** لا بد من الإشارة إلى أنّ السياق يرادف في اللغة كلا من المقام والحال والموقف والمقتضى والنظم[2].

قال **'ابن أثير'** في كتابه نهاية الغريب والأثر، أنّ أصل لفظة "سياق" هي: سواق فقلبت الواو ياءً لكسرة السين، وهما مصدران من ساق يسوق"[3].

وقال **'ابن فارس'**: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو: حَدْوُ الشَّيء، يقال: ساقه يَسوقه سَوقا، السِّيقة: ما استيق من الدوابّ، ويقال: سقتُ إلى امرأتي صَدَاقها، وأَسَقْتُه. والسُّوق مشتقّةٌ من هذا؛ لما يُساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسانوغيره، والجمع سُوق، وإنّما سمّيت بذلك لأنَّالماشى ينساقعليها...وسوق الحرب حومة القتال"[4].

جاء في **'لسان العرب'** لـ **'ابن منظور'**من مادة (س و ق) بمعنى "السوق: معروف ساق الإبِلَ وغَيْرَهَا يَسُوقُهَا سَوْقًا، وسِيَاقًا، وهُوَ سائِقٌ وسَوَّاقٌ، شُدِّدَ لِلْمُبَالَغَةِ...وقد

1- إبراهيم أصبان: السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة، دار الإحياء، 25جمادي الثانية 1428 هـ -يوليوز 2007 م ص: 54

نقلا عن: محمود بو ستة: الإتساق والانسجام في سورة الكهف، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير، جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر 2008-2009 م ص 155.

2- عبد الفتاح البركاوي: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، دار المنار، القاهرة ط1، 1411 هـ، ص 30.

3- مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تقديم علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية، ط1، جمادى الأولى 1421هـ، المملكة العربية السعودية، ص 455.

4- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 1979 م، ج3، ص 117.

انْسَاقَتْوتَسَاوَقَتِ الإِبِلُ تَساوُقًا إذا تَتَابَعَتْ. وفي حَدِيثِ أُمِّ مَعْبَد: فَجَاءَ زَوْجُها يَسُوقُ أَعْنُزًا ما تَسَاوَقُ، أَيْ ما تَتَابَعُ.

وَالْمُسَاوَقَةُ: الْمُتابَعَةُ كَأَنَّ بَعْضَهَا يَسُوقُ بَعْضاً"[1]. وقال **"الزمخشري"** " ومن المجاز: ساق الله إليه خيراً. وساق إليها المهر. وساقت الريح السحاب...وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث. وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده"[2]. ويقصد بالسرد؛ "سرد الحديث والقراءة: جاء بهما على ولاء"[3].

قال **"الجوهري"**: "يقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد: أي بعضهم على إثر بعض، ليس بينهم جارية، والسياق نزع الروح، يقال: رأيت فلاناً يسوق: أي ينزع عند الموت"[4]،" ورأيته يسوق سياقاً أي ينزع نزعاً يعني الموت"[5]. وسمي النزع سوقا؛ لأنّ الروح كأنّها تساق لتخرج من البدن[6].

وبهذا يتبين أنّ مادة (س و ق) في المعاجم العربية قد استعملت في الأمور الحسية فهي تدل على معنى التتابع، والتسلسل والتوالي والاتصال؛ فإنّ سوق الإبل وتساوقها من التتابع المتواصل دون انقطاع.

1- ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ص 2153-2154.

2- الزمخشري: أساس البلاغة، مرجع سابق، ج1، ص 484.

3- المصدر نفسه، ص 449.

4- الجوهري: الصحاح في اللغة، مرجع سابق، ج4، ص 1499-1500.

5- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مرجع سابق، ج3، ص 294.

6- محمد الجزري ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر،مرجع سابق، ج2، ص424.

2.1. السياق اصطلاحا:

1.2.1. السياق في الثقافة العربية:

يقول صاحب كتاب البحث الدلالي عند الأصوليين: "قد يشيع المصطلح العلمي بين الدارسين إلى درجة الابتذال فيتوهم البعض أنّ هذا المصطلح واضح مفهوم، فإذا ما حاولوا تحديد المعنى الذي ظنوا أنّهم يفهمونه بدا الأمر عسيراً غاية العسرة وغامضاً أشد الغموض، ومن تلك المصطلحات اللغوية الشائعة الاستعمال، العصيّة على التحديد الدقيق بشكل متفق عليه بين الدارسين مصطلح الكلمة ومصطلح الجملة ومصطلح السياق"[1].

ولعلّ من العلماء العرب القدامى ممن اهتموا بالسياق وتحدثوا عنه بدقةعلماء البلاغة والنحو وعلماء التفسير، وأيضا علماء الأصول.

1.1.2.1. السياق عند علماء الأصول:

اعتمد علماء الأصول على فكرة السياق لاستخراج المعنى من النصوص الشرعية إذ يعدّ اللجوء إلى السياق من وسائلهم الأساسية لتحديد المعنى ذلك لأنّه"يبيّن دلالة الألفاظ ما يؤخذ من النص وما يفهم من غيره، وفيه ضبط دقيق لمدلولات العبارات وإشاراتها"[2].

وكان السبق لهم في التنبه لقضية السياق وذلك لإدراكهم أهميتة للوصول إلى المعنى والكشف عنه، "وقد وعوا تماما أن ثمة نوعين من القرائن السياقية، الأولى هي القرائن اللفظية، والثانية هي القرائن المقامية، وفهموا الأثر الذي تقوم به هذه القرائن في تحديد

1- فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي: دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام – دراسة نظرية تطبيقية–رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2005 م، ص 14.

2- أبو زهرة محمد: أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 2.

دلالة النص"[1]، لذلك "اهتموا بقصد المتكلم باعتباره عنصرا مهما من عناصر السياق "وذلك أنّ المتكلم واحد من العناصر الأساسية للسياق الإجتماعي، فقد كان له نصيب كبير في الدراسة الأصولية، فلا يمكن الوقوف على الدلالة الكاملة للفظ دون الأخذ في الاعتبار قصد المتكلم أو الشارع"[2]، ويقول **'ابن خلدون'** متحدثا عن أصول الفقه وما يتعين على الأصولي:"...يتعين النظر في دلالة الألفاظ، وذلك أن استفادة المعاني من تراكيب الكلام يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين اللسانية في ذلك هي علوم النحو والتصريف والبيان"[3].

وبذلك يكون النظر في النصوص واستخراج دلالاتها اللفظية المقصودة أهم ما يلفت انتباه الأصولي وهدفه الأساسي.

ولما كانت قضية الدلالة يصعب- في كثير من الأحيان- الإحاطة بها واستخراجها بدقة، حاول الأصوليون وضع ضوابط كثيرة لاستنباط دلالة النصوص، حيث ميّزوا بين الدلالة التي أرادها صاحب النص أن تفهم من كلامه، فالعبرة بالإرادة لا باللفظ، كما قال **'ابن القيم الجوزية'** (751 هـ) متحدثا في موضع آخر عن أهمية السياق:"السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلمفمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته"[4]، فالسياق -كما يبدو عنده- له وظيفة أساسية في عملية فهم النصوص .

1- حبلص محمد يوسف: البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 12.

2-المرجع نفسه، ص54. 58.

3- ابن خلدون: المقدمة، تحقيق علي البستاني، مكتبة لبنان، ط4، 1990م، ص 454.

4- ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، جدة، (د.ط)، (د.ت)، ج4 ص 1314

وعلى الرغم من أن **'لابن القيم الجوزية'** نصيبا في الاهتمام بالسياق ووضعه بإمعان، إلا أنّ **'الإمام الشافعي'**- رحمه الله- كان لديه السبق والفضل، إذ يعدّ أول من استعمل مصطلح السياق استعمالا اصطلاحيا دقيقا، وربطه بالكلام، في كتابه "**الرسالة**" حيث وضع فيه بابا سمّاه " **'باب الصنف الذي يبين سياقهمعناه'**، وتناول فيه آيات جرى فيها تحديد معنى بعض الألفاظ التي لها أكثر من معنى بالسياق؛ فكأنّه أراد أن يشير إلى أنّ السياق يمكن أن يستعمل لتحديد المعنى المراد بالمشترك من الألفاظ القرآنية؛ وهنا نص على السياق بلفظه، لا بمعناه"[1]، ويقول **الشافعي**: "فإنّما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها. وأنّ فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه. وعاما ظاهرا يراد به الخاص. وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره. فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره"[2]، وهذا ما يبرّر كثرة المعاني التي يستخدمها الأصوليون للتعبير عن السياق.

يقول **'أبو حامد الغزالي'** في خضم حديثه عن دلالة الأمر: "إذا أمرنا بكذا، حسُن أن يستفهم فيقال: أمر إيجاب أو أمر استحباب وندب، ولو قال: رأيت أسداً. لم يحسن أن يُقال: أردت سبعاً أو شجاعاً؛ إلا أنه موضوع للسبع. ويصرف للشجاع بقرينة"[3]، مشيرا في موضع آخر من كتابه إلى أهمية القرائن اللغوية والقرائن الحالية كالرموز والإشارات والحركات الجسمية للمخاطِب في إفادة الاستغراق والعموم، فيقول: "إنّ قصد الاستغراق يعلم بعلم ضروري يحصل عن قرائن أحوال ورموز وإشارات وحركات من المتكلم وتغيرات في وجهه وأمور معلومة من عادته ومقاصده وقرائن مختلفة، لا يمكن حصرها في جنس ولا ضبطها بوصف بل هي كالقرائن التي يعلم بها خجل الخجل ووجل الوجل وجبن

1- طه جابر العلواني: السياق المفهوم-المنهج-النظرية، منتديات مكتبتنا العربية، الرابط: https://www.almaktabah.net

2- محمد بن ادريس الشافعي: الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص 51-52.

3- أبو حامد الغزالي: المستصفى من علم الاصول، المطبعة الأميرية، مصر، ط1، 1324هـ، ج1، ص459.

الجبان، وكما يعلم قصد المتكلم إذا قال السلام عليكم، أنّه يريد التحية أو الاستهزاء واللهو.ومن جملة القرائن فعل المتكلم إذا قال على المائدة: هات الماء، فهم أنّه يريد الماء العذب البارد دون الحار المالح.

وقد تكون دليل العقل؛ كعموم**قوله تَعَالَىٰ:** ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾هود: ٥ – ٦. وخصوص كقوله **تَعَالَىٰ:** ﴿ **ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ** ﴾الزمر:٦٢، إذ لا يدخل في ذاته وفاته"[1].

فقد أولى الإمام **'أبو حامد الغزالي'** أهمية كبيرة إلى درجة قيامه بالرد على من اعترض عليها، فقال: "أما قولهم ما ليس بلفظ فهو تابع للفظ فهو فاسد فمن سلّم أن حركة المتكلم وأخلاقه وعادته وأفعاله وتغير لونه وتقطيب وجهه وجبينه وحركة رأسه وتقليب عينيه تابع للفظة، بل هذه أدلة مستقلة يفيد اقتران جملة منها علوما ضرورية.

فإن قيل: فبم عرفت الأمة عموما ألفاظ الكتاب والسنة إن لم يفهموه من اللفظ؟ وبم عرف الرسول من جبريل وجبريل من الله تعالى حتى عمّموا الأحكام؟ قلنا: أما الصحابة رضوان الله عليهم فقد عرفوه بقرائن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وتكريراته وعاداته المتكررة، وعلم التابعون بقرائن أحوال الصحابة وإشاراتهم ورموزهم وتكريراتهم المختلفة وأما جبريل عليه السلام فإنّه سمع من الله عزّ وجّل بغير واسطة، فالله تعالى يخلق العلم الضروري بما يريده بالخطاب بكلامه المخالف لأجناس كلام الخلق. وإن رآه جبريل في اللوح المحفوظ، فإنّه يراه مكتوبا بلغة ملكية ودلالة قطعية لا احتمال فيها"[2].

1- أبو حامد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، المرجع السابق، ج2، ص 41-42.

2- المصدر نفسه، ص 42-43.

أما **'الشاطبي'** فقد استعمل لفظ المساق وقصد به السياق بنوعيه السياق اللغوي والسياق الحالي، إذ يقول في كتابه **'الموافقات':** "المسافات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان، فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم الالتفات إلى أول الكلام وآخره، بحسب القصدية وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها...فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام عن أوله، وأوله على آخره؛ وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف..."[1].

وإذا ما تأملنا آراء **'الزركشي'** في كتابه **'البحر المحيط في أصول الفقه'**، نجد إشارة واضحة إلى السياق، حيث أفرد له عنوانا في كتابه – السالف الذكر– أسماه **'دلالة السياق'** بدأه بالقول: "أنكرها بعضهم، ومن جهل شيئا أنكره، وقال بعضهم إنّها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى، وقد احتج بها أحمد على **'الشافعي'** في أنّ الواهب ليس له الرجوع من حديث (العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه)، حيث قال **'الشافعي':** هذا يدل على جواز الرجوع؛ إذ قيء الكلب ليس محرما عليه، فقال أحمد: ألا تراه يقول فيه: ليس لنا مثل سوء فلا يكون لنا"[2]. ويظهر من قول **'الزركشي'** أن الإمام **'أحمد بن حنبل'** قد استدل على **'الشافعي'** بسياق النص على حرمة أن يعود الواهب في هبته.

وبهذا نكون قد أنهينا كلامنا عن وعي علماء الأصول بقضية السياق، حيث رأينا أنّ فهم النصوص عندهم وتحديد معناها قد اعتمد بشكل واضح على السياق.

1– أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، دار الفكر العربي، مصر، ط2، 1395هـ . 1975م، ج3، ص 413.

2– الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، مصدر سابق، مج2، ص 52.

2.1.2.1. السياق عند علماء التفسير:

إذا كان السياق وسيلة هامة عند علماء الأصول –كما رأينا– فإن المفسرين كانوا أكثر تنبها لدور السياق في تفسير القرآن الكريم، وأكدوا ذلك وصرحوا به في أكثر من مناسبة، حيث يقول **'السيوطي'**:"وأما ما لم يرد فيه نقل فهو قليل وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السياق"[1]،لذلك اهتموامنذ وقت مبكر بالسياق القرآني لما له من أثر فاعل في تأويل آي القرآن الكريم والكشف عن معناها،"فلم يقتصروا في تفسيرهم لآي القرآن على المفردات وحسب، فأكدوا ضرورة الاهتمام بالسياق لبيان المعنى المقصود والوقوف على الدلالة"[2].

ونجد كثير من المفسّرين ممن أخذوا بالمنهج السياقي في تفسيرهم للقرآن الكريم وفي مقدمتهم "شيخ المفسّرين **'ابن جرير الطبري'** – رحمه الله– (ت: 310هـ) من خلال إلحاحه على وجوب النظر في القرآن الكريم من زاوية مراعاة العلاقات النحوية والأسلوبين والمقامية القائمة بين آيات الذكر الحكيم، ولذلك يرى أنّ "اتباع الكلام بالأقرب إليه أولى من اتباعه بالأبعد منه "[3]مضيفا أنّه "غير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول عليه السلام تقوم به حجة، فأما الدعاوي فلا تتعذر على أحد"[4]. ونجد منهم أيضا **'الزمخشري'** في كتابه **'تفسير الكشاف'**، وكذلك **'فخر الدين الرازي'**في تفسيره ومن المحدثين نجد **'محمد ابن عاشور'** من خلال كتابه **'تفسير التحرير والتنوير'** وغيرهم. وقد ميّز **'ابن تيمية'** بين صنفين من المفسرين:

1– السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج2، ص 183.

2– نسيمة نابي: مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، تيزي وزو الجزائر،2011م، ص 178.

3– طه جابر العلواني: السياق المفهوم–المنهج–النظرية https://www.almaktabah.net

4– المرجع نفسه،

– صنف أول راعى المعنى الذي رآه من غير النظر إلى ما تستحقه ألفاظ الدلالة والبيان.

– وصنف ثان راعى مجرد اللفظ، وما يجوز عندهم ما يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به، ولسياق الكلام[1]. فبفضل السياق يمكن الوصول إلى المعنى الحقيقي المقصود. وهذا ما أكّده الإمام **'الزركشي'** في كتابه **'البرهان في علوم القرآن'** بقوله: "ومن أحاط بظاهر التفسير وهو معنى الألفاظ في اللغة، لم يكف ذلك في فهم حقائق المعاني، ومثاله، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ **الأنفال:**١٧، فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامضة، فإنه إثبات للرمي ونفي له، وهما متضادان في الظاهرما لم يفهم أنّه رمي من وجه، ولم يرم من وجه"[2].

وانطلاقا مما سبق يمكن القول أنّ تأويل آي القرآن الكريم وفهم دلالتها يستدعي بالضرورة الاستناد إلى القرائن المقالية والحالية، أو ما يعرف في وقتنا بالسياق اللغوي وسياق الموقف.

3.1.2.1. السياق عند علماء البلاغة:

اهتم علماء البلاغة في بحوثهم بفكرة مقتضى الحال، أو ما يعرف بالمقام للدلالة على ما يسمى عند اللسانيين المعاصرين بسياق الموقف؛ وهو مجموع الظروف الخارجية المحيطة بالكلام باعتبار المكانة الإجتماعية لطرفي التخاطب.

يقول **'تمّام حسّان'**: "فحين قال البلاغيون لكل مقام مقال، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام، وقعوا على عبارتين عن جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات

1– أنظر صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ: شرح مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، مكتبة دار المنهاج الرياض، ط1، 1432هـ، ص 35–36

2– الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة ط 3، 1404هـ . 1984م، ج 2، ص155.

لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على السواء ولم يكن **'مالينوفسكي'** وهو يصوغ مصطلحه الشهير سياق الحال يعلم أنّه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها"[1].

فإذا ما نظرنا إلى المقام على أنه يمثل سياق الحال وجدناه واضحا جليا عند جل علماء البلاغة. فهذا **'العسكري'** يؤكده في كتابه "**كتاب الصناعتين**" على ضرورة مراعاة حال المخاطبين وظروف الخطاب مدعما رأيه بما فعله النبي صلى الله عليه وسلم أنّه "لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس كتب إليهم بما يمكن ترجمته...فسّهل الألفاظ كما ترى غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة في العربية، ولما أراد أن يكتب إلى قوم العرب فخم اللفظ، لما عرف فضل قوتهم على فهمه وعادتهم لسماع مثله"[2]، فالمقام حسب العسكري لا يقتصر على مراعاة حال المخاطبين فقط، وإنّما تجاوزه إلى مراعاة الغرض الذي يكتب من أجله الخطاب.

وهذا ما أشار إليه **'السكاكي'** في كتابه مفتاح العلوم، عند وقوفه على قضية اشتمال ظروف المخاطبين على كل ما يتصل بحياتهم الإجتماعية وحتى الثقافية في أثناء حديثه عن مناسبة الجمع بين بعض الألفاظ دون البعض الآخر بالنظر إلى تركيب واحد ممثلا لذلك من القرآن، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾الغاشية: ١٧ - ٢٠، فمن لم يكن من الأعراب أو يعرف ما يتعلق بحياتهم وما عليه معاشهم، فإنه سوف يستغرب لهذا الجمع بين الإبل والسماء والجبال والأرض؛ وذلك "لبعده في خياله عن السماء وبعد خلقه عن رفعها وكذا البواقي"[3].

1- أنظر تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، (د.ط)، 1994م، ص 337

2- أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، مصدر سابق، ص 154-155.

3- السكاكي: مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص 366.

أما **'عبد القاهر الجرجاني'** فقد أبدع نظرية النظم وربط الكلام بظروف استعمالهحيث أوضح أن السياق هو ترتيب الألفاظ في الجملة، لذلك يمكن القول أنّ**النظم**عند **'الجرجاني'**"هو توخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام"[1]، حيث أعاب على اللغويين العرب عدم الإستفادة من المبدأ الذي وضعه سيبويه، مؤداه ربط الكلام بمقام استعماله، بل وقع في ظنهم أن كل تقديم أو تأخير أو حذف...إنّما هو للعناية والاهتمام[2]. فقد نظر **'الجرجاني'** إلى الخطاب ككل متكامل لا يمكن فصل الجانب اللغوي فيه عن المقام الذي ورد فيه، وبذلك يتعاضد السياق اللغوي وسياق الموقف على إبراز الدلالة وفهم قصد المتكلم؛ إذ يرى أن دراسة الأنماط النحوية للجملة خارج سياق الحال غير كافية لتبيان الوظيفة التواصلية للغة مؤكدا على ضرورة دراسة الأنماط النحوية للجملة بحيث تحمل فائدة بالنسبة للسامع وتحصل على هاته الفائدة من خلال إدراكه لغرض المتكلم ويتّم ذلك بربط دراسة الأنماط النحوية للجملة بقضية الإبلاغ حسب المقام[3].

هذا ويقول **'الجرجاني'** في**'باب أثر السياق في علم البيان'** من كتابه **'دلائل الإعجاز'**: "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ... وضرب آخر أنت لا تصل فيه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، لم تجد لذلك المعنى دلالة ثابتة تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والإستعارة والتمثيل"[4]، فلا يمكن الاعتماد على ظاهر اللفظ وحده لاستخلاص المعنى من الصور البيانية؛ لأنّ الدلالة تحصل

1- محمد حداورة: جذور النظرية السياقية في التراث اللغوي العربي -الخصائص أنموذجا-مذكرة لنيل شهادة الماجيستير جامعة ابن خلدون، تيارت-الجزائر، 2005-2006م، ص 66.

2- أنظر البدراوي زهران: عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني، المفتن في العربية ونحوها، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1987م، ص 283-242.

3- أنظر صالح بلعيد: التراكيب النحوية ودلالاتها في السياقات الكلامية عند عبد القاهر الجرجاني، ص 87.

4- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص 262.

بمعرفة المعنى المعجمي للألفاظ، أما المعنى فهو الدلالة الحقيقية لهاته الألفاظ. فالصور البيانية هي عادات استعمالية درج عليها أصحاب اللغة، ولا يمكن فهم مغزاها خارج إطارها الذي تستعمل فيه، وهذا بالضبط ما عناه **'الجرجاني'** بقوله: "ومن عادة قوم ممن يتعاطون التفسير بغير علم أن يوهموا أبدا في الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل أنّها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك"[1].

ولا يقتصر الأمر في الدراسات البلاغية على المقام (سياق الحال) فحسب، بل أولوا المقال (السياق اللغوي) اهتماما كبيرا، وتجلى ذلك في ربط **'الجرجاني'** فصاحة الكلمة بتركيبها النحوي (السياق اللغوي)، فيقول: "وجملة الأمر أنّا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنّا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقا معناها بمعنى ما يليها. فإذا قلنا لفظة (اشتعل) من **قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾**مريم:٤. أنّها أعلى مرتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولا بها الرأس معرفا بالألف واللام ومقرونا إليها الشيب منكرا منصوبا"[2]. مضيفا في موضع آخر بقوله:"فقد اتضح إذن إتضاحا لا يدع للشك مجالا أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلمٌ مفردة...وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ"[3]. فلا يمكن – حسب رأي **الجرجاني**– أن نصل إلى المعنى من خلال اللفظة المفردةبل المعنى يستخلص من تركيب مجموعة من المفردات والتي تمثل الخطاب.

وإذا كانت البلاغة العربية قد قامت – أساسا– على فكرة الإعجاز القرآني، فإن قضية المقام كانت عاملا هاما في تبيان أوجه الإعجاز البلاغي والأسلوبي، حيث "إنّ

1– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 305.

2– المصدر نفسه، ص 403–404.

3– المصدر نفسه، ص 46.

إدراك الأسرار البلاغية لا يكون إلا بعد تحديد المقام الذي نزلت فيه الآيات ليتسنى بعد ذلك الوقوف على ملائمة الآيات لما استلزمه المقام"[1]. لهذا السبب قام اتجاه هام في التفسير يسمى بـ **'الإتجاه البياني'** الذي يقوم على أساس الإحتكام إلى النصوص والاهتداءبه في توضيح مبهم، وتخصيص عام، أو تقييد مطلق أو غير ذلك"[2].

ومنه يمكن القول أنّ الدرس البلاغي العربي القديم قد اعتمد في بحوثه وبشكل واضح على السياق في فهم الدلالة والحكم على الكلام بالصحة والاستقامة أووصفه بالفصاحة.

4.1.2.1. السياق عند علماء النحو:

لم تقتصر العناية بالسياق على علماء الأصول وعلماء التفسير والبلاغيين فحسب بل شمل ذلك علماء النحو أيضا، فإذا طالعنا مدوناتهم فإننا نجدهم قد أفاضوا في جوفها بالحديث عن قضية السياق – تلميحا أو تصريحا– لأن نشأة النحو العربي ارتبطت بفهم القرآن الكريم ولم ترتبط بظاهرة اللحن، وهذا ما يؤكده **'عبده الراجحي'** بقوله:"ذلك أنّ المسلمين عرفوا بداية أنّ عليهم أن يقرأوا القرآن وأن يفهموه...وفرق كبير بين علم يسعى لفهم النص، وبين علم يسعى لحفظه من اللحن، ولو كانت الغاية منه حفظ النص من اللحن لما أنتج العرب هذه الثروة الضخمة في مجال الدرس النحوي"[3].

فـ **'الراجحي'** شكّك في الروايات التي تقول أنّ سبب نشأة النحو العربي هو ظاهرة اللحن التي انتشرت بعد انحصار السليقة العربية السليمة على الألسنة، وقد ساق من الأدلة ما يعضد رأيه، منها ضخامة الثروة النحوية وارتباط الدرس النحوي بعلوم أخرى تسعى إلى فهم النص، وأنّ الفهم يفيد في معرفة ما يؤديه التركيب القرآني على وجه

1– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص 92.
2– فتحي فريد، المدخل إلى دراسة البلاغة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ط)، 1978م، ص 12.
3– عبده الراجحي: دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1988م، ص 10.

الخصوص، باعتباره أعلى ما في العربية من بيان[1].لذلك نرى الكثير من النحويين يهتمون بالمعنى أكثر من اهتمامهم بالتركيب، ولو كان ذلك على حساب ظاهر اللفظ لذلك كان هدفهم الأساسي لإيضاح المعنى هو السياق الذي استخدموه للدلالة على القرائن اللغوية والقرائن الحالية، يقول**'السيوطي'**: "...وصناعة النحو قد تكون فيها الألفاظ مطابقة للمعاني وقد تكون مخالفة لها إذا فهم السامع المراد، فيقع الإسناد في اللفظ إلى شيء وهو في المعنى إلى شيء آخر إذا علم المخاطب غرض المتكلم وكانت الفائدة في كلا الحالين فائدة"[2].

فالتعويل في الدرس النحوي العربي كان على المعارف المشتركة بين المتخاطبين وهو ما يطلق عليه القدماء القرائن الحالية"التي لا تفهم من المقال بل تفهم من المقام أو الظروف المحيطة بالمقال وتسمى سياق الحال في الدراسات اللسانية الحديثة، وهي تقف جنبا إلى جنب مع القرائن المقالية في تعيين المعنى الوظيفي النحوي"[3].

فالقرائن الحالية كلها كانت حاضرة في الدرس النحوي العربي بل كانت تمثل جزءا لا يتجزأ من تناولهم للنصوص بالشرح والإعراب، لأنّها تهدي إلى عدم الأخذ بظاهر اللفظ والإكتفاء به. يقول**'ابن هشام'** في **'المغني'**: "متى بني على ظاهر اللفظ ولم ينظر في موجب المعنى حصل الفساد"[4]. ممثلا لذلك من القرآن الكريم، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾**هود:** ٨٧، فإنّه يتبادر إلى الذهن عطف (أن نفعل) على (أن نترك) وذلك باطل، لأنّه لم

1- أنظر عبده الراجحي: دروس في المذاهب النحوية، المرجع نفسه، ص10.

2- جلال الدين السيوطي: الاشباه والنظائر في النحو، تحقيق محمد إبراهيم عبد الله، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (د.ط) (د.ت)، ج3، ص 172.

3- عبد الجبار توامة: القرائن المعنوية في النحو العربي، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 1994-1995م، ص 53

4- ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت (د.ط)، 1411هـ . 1999م، ج2، ص 607.

يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون وإنّما هو عطف على (ما) فهو معمول للترك والمعنى: أن نترك أن نفعل[1]. فـ **'ابن هشام'** أراد أن يلفت النظر إلى أهمية المعنى الذي يقتضيه المقام.

والمتأمل لآراء **'الخليل بن أحمد الفراهيدي'** التي أوردها تلميذه **'سيبويه'** في **'الكتاب'**، يستنتج أنّه من الرواد الذين اعتمدوا على سياق اللغوي في دراسة التراكيب النحوية، واهتم بسياق الموقف المتمثل في المتكلم والمخاطب والعلاقة بينهما.

ومن أمثلة اعتماد **'الخليل'** على السياق اللغوي ما نسب إليه من طرف تلميذه**'سيبويه'** في الكتاب قول الشاعر[2]:

إذَا تغنَّى الحمامُ الوُرْقُ هَيَّجَنِـــي ولو تغرَّبتُ عنها أُمَّ عَمَـــــــــــــار

قال **'الخليل'**: "لما قال هيجني عرف أنه قد كان ثَمَّ تَذَكُّرٌ لِتَذكِرَة الحمام وتهيجه فألقى ذلك الذي قد عُرف منه على (أمّ عمار) كأنّه قال: هيّجني فذكّرني أمّ عمار. ومثل ذلك أيضا قول **'الخليل'**، وهو قول أبي عمرو: ألا رجلَ إما زيداً وإما عمراً لأنّه حين قال: (ألا رجلَ) فهو متمنٍ شيئاً يسأله ويريده، فكأنّه قال: اللّهم اجعله زيداً أو عمراً، أو وفِّقْ لي زيداً أو عمراً"[3].

ومعنى كلام **'الخليل'**، أن الشاعر في البيت الشعري السابق قام بنصب كلمة (أم عمار) بفعل دلّ عليه السياق اللغوي أو سياق الموقف. فيقول: "نَصَبْتَه؛ لأنّك قد عرفت أنك إذا قلت له (انْتَهِ) أنك تحمله على أمرٍ آخر، فلذلك انتصب وحذفوا الفعل لكثرة

1- ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المصدر السابق، ص 607.
2- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب كتاب سيبويه، ج 1، ص 286.
3- المصدر نفسه، ص 286.

استعمالهم إياه في الكلام، ولِعلم المخاطَب أنه محمولٌ على أمرٍ حين قال له: انْتَهِ فصار بدلاً من قوله: ائتِ خيراً لك، وادخل فيما هو خيرٌ لك"[1].

ومنه يتضح من خلال الأمثلة السابقة أن**'الخليل بن أحمد الفراهيدي'** قد اعتمد على السياق بنوعيه (السياق اللغوي وسياق الحال) في بيان ما عرض بمبنى التركيب وبيان دلالته، فالسياق اللغوي يتضح من نصبه (خيراً) بفعل مضمر دل عليه ما قبله وهو(انته)، كما يمكن تفسير عدم نصبه لكلمة (خيراً) بالفعل (انته) بالاعتمادعلى الفاصلة الصوتية والوقف على الفعل (انته)[2]، والتي تعد من عناصر السياق اللغوي كذلك.

أما اعتماد **'الخليل'** على سياق الموقف تمثل في علم المخاطب بقصد المتكلم وموضوع الكلام، وأيضا تعليله حذف الفعل لكثرة استعمالالمتكلمين لهذا التركيبإذ تعتبر هذه العلة من العلل الدلاليةالتي تؤدي إلى علم المخاطَب بالمعنى ووضوح الدلالة لديه. كما اعتمد **'الخليل'** على إرادة المتكلم في توجيه ما تنصب على (التعظيم والمدح) في نحو (الحمد لله أهل الحمد)[3]، وقد "زعم **الخليل** أن نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدّث الناس ولا مَنْ تخاطب بأمر جهلوه، ولكنّهم قد علموا من ذلك ما قد علمتَ فجعلته ثناء وتعظيماً"[4].

ومن خلال ما تقدم من أمثلة تبين لنا اعتماد **'الخليل بن أحمد الفراهيدي'** على السياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي (سياق الموقف) في تقعيده للنحو وبيان معنى التراكيب ودلالاتها. وإذا كانت هذه الآراء قد نقلت إلينا من طرف تلميذه **'سيبويه'**في مؤلفه

1- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب كتاب سيبويه، المصدر السابق، ص 283-284.

2- أنظر فتحي علم الدين ثابت: أثر السياق في مبنى التركيب ودلالته، دراسة نصية، رسالة دكتوراه، جامعة المنيا، كلية الدراسات العربية والإسلامية، 1994م، ص 12-13.

3- انظر أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب كتاب سيبويه، المصدر السابق، ج2، ص 62.

4- انظر المصدر نفسه، ص65.

الكتاب، فإنّ**'الخليل'** يعتبر أول من استخدم كلا من السياق اللغوي وسياق الحال، وذلك باعتبار أن **'الكتاب'** أول وضع في النحو.

وعليه فمن الطبيعي أن ينهج النحاة منهج **'الخليل'**، وذلك عن طريق الاستفادة من آرائه النحوية حول أهمية السياق في تقعيد النحو. وبذلك يكون تلميذه **'سيبويه'** أول من اتبع مسار **'الخليل'**، فقد أولى **'سيبويه'** السياق بشقيه اللغوي والحالي اهتماما كبيرا وفيمايلي بعض الأمثلة التي توضح اعتماده على عناصر السياق اللغوي والحالي، وتبيان أثر شقي السياق في معاني التراكيب ودلالاتها.

ومن أمثلة اعتماده على السياق اللغوي، اعتماده في الدلالة على العنصر المحذوف في الجملة الثانية على عنصر لغوي ذكر في الجملة التي تسبقها، حيث جعل العنصر اللغوي الأول المذكور سببا في عدم التباس المعنى على المخاطب.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾البقرة: ١٣٥، "أي: بل نتبع ملة إبراهيم حنيفاً كأن قيل لهم: اتبعوا، حين قيل لهم:﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾"[1].

أما مثال اعتماده على سياق الحال فتمثل في اهتمامه بالمتكلم والمخاطب والعلاقة بينهما، إضافة إلى موضوع الكلام والحركات الجسمية المصاحبة لعملية التخاطبوما يترتب على ذلك من المفاضلة بين التراكيب، كما ورد في قوله:"وذلك أن رجلا من إخوانك ومعرفتك لو أراد أن يخبرك عن نفسه أو عن غيره بأمر فقال: أنا عبدُ الله منطلقاً، وهو زيد منطلقاً، كان مُحالاً؛ لأنّه إنّما أراد أن يخبرك بالانطلاق، ولم يقل هوولا أنا حتى استغنيت أنت عن التسمية، لأن هو وأنا علامتان للمضمر إذا علم أنك قد عرفت

1- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب كتاب سيبويه، المصدر السابق، ج1، ص 257.

من يعني. إلا أنّ رجلا لو كان خلف حائط، أو في موضع تجهله فيه، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله منطلقا في حاجتك، كان حسنا"[1].

ويتضح مما سبق أن ترتيب العناصر اللغوية داخل التركيب وما يطرأ عليه من حذف أحد العناصر، أو تقديم أحد العنصرين على الآخر لايسوغه فقط السياق اللغوي، وإنّما يرجع ذلك أحيانا إلى العوامل الخارجية التي تحيط بالحدث الكلامي، ويعتمد تقديم أحد العصرين على الآخر على موقف المتكلم وتقديمه لما يراه محل الاهتمام.

هذا ويبرز الاهتمام بالقرائن السياقية عند **'ابن جني'** في كتابه**'الخصائص'**. فيقول عن علة حذف الصفة: "وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون ليل طويل، وكأنّ هذا إنّما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك أنّك تحس من كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك"[2].

ونفهم من خلال قول **'ابن جني'** أنه ركز على المتكلم وما يصاحب كلامه من حركات وإشارات ومساهمتها في تحديد معنى التراكيب.

هذا وقد ربط النحاة بين المتكلم والكلام، فهاهم "يربطون بين عمل العامل أو إهماله وما يدور في نفس المتكلم من هواجس وخواطر، فإهمال العامل ليس مجرد من الإرادة والقصد، بل تنتوي وراءه غاية نفسية معنوية من ذلك حديثهم عما نقل إليهم من كلام العرب من مثل (سقيا لك) و(تبا لك) فقد اهتدوا إلى ما كان يدور في نفس المتكلم وهو يطلق هذا الدعاء فعقلوا (لك) بعامل محذوف ولم يعقلوه بالمصدر المذكور"[3].

1- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب كتاب سيبويه، المصدر السابق، ج2، ص 80-81.

2- المصدر نفسه، ج1، ص 370-371.

3- محمد خير الحلواني: أصول النحو العربي، جامعة تشرين، اللاذقية، (د.ط)، 1997م، ص 186.

لقد كان علماؤنا القدامى مدركين لأهمية السياق في تحديد المعنى، واعين بدوره الحاسم في توجيه دلالات التراكيب اللغوية، ولاسيّما في النص القرآني.

أما اللغويون المحدثون العرب، فقد اهتموا بدراسة السياق من خلال تأثرهم بالنظرية السياقية لـ **'فيرث'**، سواء كان ذلك بشكل مباشر عن طريق تلقي العلم على يديه أو بطريقة غير مباشرة عن طريق الترجمة مثلا، ومن أمثلة هؤلاء الدكتور **'تمّام حسّان'** والدكتور **'كمال بشر'** والدكتور **'محمد السعران'** وغيرهم، ويظهر ذلك بجلاء في مؤلفاتهم.

2.2.1. السياق في الثقافة الغربية:

لقداهتم المحدثون بالسياق اهتماما كبيرا، وذلك نتيجة تأثرهم بمحاضرات **'دي سوسير'** التي أقرّ فيها عن النشاط الاجتماعي للغة، إذ لا يمكن فهم اللغة إلا من خلال المجتمع الذي تواضع عليه[1]. ومن أبرز المدارس التي أولت السياق أهمية كبيرة مدرسة **'فيرث'**، التي أسسها في بريطانيا حيث وضع تأكيدا كبيرا على الوظيفة الاجتماعية للغة هذا وتعدّ النظرية السياقية اللبنة الأساسية في المدرسة اللغوية الإجتماعية التي وسّع فيها نظريته اللغوية بمعالجة كل الظروف الاجتماعية لتحديد المعنى الذي صرح به **'فيرث'** بقوله:"لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية"[2].لذا قدم **'فيرث'** السياق على أنه إطار منهجي يمكن تطبيقه على الأحداث اللغوية.

ولكن كانت هناك ملامح لدرس السياق في المتن اللغوي الغربي قبل **'فيرث'**؛ لأنّ نقطة انطلاقه الحقيقية تجسدت في الإفادة من جهود **'مالينوفسكي'**–كما سبق الذكر– فيقول**'علي عزت':** "أنّ كلا من **'فيرث'** و**'مالينوفسكي'** يستخدمان هذه النظرية بطريقة مختلفة، ويرجع هذا إلى كون أحدهما كان عالما أنثروبولوجيا وهو الثاني الذي أفضت

1– أنظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج1، مرجع سابق، ص 106.

2– أحمد محمد: مختار علم الدلالة، مرجع سابق، ص 68.

به دراساته للأجناس إلى اهتمامه العارض باللغة، بينما كان **'فيرث'** عالما لغويا مهتما بالثقافة الإنسانية إلى الدرجة التي أعانته على تكوين نظرية لغوية"[1].

ومنه نخرج بنتيجة مفادها أن هناك تداخل لغوي بين سياق النص وسياق الموقف وهذا ما أكّده **'فيرث'**، وأطلق عليه اسم التوازي ما بين السياقات الداخلية والخارجية للموقف."وخلص **'فيرث'** إلى أن تحديد المعنى يتوقف على الشروط التالية:

- تحليل السياق اللغوي (Verbal Context) صوتيا وصرفيا ونحويا ومعجميا.
- بيان شخصية المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة بالكلام.
- بيان نوع الوظيفة الكلامية.
- بيان نوع الأثر الذي يتركه الكلام.

فهذه الشروط تؤكد بقوة على المعنى متصل اتصالا كبيرا بالسياق، إذ يتعذر الفصل بينهما ولا يُتصور أحدهما والآخر ليس متلبّسا به"[2].

أما **'فندريس'** فيرى أنّ السياق"هو الذي يعين قيمة الكلمة، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا والسياق هو الذي يعرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من أن المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق كذلك يخلص الكلمة من الدلالات الماضية تدعها الذاكرة تتراكم عليها وهو الذي يخلق لها قيمة معنوية"[3].

1- محمد عبد الله العبيدي: دلالة السياق في القصص القرآني، مرجع سابق، ص 188.

2- الطيب العزالي قواوة، الانسجام النصي وأدواته، مرجع سابق، ص 65.

3- محمد عبد الله العبيدي: دلالة السياق في القصص القرآني، المرجع السابق، ص 17.

في حين أنّ السياق عند **'براون'** و**'يول'** قد لعب دورا مهما وفعّالا في تأويل الخطاب \ النص وفهمه، إذ يتكون لديهما من أربعة أقطاب هي: المتكلم والمستمع والزمان والمكان[1].

وقد ذهب **'هايمس'** (1964م) إلى أن "للسياق دوراً مزدوجاً إذ يحصر مجال التأويلات الممكنة...ويدعم التأويل المقصود. وفي رأي **'هايمس'** أنّ خصائص السياق قابلة للتصنيف إلى ما يلي:

أ. ***المرسل***: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.

ب. ***المتلقي:***وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.

ج. ***الحضور:*** وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.

د. ***الموضوع:*** وهو مدار الحدث الكلامي.

هـ. ***المقام***: وهو زمان ومكان الحدث التواصلي، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه...

و. ***القناة:*** كيف تمّ التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: كلام، كتابة إشارة...

ز. ***النظام***: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.

ح. ***شكل الرسالة:*** ما هو الشكل المقصود: دردشة، جدال، عظة، خرافة، رسالة غرامية...

ط. ***المفتاح:***ويتضمن التقويم: هل كانت الرسالة موعظة حسنة، شرحاً مثيراً للعواطف...

ي. ***الغرض***: أي أنّما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي.

1- أنظر محمد خطابي: لسانيات النص، مرجع سابق، ص 52.

كما يشير **'هايمس'** إلى أن تواجد كل هذه الخصائص في الحدث الكلامي ليس ضروريا ولكن كلما اعتمد المحلل على أكثر هذه الخصائص، كلما كان تمكن من التنبؤ والتأويل[1].

وقد قسّم اللسانيون السياق إلى:

أ. سياق لغوي (مقالي):

متمثلة في النص ذاته بجميع مستوياته اللغوية وكينونتها النصية، حيث إنّ معنى الكلمة لا يتحدد إلا بعلاقتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية، وموقعها مما يجاورها من الكلمات التي تشترك معها في السياق، فهو الذي من خلاله تتجلى دلالة.

ب. سياق غير لغوي (مقامي):

وهو الظروف الخارجية غير اللغوية التي تحيط بالخطاب\النص، والتي تسهم في تحديد معاني التعبيرات اللغوية، وتشتمل هذه الظروف على الطبقات المقامية المختلفة والمتباينة التي ينجز ضمنها النص، فالمخاطب في تأويله للخطاب\النص واعتماده على هذه الظروف المقامية سيسهم في بناء المعنى وتأويله تأويلا صحيحا، إذ قد يصيب المعنى التغيير إذا تغيرت المواقف التي تستخدم فيها الكلمات[2].

ومن هنا نلتمس الأهمية الكبيرة التي أولتها الدراسات اللغوية المعاصرة للسياق حيث ركزت على دوره في تحديد المعنى، فالكلمة لا يتحدد معناها إلا من خلال سياقها الذي وردت فيه؛ لأنّ للكلمة عدة استعمالات سياقية وكل سياق يحدد معنى من هذه المعاني.

1- محمد خطابي: لسانيات النص، المرجع السابق، ص 53.

2- المرجع نفسه، ص 53.

3.1. أنواع السياق في القرآن الكريم:

يختلف السياق القرأني عن غيره من السياقات؛ لأنّه مكون من أربعة أنواع من السياق المؤتلفة والمتكاملة، فقد حقق هذا التنوع في السياق القرآني التعدد في المعاني والتنوع في الأغراض. وهذا ما أكّده صاحب كتاب **'دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم'** بقوله: "السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنّه قد يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه ويضاف إليه، بمعنى أن هناك: سياق الآية، وسياق النص، وسياق السورة، والسياق القرآني، فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى"[1].

1.3.1. سياق الآية:

ويتّم في هذا النوع من السياق البحث في معنى الآية واستنباط الغرض منها، وإذا ما حصل خلاف حول معنى الآية، فإنّنا ننظر في سياقها؛ لأنّه إذ حصل مشترك لفظي لا يتضح معناه إلا من خلال سياق الآية، والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم منها لفظ **'الإحصان'**الذي يطلق على الإسلام والحرية والعفاف والتزويج، ولكن الحسم في تحديد المعنى المقصود من الآية لا يتأتى إلا من خلال سياق الذي وردت فيهومثال ذلك قوله قوله **تَعَالَىٰ:** ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ النساء:٢٥. فالمراد بـ**'الإحصان'** في هذه الآية التزويج –**حسب ابن كثير**– يقول في تفسيره:"والأظهر –والله أعلم–: أنّ المراد بالإحصان هاهنا التزويج؛ لأن سياق الآية يدل عليهحيث،**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾النساء:٢٥ . والله أعلم، والآية

1– عبد الوهاب أبو صفية الحارثي: دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، (د.ن)، ط1، 1409هـ، ص 88.

الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات، فتعين أن المراد بقوله:﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ ﴾؛ أي: تزوجن كما فسره ابن عباس وغيره"[1].

أما الإمام **'الشنقيطي'** –رحمه الله–يقول:"قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ ﴾النساء: ٢٥أي: فإذا تزوجن، وقول من قال من العلماء: إنّ المراد بالإحصان في قوله:﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ ﴾الإسلام خلاف الظاهر من سياق الآية؛ لأن سياق الآية في الفتيات المؤمنات حيث قال:﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا ﴾النساء: ٢٥. فمعنى لفظ "الحصن" يحدّد حسب السياق.

2.3.1. سياق النص:

وهو المقطع المتحد في الغرض، ويتبين هذا كثيرا في سياق القصص، فيكون الترجيح أحيانا بناء على سياق النص[2].

مثال ذلك قول **'أبو شامة'** – رحمه الله– في الآية،**قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾هود: ٨٢."أي: عالي مدائن قوم لوط، ولم يتقدم لها ذكر، ولكن علم ذلك من سياق القصة"[3].

وفي سياق النص يتبين صواب القول من عدم صوابه، ومثاله ما قاله **'الشنقيطي'** – رحمه الله– : "قد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن من أنواع البيان التي تضمنها أن يقول بعض العلماء في الآية قولا، ويكون في نفس الآية قرينة تدل على عدم صحة

1– عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج 1، ص 746.

2– المثنى عبد الفتاح محمود: السياق القرآني وأثره في ترجيح الدلالة، أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه الجامعة الأردنية، 2005م، ص 77.

3– عبد الرحمن ابن إسماعيل بن إبراهيم الشاطبي، إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت)، ص 550.

ذلك القول...ومن أمثلته قول بعض أهل العلم: إنّ أزواجه صلى الله عليه وسلم لا يدخلن في أهل بيته في **قوله تعالى:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾الأحزاب:٣٣، فإن قرينة السياق صريحة في دخولهن؛ لأن **الله تعالى قال:** ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ﴾الأحزاب: ٢٨، ثم قال في نفس خطابه لهن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾الأحزاب: ٣٣، ثم قال بعده: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾الأحزاب: ٣٤"[1].

3.3.1. سياق السورة:

لقد اهتم العلماء بسياق السورة، وبحثوا في المعنى الحقيقي الذي تدور حوله السورة ومن بين الأمثلة التي تصب في هذا السياق مايلي:

نبدأها ببحث **"ابن القيم"** – رحمه الله– في وجه مناسبة الأمثال التي وردت في سورة التحريم لسياقها، لأنّ الله أورد فيها شأن امرأة نوح وامرأة لوط، فيقول:"في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة، فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم والتحذير من تظاهرهن عليه، وأنّهن إن لم يطعن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله صلى الله عليه وسلم كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما"[2].

1– محمد الأمين الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف بكر بن عبد الله بوزيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع (د.ط)، (د.ت)، ج6 ، ص 576–577.

2– محمد بن أبي أيوب الزرعي أبو عبد الله: الأمثال في القرآن الكريم . ابن قيم الجوزية، تح إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة، طنطا، ط1، 1406هـ . 1986م، ص 57 .

ومثال آخر تمثل في توضيح **'الإمام ابن تيمية'** – رحمه الله– وجه المناسبة بين إيراد حقوق **النبي صلى الله عليه وسلم**، وحقوق أهل بيته، وبين ورود غزوة الأحزاب التي تعتبر مناسبة خفية في سورة الأحزاب، ويتحدد ذلك من خلال معرفة سياق السورة.

فيقول – رحمه الله– عن سورة الأحزاب:"وهي سورة تضمنت ذكر هذه الغزاة التي نصر الله فيها عبده، وأعزّ فيها جنده المؤمنين، وهزم الأحزاب الذين تحزبوا عليه وحده بغير قتال، بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم. ذكر فيها خصائص رسول الله وحقوقه وحرمته وحرمة أهل بيته، لما كان هو القلب الذي نصره الله فيها بغير قتال"[1].

4.3.1. سياق القرآن:

المراد بهذا النوع من السياق القرآني، مقاصد القرآن الأساسية، والمعاني الكلية التي تسمى بالكليات في القرآن، والأساليب المطردة في القرآن التي تسمى بعادة القرآن. وعليه يمكن تقسيم هذا النوع إلى وجوه

1.4.3.1. الوجه الأول: مقاصد القرآن العظمى:

إنّ معاني القرآن ومقاصده ذات أفانين كثيرة بعيدة المدى مترامية الأطراف موزعة على آياته فالأحكام مبنية في آيات الأحكام، والآداب في آياتها، والقصص في مواقعها وربما اشتملت الآية الواحدة على فنين من ذلك أو أكثر"[2].

فالقرآن مبني على أغراض ومقاصد أساسية، تشكل لبنة أساسية في تفسير كلام الله تعالى[3]. ومقاصد القرآن واضحة وظاهرة فيه، وقد أجمل **'ابن عاشور'** هذه المقاصد في ثمانية مقاصد وهي بالترتيب: إصلاح الاعتقاد، وتهذيب الأخلاق، بيان التشريع

1– عبد الرحمن بن محمد بن قاسم: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، 1425هـ .2004م، ج 28، ص 433.

2– محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، 1984م، ج1، ص 8.

3– محمد الربيعة: علم السياق القرآني، ملتقى أهل التفسير الرابط:http: //www.tafsir.net

سياسة الأمة وصلاحها وحفظ نظامها، القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، التعليم بما يناسب حاله عصر المخاطبين وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وأخيرا الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالةعلى صدق الرسول[1].

2.4.3.1. الوجه الثاني: المعاني الكلية:

والمقصود بالمعاني الكلية هو ما يرد في القرآن من الألفاظ التي يطرد أو يغلب معناها في جميع القرآن، فيستعملها القرآن بمعنى واحد غالبا، وهذا ما يسمى بكليات القرآن[2].

قال **'ابن تيمية'** –رحمه الله–: "إذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء، ولفظ الشارع قد اطرد في معنى، لم يجز أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله ورسوله بقول فيه نزاع بين العلماء"[3].

مثال ذلك ما قاله **'الشنقيطي'** –رحمه الله–:"ومن أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب المبارك الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلبته فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية، ومثاله **قَالَ تَعَالَى:﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾** المجادلة: ٢١، فقد قال بعض العلماء:إن المراد بهذه الغلبة: الغلبة بالحجة والبيان، والغالب في القرآن هو استعمال الغلبة في الغلبة بالسيف والسنان، وذلك دليل واضح على دخول تلك الآية في الغلبة؛ لأنّ خير ما يبين به القرآن"[4].

1– محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المرجع سابق، ج1، ص 8.

2– محمد الربيعة: علم السياق القرآني، المرجع السابق، http: //www.tafsir.net

3–عبد الرحمن بن محمد بن قاسم: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، ج7، مرجع سابق، ص35.

4– محمد الأمين الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سابق، ج1، ص 15.

3.4.3.1. الوجه الثالث: الأساليب المطردة:

والمقصود بالأساليب المطردة هو ما يستعمله القرآن من الأساليب، ويطرد في القرآن كله، وهذا ما يسمى بعادة القرآن[1].

ومثال ذلك ما قاله **"الشنقيطي"**: "كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منها أنّهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار لأنّ المقِّر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة، نحو **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾إبراهيم: ١٠ و**قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا ﴾الأنعام: ١٦٤، وإن زعم بعض العلماء: أنّ هذا استفهام إنكار؛لأنّ استقراء القرآن دل على أنّ الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير، وليس استفهام إنكار؛ لأنّهم لا ينكرون الربوبية"[2].

2. مبدأ التغريض:

أ. مفهومه:

إنّ مفهوم التغريض ذو علاقة وثيقة مع موضوع الخطاب ومع عنوان النص. وتتجلى العلاقة بين العنوان وموضوع الخطاب في كون الأول تعبيراً ممكناعن الموضوع[3].

ومنه يمكن القول أنّ البداية الفعلية لأي نص تكمن في عنوانه أو في كلماته الأولى، فالعنوان عنصر مهم يساعد على فهم النص إذ يثير لدى القارئ توقعات قوية

1- محمد الربيعة: علم السياق القرآني، المرجع السابق، http: //www.tafsir.net

2- محمد الأمين الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المرجع السابق، ج1، ص 15.

3- محمد خطابي: لسانيات النص، مرجع سابق، ص 293.

للتنبؤ بمضمون النص، لذا عده الباحثين **'يول'** و**'براون'** بأنه أقوى وسيلة للتغريض[1]، لأنّه "إجراء في هدف النص وغرضه"[2].

ويحدّد **'كرايس'التغريض** بمفهوم أعم بقوله:"كل قول، كل جملة، كل فقرةكل حلقة وكل خطاب منظم حول عنصر خاص يُتخذ كنقطة بداية"[3].

والتغريض في نظر **'محمد خطابي'** "يتعلق بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب وأجزائه وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته، مع اختلاف فيما يعتبر نقطة بدايته، مع اختلاف فيما يعتبر نقطة بداية حسب تنوع الخطابات"[4]. ومنه يمكن القول أن العنوان أهم أداة من أدوات التغريض.

وإضافة إلى العنوان هناك وسائل أخرى يتم بها التغريض نذكر منها: تكرير اسم الشخص، واستعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه، استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية[5].

وقبل الانتقال إلى الآلية الثالثة من آليات الانسجام، تجدر بنا الإشارة إلى تنبه علماء التفسير العرب إلى أهمية اسم السورة بمضمونها، وعلاقة فاتحة السورة بخاتمتها حيث نجد **'الرازي'** يركز في تفسيره على أهمية سورة الفاتحة وعلاقتها بما يليها من السورفيقول:"هذه السورة مسماة بأم القرآن فوجب كونها كالأصل والمعدن، وأن يكون غيرها كالجداول المتشعبة منه..."[6].

1- أنظر محمد خطابي: لسانيات النص، المرجع السابق، ص293.

2- الطيب العزالي قواوة: الانسجام النصي وأدواته، مرجع سابق، ص70.

3- محمد خطابي: لسانيات النص، المرجع السابق، ص 59.

4- المرجع نفسه، ص 59.

5- المرجع نفسه، ص 59.

6- الرازي: مفاتيح الغيب، ج1، مرجع سابق، ص 227

3. بنية الخطاب (البنية الكلية):

أ. مفهومها:

يعتبر موضوع الخطاب حسب **'محمد خطابي'** أداة إجرائية حدسية بها تقارب البنية الخطابية، إذ يعمل موضوع الخطاب على تنظيم وتصنيف الإخبار الدلالي للمتتاليات ككل[1]. ويعرف موضوع الخطاب على أنّه "البنية الدلالية التي تصب فيها مجموعة من المتتاليات بتضافر مستمر قد تطول أو تقصر حسب ما يتطلبه الخطاب"[2].

أو هو "عملية بحث واستكشاف البؤرة المركزية في الموضوع عن طريق إعادة تنظيم محتويات الخطاب"[3].

وهناك بعض الباحثين من جعل مصطلح موضوع الخطاب مرادف لمصطلح البنية الكلية نذكر منهم **'محمد خطابي'**الذي يرى أن "الفرق الوحيد بين الاثنين هو أنّ تأسيس البنية الكلية يتم عبر عمليات أساسها الحذف والاختزال، بينما موضوع الخطاب يستخلص عن طريق رصد مجموعة من الجمل التي تخص هذا الموضوع – لكن في اعتقادنا– أنّ نفس العمليات يمكن أن تنفذ للوصول إلى موضوع الخطاب ما دامت النتيجة هي هي"[4] وهناك من فرق بينهما مثل **'خليل بن ياسر البطاشي'**، وهذا "من خلال العمليات التي تصل إلى كل منهما، فالبنية الكلية يتوصل إليها عن طريق عمليات أساسها الحذف والاختزال؛ إذ يتّم فيها حذف الموضوعات الثانوية، ودمج أخرى في عموميات...أما

1- أنظر محمد خطابي: لسانيات النص، المرجع السابق، ص 42.

2- الطيب العزالي قواوة: الانسجام النصي وأدواته، تامرجع السابق، ص71.

3- خليل بن ياسر البطاشي: الترابط النصي، مرجع سابق، ص 225.

4- محمد خطابي: لسانيات النص، المرجع السابق، ص 277.

عمليات موضوع الخطاب فيستخلص من خلال مسح الجمل التي تخص هذا الموضوع في النص موضوع الدراسة"[1].

هذا وقد أشار المفسّرون إلى موضوع الخطاب عندما أقروا بأنّ القرآن كالكلمة الواحدة، وأن موضوعه الرئيس هو التوحيد والعبودية، وتتفرع عنه موضوعات فرعية تخدم كلها هذا الموضوع الرئيس.

وأنّ استعمال الآليات المختلفة للكشف عن تماسك النص \ الخطاب، وانتظامه إنّما استعملت لكشف الموضوع الأول المقصود. ومن بين المفسرين الذين نظروا للقرآن الكريم نظرة كلية نجد **"السيوطي"**[2]، حيث وظّف جملة من المبادئ والعلاقات للدلالة على الاتحاد والترابط المضموني للسور[3]، فاستخدام **"السيوطي"** لمبدأ الإجمال والتفصيل يوحي بأنّ السور الشارحة تحمل نفس مواضيع السور السابقة، وأيضا عند حديثه عن فواصل الآي التي ضُمت لها، كما استخدم هذا المبدأ في الحديث عن علاقة فاتحة السورة بخاتمة السورة التي تسبقها والتي تحمل نفس معانيها وتصب في نفس البنية الدلالية[4]، ومن أمثلة ذلك افتتاح سورة الحديد بالتسبيح في **قوله تعالى:** ﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾الحديد: ١، واختتام سورة الواقعة بالأمر به في قوله تعالى: ﴿ **فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ** ﴾الواقعة: ٩٦، وسورة الواقعة تقع في ترتيب المصحف بعد سورة الحديد.

كما لم يغفل **"السيوطي"** الحديث عن التناسب بين آيات السورة الواحدة، والتي تشكل بارتباطها وانسجامها مع بعضها المعنى الكلي للسورة.

1- خليل بن ياسر البطاشي: الترابط النصي، المرجع السابق، ص 225-226.

2- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، مرجع سابق، ج1، ص 129.

3- الطيب العزالي قواوة، الانسجام النصي وأدواته، المرجع السابق، ص 72.

4- أنظر المرجع نفسه، ص 72.

ب . دور المتلقي في انسجام النص:

إنّ المتلقي له دور جوهري في الحكم على انسجام النص من عدمه، وهو أحد رؤوس مثلث التحليل النصي.

والمتلقي المقصود في حديثنا هذا، هو ذلك المتلقي المتفاعل مع النص الذي "يعتبر القراءة الثانية للنص، ولهذا لم يغفل علماء اللغة هذا الدور للمتلقي، فالنص يعد حوارا قائما بين قائل النص والنص والمتلقي"[1]. لذلك لم يعد مجرد مرسل إليه أو متلقي سلبي حسب **'جمال مباركي'** الذي يرى أن "تلك الذات السلبية الثابتة المدعوّة بل أصبح فاعلا"[2] مشاركا للمبدع في انتاج نصه، "وهذه المشاركة لا تضمن قطيعة بين البنية والقراءة، وإنّما تعني اندماجها في عملية دلالية واحدة، فممارسة القراءة إسهام في التأليف فللقارئ مكان جوهري في عملية التفسير لا يقل عن دور المنتج"[3]، فأصبح القارئ منتجا ثان للنص بعد أن كان مجرد مستكشف ومستهلك له، وبالتالي لا تتمثل حقيقة النص إلا من خلال تداخل بين القارئ والنص، وهذا الأخير لا يحقق وجوده إلا القارئ.

"فاللغة أيا كان نوعها فمعناها ومبناها ينتجان عن التفاعل بين النص والقارئ، ذلك أن التحليل ينتج نصا لا يحتوي فقط على المميزات الموضوعية للنص والسياق بل يحتوي على مميزات تنسبها الذات المحللة(القارئ) بشكل تفاعلي إلى النص أو السياق"[4].

1- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج1، المرجع السابق، ص 110.

2- جمال مباركي، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومة للنشر، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص 151.

3- سعيد حسن البحيري: علم لغة النص، مرجع سابق، ص 111-112.

4- الطيب العزالي قواوة، الانسجام النصي وأدواته، المرجع السابق، ص 67.

ولذلك يشترط في القارئ أن يكون ذا ثقافة عامة ومتخصصة، وصاحب مرجعية فكرية مهمة ليستطيع تحليل النص، فالمتلقي المقصود هو"الذي يمتلك ذائقة جمالية ومرجعية ثقافية واسعة"[1].

أما متلقي (المفسّر) النص القرآني هو ذلك المتلقي المبدع الذي يدرك الأسلوب القرآني، ويعرف سبب النزول وسياق النص القرآني، كما يخضع تفسير النص القرآني إلى طبيعة العلاقة بين القارئ والنص القرآني والتفاعل بينهما، إضافة إلى كفاءة المفسّر وخلفياته المعرفية، إذ يرى **'إبراهيم الفقي'** أنّ وسائل تأويل النص القرآني التي كانت متاحة في صدر الإسلام تختلف عن الوسائل المتاحة لقارئ العصر الحالي.[2]

جـ . خصائص البنية الخطابية:

تعتبر البنية الخطابية بنية دلالية بواسطتها يوصف الخطاب، لأنّها تهتم بالمخاطَب أو المرسل، كما تهتم أيضا بمتلقي الخطاب ونوع الرسالة، وتمثل هذه العناصر أساس البنية التخاطبية لأي نص، كما تساهم في تأويله وفهمه والوصول إلى حقيقة تماسكه دلاليا.

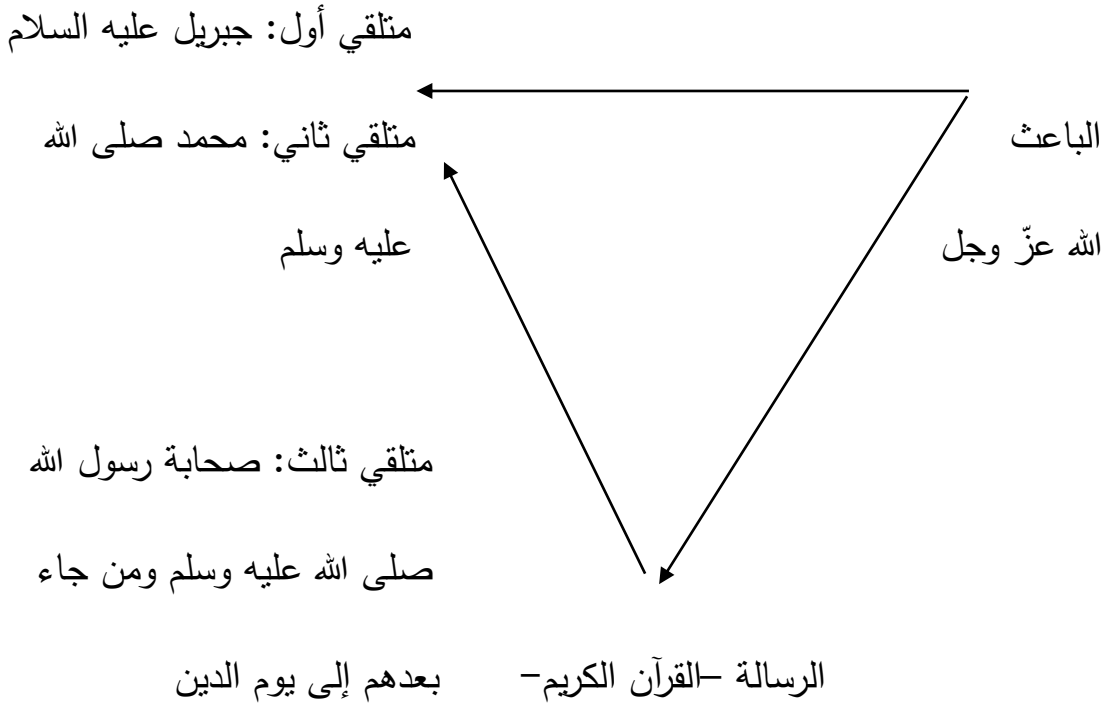
وتتميز البنية الخطابية في القرآن الكريم بأن المرسل أو المتكلم فيها هو الله عزّوجلّوالمتلقي الأول للرسالة هو جبريل عليه السلام والمتلقي الثاني هو محمد صلى الله عليه وسلم، والمتلقي الثالث هو صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم إلى يوم الدين[3].

1- جمال مباركي، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص 152.

2- أنظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، المرجع السابق، ج1، ص 112.

3. محمود بوستة: الاتساق والانسجام في سورة الكهف، مذكرة ماجيستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2008-2009م، ص 178.

وهذا ما يوضحه المخطط التالي:



الفصل الثالث: المقاربة التطبيقية لآليات الاتساق والانسجام في سورة النبأ

I. تحليل سورة النبأ وفق وسائل الاتساق

1. الإحالة في سورة النبأ

2. الحذف في سورة النبأ

3. الوصل في سورة النبأ

4. الاتساق المعجمي

1.4. التكرار

2.4. التضام

III. تحليل سورة النبأ وفق آليات الانسجام

1. التقطيع والهندسة الخارجية لسورة النبأ

2. أهم السياقات الواردة في سورة النبأ

3. مبدأ التغريض

1.3. العلاقة بين اسم سورة النبأ ومضمونها

4. بنية الخطاب في سورة النبأ

لتوضيح وتبين مدى نجاعة أدوات الاتساق وآليات الانسجام في تحليل النصوص سنتناول في هذا الفصل التطبيقي سورة النبأ كنموذج محللين، إياها وفق الوسائل والآليات التي جرى الحديث عنها في الفصل النظري، واختيارنا هذا كان تلقائيا لكون كل سور القرآن الكريم تصدر عن ذات واحدة، وجميعها يمكن أن تكون نموذجا للتطبيق، وسورة النبأ إحدى هذه السور.

I. تحليل سورة النبأ وفق وسائل الاتساق:

1. الإحالة في سورة النبأ:

المحال إليه	الإحالة	نوعها	الآية
المسلمون والكافرون	يتساءلون (الضمير المتصل الواو)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ النبأ: ١
النبأ العظيم	الذي (اسم موصول)	إحالة نصية قبلية	﴿ٱلَّذِى هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾ النبأ: ٣
المسلمون والكافرون	هم (ضمير منفصل)	إحالة مقامية (خارجية)	
النبأ العظيم	فيه(الضمير المتصل الهاء)	إحالة نصية قبلية	

المسلمون والكافرون	سيعلمون (الضمير المتصل الواو)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ النبأ: ٤
المسلمون والكافرون	سيعلمون (الضمير المتصل الواو)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ النبأ: ٥
الله عز وجل	نجعل (الضمير المستتر نحن)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ النبأ: ٦
الله عز وجل	خلقناكم (الضمير المتصل **نا**)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ النبأ: ٨
المسلمون والكافرون	(الضمير المتصل الكاف)		
الله عزّ وجلّ	جعلنا (الضمير المتصل **نا**)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ النبأ: ٩
المسلمون والكافرون	نومكم (الضمير المتصل **الكاف**)	إحالة مقامية (خارجية)	

الله عز وجل	جعلنا (الضمير المتصل **نا**)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ النبأ: ١٠
الله عز وجل	جعلنا (الضمير المتصل **نا**)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ النبأ: ١١
الله عز وجل	بنينا (الضمير المتصل **نا**)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ النبأ: ١٢
المسلمون والكافرون (الناس أجمعون)	فوقكم (الضمير المتصل **الكاف**)	إحالة مقامية (خارجية)	
الله عز وجل	جعلنا (الضمير المتصل **نا**)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ النبأ: ١٣
الله عز وجل	أنزلنا (الضمير المتصل **نا**)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ النبأ: ١٤

الله عز وجل	نخرج (الضمير المستتر **نحن**)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴾ النبأ: ١٥
الماء	به (الضمير المتصل **الهاء**)	إحالة نصية قبلية	
يوم الفصل	كان (**هو**)	إحالة نصية قبلية	﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴾ النبأ: ١٧
المسلمون والكافرون (الناس أجمعون)	فتأت(و)ن (الضمير المتصل **الواو**)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ النبأ: ١٨
السماء	كانت (الضمير المستتر **هي**)	إحالة نصية قبلية	﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾ النبأ: ١٩
جهنم	كانت (الضمير المستتر **هي**)	إحالة نصية قبلية	﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ النبأ: ٢١

الطاغين	لابثين (الضمير المتصل **الياء**)	إحالة نصية قبلية	﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴾ النبأ: ٢٣
جهنم	فيها (الضمير المتصل **الهاء**)	إحالة نصية قبلية	
الطاغين	لا يذوقون (الضمير المتصل **الواو**)	إحالة نصية قبلية	﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴾ النبأ: ٢٤
جهنم	فيها (الضمير المتصل **الهاء**)	إحالة نصية قبلية	
طاغين	إنهم كانوا يرجون	إحالة نصية قبلية	﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ﴾ النبأ: ٢٧
الطاغين	كذبوا (الضمير المتصل **الواو**)	إحالة نصية قبلية	﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴾ النبأ: ٢٨
الله عز وجل	بآياتنا (الضمير المتصل **نا**)	إحالة مقامية (خارجية)	

الله عز وجل	أحصيناه (الضمير المتصل **نا**)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبًا ﴾ النبأ: ٢٩
كل شيء	أحصينه (الضمير المتصل **نا**)	إحالة مقامية (خارجية)	
الطاغين	فذوقوا	إحالة نصية قبلية	﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴾ النبأ: ٣٠
الله عز وجل	نزيدكم (نحن)	إحالة مقامية (خارجية)	
المتقين	لا يسمعون (الضمير المتصل **الواو**)	إحالة نصية قبلية	﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴾ النبأ: ٣٥
المفاز	فيها (الضمير المتصل **الهاء**)	إحالة نصية قبلية	
رسول الله صلى الله عليه وسلم	ربك (الضمير المتصل **الكاف**)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ النبأ: ٣٦
السموات والأرض	بينهما (الضمير المتصل **الهاء**)	إحالة نصية قبلية	﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِ
أهل السموات والأرض	لا يملكون (الضمير المتصل **الواو**)	إحالة مقامية (خارجية)	

الله عز وجل	منه (الضمير المتصل **الهاء**)	إحالة نصية قبلية	﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ النبأ: ٣٧
الروح والملائكة	لا يتكلمون (الضمير المتصل **الواو**)	إحالة نصية قبلية	﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ النبأ: ٣٨
الرحمن	أذن (الضمير المستتر **هو**)	إحالة نصية بعدية	
الروح والملائكة	له (الضمير المتصل **هو**)	إحالة نصية قبلية	
يوم القيامة	ذلك (اسم إشارة)	إحالة نصية قبلية	﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا ﴾ النبأ: ٣٩
المرء	-شاء (الضمير المستتر **هو**) -اتخذ (الضمير المستتر **هو**)	إحالة نصية بعدية	
الله عز وجل	إنا (الضمير المتصل **نا**)	إحالة مقامية (خارجية)	
الله عز وجل	أنذرناكم (الضمير المتصل **نا**)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ

المسلمون والكافرون (الناس أجمعين)	أنذرناكم (الضمير المتصل **الكاف**)	إحالة مقامية (خارجية)	﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ النبأ: ٤٠
المرء	قدمت يداه (الضمير المستتر **هو**)	إحالة نصية قبلية	
الكافر	كنت (الضمير المتصل **التاء** المتحركة)	إحالة نصية قبلية	

نستنتج من خلال الجدول السابق جملة من النتائج يمكن إجمالها في الآتي:

– بلغ عدد الضمائر في سورة النبأ حوالي **(54)** ضميراً، توزعت على **(41)** ضميرا متصلا، و**(01)** ضميرا منفصلا، و**(12)** ضميرا مستترا، وكثرة الاستعمال للضمير المتصل في سورة النبأ تؤكد ما ذهب إليه النحاة من أنّ أكثر الضمائر استعمالا في اللغة هو الضمير المتصل.[1]

– توزعت الإحالات حسب كثرة ورودها في سورة النبأ، فجاءت الإحالة المقاميـــة في المرتبة الأولى إذ قدرت بحوالي**(25)** إحالة، ثم أتت في المرتبة الثانية الإحالة النصية القبليةّ ّإذ قدرت بحوالي**(23)** إحالة، فحين احتلت الإحالة النصية البعدية المرتبة الأخيرة، إذ قدرت بحوالي**(2)** إحالتين.

– هيمنة الضمائر العائدة على الذات الإلهية في سور النبأ.

– ومن أمثلة الإحالة المقامية–الخارجية–قوله تعالى:﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ النبأ: ١ فالضمير المتصل **(الواو)** في يتساءلون تعددت وجهات النظر فيما يحيل إليه فهناك من رأى بأنّ

1– أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، ج 2، مصدر سابق، ص192.

الضمير في يتساءلون"أحال على أهل مكة لأنّهم كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءل غيرهم عن طريق الاستهزاء".[1]

أما الإمام الرازي فيرى أنّ الضمير في يتساءلون فيه احتمالات:"أحدها أنهم هم الكفار والدليل عليه قوله تعالى﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ النبأ: ٤ – ٥

والاحتمال الثاني حسب **'الإمام الرازي'** دائما هو أن الذين كانوا يتساءلون هم الكفار والمؤمنون، وكانوا جميعا يتساءلون عنه، أما المسلم فليزداد بصيرة ويقينا في دينه وأما الكافر فعلى سبيل السخرية، أو على سبيل إيراد الشكوك والشبهات".[2]

وهناك من يرى بأنّ الضمير يعود على أهل مكة، وهناك من يرى بأنّ "الضمير يعود على أهل مكة، وإن لم يسبق ذكرهم للاستغناء عنهم بحضورهم حساً مع ما في الترك من التحفيز والإهانة".[3]

ومن أمثلة الإحالة المقامية أيضا قوله تعالى:﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ النبأ: ٣ ، فالضمير المنفصل **(هم)** في الآية الكريمة أحال على المسلمين والكافرين جميعا، لأنهم كانوا جميعا يسألون عنه(أي النبأ)، أما المسلم فليزداد خشية واستعدادا، وأما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه القرآن، وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.[4]

وكذلك من أمثلة الإحالة المقامية ما ورد في قوله تعالى:﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ النبأ: ٣٦ أحال الضمير المتصل **(الكاف)** في ربك "على النبي صلى الله عليه وسلم للإيماء إلى أنّ

1- محيي الدين الدّرويش: إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ودار اليمامة، دمشق، بيروت، ط7، 1999م المجلد الثامن، ص195.

2- أنظر: محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1981،1م ص4

3- محمود شكري الألوسي: روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ج30، ص3.

4- أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ص1171.

جزاء المتقين بذلك يشتمل على إكرام النبي صلى الله عليه وسلم لأنّ إسداء هذه النعم إلى المتقين كان لأجل إيمانهم به وعملهم بما هداهم إليه".[1]

أما الإحالة النصية القبلية فمن أمثلتها ما ورد في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ﴾ النبأ: ٣ فالاسم الموصول **(الذي)** أحال على النبأ العظيم.

ومن أمثلة الإحالة النصية القبلية أيضا قوله تعالى:﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴾ النبأ: ٣٥ فالضمير المتصل الهاء في الآية الكريمة "أحال على المفاز باعتبار تأويله بالجنة لوقوعه في مقابلة جهنّم، كما يجوز أن يعود الضمير المجرور على الكأس".[2]

وكذلك من أمثلة الإحالة النصية القبلية قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾النبأ: ٣٩، أحال اسم الإشارة ذلك إلى يوم القيامة أي يوم الحق.

أما الإحالة النصية البعدية فمن أمثلتها قوله تعالى:﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴾النبأ:٣٨ ، فالضمير المستتر **(هو)** في الآية الكريمة أحال على الرحمن.

وكذلك من أمثلة الإحالة القبلية البعدية قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ مَـَٔابًا ﴾النبأ: ٣٩، أحال ضمير الغائب المستتر **(هو)** على المرء.

1- محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص47.

2- المرجع نفسه، ص45-46.

2. الحذف في سورة النبأ:

المحذوف	الآية	موضع الحذف	نوع المحذوف	الدليل
ألف ما الاستفهامية	﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ النبأ: ١	عم↓يتساءلون	حرف	الدليل عليه دخول حرف الجر (عن) على ما الاستفهامية
يتساءلون	﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ النبأ: ٢	↓عن النبأ العظيم	فعل	الدليل عليه (يتساءلون)
مفعول سيعلمون (ما يحل بهم)	﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ النبأ: ٤	كلا سيعلمون↓	عبارة	الدليل عليه السياق
مفعول سيعلمون (ما يحل بهم)	﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ النبأ: ٥	ثم كلا سيعلمون↓	عبارة	الدليل عليه السياق
ألم نجعل	﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا﴾ النبأ: ٧	و↓الجبال أوتادا	عبارة	الدليل عليه (ألم نجعل)
سموات	﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا﴾ النبأ: ١٢	وبنينا فوقكم سبعا↓ شدادا	اسم	الدليل عليه (سبع)

إسرافيل	﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ النبأ: ١٨	يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا	اسم	الدليل عليه السياق
ذات	﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾ النبأ: ١٩	وفتحت السماء فكانت أبوابا	اسم	الدليل عليه (السماء)
الجبال	﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ النبأ: ٢٠	وسيرت الجبال فكانت سرابا	اسم	الدليل عليه (الجبال)
فيه للطاغين	﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ النبأ: ٢١	إنّ جهنم كانت مرصادا	عبارة	الدليل عليه (جهنّم)
جهنّم			اسم	
جزاهم الله بذلك	﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ النبأ: ٢٦	جزاءً وفاقا	عبارة	الدليل عليه (جزاءً)
أحصينا	﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴾ النبأ: ٢٩	وكل شيء أحصيناه كتابا	فعل	الدليل عليه (أحصيناه)
جزاءكم	﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ النبأ: ٣٠	فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا	اسم	دلّ عليه السياق

لا يسمعون	﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴾ النبأ: ٣٥	لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا	فعل	الدليل عليه (لا يسمعون)
جزاهم الله بذلك	﴿ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ﴾ النبأ: ٣٦	جزاءً من ربك عطاءً حساباً	عبارة	الدليل عليه (جزاءً)
ربّ	﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴾ النبأ: ٣٧	ربّ السموات و الأرض و ما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا	اسم	الدليل عليه (ربّ)
يقوم	﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴾ النبأ: ٣٨	يوم يقوم الروح و الملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن و قال صوابا	فعل	الدليل عليه (يقوم)
قولا			مصدر	الدليل عليه (قال)
مفعول شاء	﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾ النبأ: ٣٩	ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مئابا	اسم	الدليل عليه (شاء)

تبين لنا من خلال هذا الجدول جملة من النتائج يمكن إجمالها في الآتي:

- يسهم الحذف في المنحى الدلالي للنصّ عن طريق فتح آفاق للمتلقي، وجعله مشاركا في إيضاح دلالات النصّ بملئه للفراغات التركيبية التي تركها المتكلم قصدا.
- تختلف صور الحذف في درجة توظيفها في اتساق سورة النبأ، حيث إنّ صور الحذف المستندة على الدليل اللفظي سواء أكان سابقا أم لاحقا أقوى من تلك المعتمدة على سياق المقام؛ لأنّ الدليل كلما كان حاضرا أمام المتلقي كان يسيرا عليه ملء الفراغات في بنية النص.
- اِرتباط الحذف بالعطف في أغلب آيات السورة.
- يمثل الحذف خروجا عن بنية الجملة، وتقدير المحذوف هو محاولة لإكمال هذه البنية.
- إفادة الحذف للاتساق تتم بإزالة العناصر اللغوية المعلومة من بنية النص الظاهرة وإبقائها قائمة في بنية النص العميقة.

ومن أمثلة **حذف الحرف** قوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ النبأ: ١، حذف ألف **(ما)** الاستفهامية الآية الكريمة، تقدير الكلام عن ما يتساءلون، فعن حرف جر، وما اسم استفهام مجرور بـ (عن)، وقد تقدم حذف ألف ما في الاستفهام، إذ دخل عليها حرف جر في الأكثر وقرئ عمّا بإثبات الألف وتقدم أنّه يجوز ضرورة.[1]

ومن أمثلة **حذف الاسم** قوله تعالى:﴿ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴾ النبأ: ١٢ المحذوف هو الموصوف **(سموات)**، الدليل عليه **(سبعا شدادا)**، التقدير (وبنينا فوقكم سبع سموات شداد).

ومنه ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴾ النبأ: ١٩ ، المحذوف هو **(ذات)** والدليل عليه**(السماء)**، التقدير (وفتحت السماء فكانت ذات أبواب).

1- محيي الدين الدّرويش: إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ودار اليمامة، دمشق، بيروت، ط7 1999م المجلد الثامن، ص195

أما **حذف الفعل** فمن أمثلته ما ورد في قوله تعالى:﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ النبأ: ٢ المحذوف هو(**يتساءلون**)، الدليل عليه هو(**يتساءلون**)، تقدير المحذوف (يتساءلون عن النبأ العظيم).

ومنه ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾ النبأ: ٣٨ المحذوف هو(**يقوم**)، الدليل عليه(**يقوم**)، التقدير(يوم يقوم الروح ويقوم الملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا).

ومن أمثلة **حذف العبارة** قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ النبأ: ٤. المحذوف هو(**ما يحل بهم**) والدليل عليه (**السياق**)، التقدير (كلا سيعلمون ما يحل بهم).

ومنه ما ورد في قوله تعالى: ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا﴾ النبأ: ٣٦ ، المحذوف (**جزاهم الله بذلك**)، الدليل عليه(**جزاءً**)، التقدير(جزاهم الله بذلك جزاءً من ربك عطاءً حسابًا).

3. الوصل في سورة النبأ:

أداة الوصل	نوع الوصل	الآية	الاتساق الذي تحققه
ثمّ	وصل إضافي	﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ النبأ: ٥	ربط حرف العطف ثم هذه الآية الكريمة بالآية التي قبلها
الواو	وصل إضافي	﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ النبأ: ٧	أدى حرف العطف الواو إلى اتساق هذه الآية بالآية التي قبلها
الواو	وصل إضافي	﴿ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ النبأ: ٨	ربط حرف العطف الواو هذه الآية بالآية التي قبلها
الواو	وصل إضافي	﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ النبأ: ٩	عمل حرف العطف الواو على اتساق و ارتباط هذه الآية بالآية التي قبلها
الواو	وصل إضافي	﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ النبأ: ١٠	ربط حرف العطف الواو هذه الآية بالآية التي قبلها

الواو	وصل إضافي	﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ النبأ: ١١	أدى حرف العطف الواو في هذه الآية إلى ربطها بما قبلها
الواو	وصل إضافي	﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ النبأ: ١٢	عمل حرف العطف الواو في هذه الآية على ربطها بالآية التي قبلها
الواو	وصل إضافي	﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ النبأ: ١٣	أدى حرف العطف في هذه الآية إلى وصلها وربطها بالآية التي قبلها
الواو	وصل إضافي	﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ النبأ: ١٤	عمل حرف العطف الواو في هذه الآية على وصلها بما سبقها
الواو	وصل إضافي	﴿ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴾ النبأ: ١٥	أدى حرف العطف الواو في هذه الآية إلى ربط أجزائها بعضها ببعض
الواو	وصل إضافي	﴿ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾ النبأ: ١٦	ربط حرف العطف الواو هذه الآية بما سبقها

علاقة السبب والنتيجة	وصل سببي	﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ النبأ: ١٤ – ١٦	عملت هذه العلاقة المنطقية على اتساق وارتباط ثلاث آيات مع بعضها البعض.
الواو	وصل إضافي	﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ النبأ: ١٩	عمل حرف العطف في هذه الآية على وصلها وربطها بما سبقها
الواو	وصل إضافي	﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ النبأ: ٢٠	أدى حرف العطف في هذه الآية إلى ربطها بالآية التي سبقتها
الواو	وصل إضافي	﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ النبأ: ٢٤	ربط حرف العطف الواو في هذه الآية بين أجزائها
الواو	وصل إضافي	﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ النبأ: ٢٥	عمل حرف العطف الواو في هذه الآية على الربط بين أجزائها
الواو	وصل إضافي		أدى حرف العطف (الواو) في هذه

		﴿ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ النبأ: ٢٨	الآية إلى وصلها وربطها بما سبقها
الواو	وصل إضافي	﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴾ النبأ: ٢٩	عمل حرف العطف (الواو) في هذه الآية على وصلها بالآية التي سبقتها
الفاء	وصل إضافي	﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ النبأ: ٣٠	أدى حرف العطف الفاء على وصل هذه الآية بما قبلها
الواو	وصل إضافي	﴿ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴾ النبأ: ٣٢	ربط حرف العطف (الواو) في هذه الآية بين أجزائها
الواو	وصل إضافي	﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ النبأ: ٣٣	أدى حرف العطف الواو في هذه الآية إلى وصلها بالآية التي سبقتها
الواو	وصل إضافي	﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ النبأ: ٣٤	عمل حرف العطف (الواو) في هذه الآية على ربطها بما سبقها

الواو	وصل إضافي	﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴾ النبأ: ٣٥	ربط حرف العطف (الواو) في هذه الآية بين أجزائها
الواو	وصل إضافي	﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴾ النبأ: ٣٧	عمل حرف العطف (الواو) في هذه الآية على الربط بين أجزائها
الواو	وصل إضافي	﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴾ النبأ: ٣٨	ربط حرف العطف (الواو) في هذه الآية بين أجزائها
الواو	وصل إضافي	﴿ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴾ النبأ: ٤٠	أدى حرف العطف الواو في هذه الآية إلى الربط بين أجزائها

بدت لنا من خلال هذا الجدول جملة من الملحوظات لعلّ من أبرزها مايلي:

حرف الوصل **(الواو)** أكثر أدوات الوصل ورودا ومن بعده **(الفاء)**، أما حرف الوصل **(ثّم)** فقد ورد مرة واحدة.

انتشار **الوصل الإضافي** بشكل واسع في سورة النبأ. ومن أمثلة الوصل الإضافي بواسطة حرف العطف **(الواو)** قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ﴾ النبأ: ٧ ، عملت أداة الوصل الواو على ربط هذه الآية الكريمة بالآيات التي قبلها ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ﴾ النبأ: ٦.

ومن أمثلة **الوصل الإضافي** عن طريق أداة الوصل الواو أيضا قوله تعالى: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴾ النبأ: ٢٤، فالوصل في هذه الآية الكريمة عمل على اتساق وارتباط أجزاء الآية في حدّ ذاتها، كما عمل أيضا على ربط واتساق هذه الآية بالآيات التي قبلها.

إذًا أداة الوصل **(الواو)** أدت إلى سبك سورة النبأ عن طريق ربط آياتها مع بعضها البعض كما أدت وظيفة دلالية تمثلت في تسلل القضايا الواردة في السورة الكريمة.

ومن أمثلة **الوصل الإضافي** عن طريق أداة الوصل **(الفاء)** قوله تعالى: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴾ النبأ: ٣٠، قامت أداة الوصل بربط وسبك هذه الآية الكريمة بالآيات التي قبلها.

أما **الوصل السببي** فمن أمثلته ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦ ﴾ النبأ: ١٤ – ١٦، فالعلاقة المنطقية بين السبب (إنزال الماء) والنتيجة (خروج الحب والنبات والجنات)عمل على تعاضد وتلاحم هذه الآيات مما أدى دورا كبيرا في اتساق سورة النبأ وتماسكها.

4.الاتساق المعجمي:

1.4. التكرار في سورة النبأ:

التكرار	نوعه	الآية
كلا سيعلمون	تكرار تام **(تكرار عبارة)**	﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ النبأ: ٥
جعل	تكرار تام **(تكرار فعل)**	﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ النبأ: ٩
جعل	تكرار تام **(تكرار فعل)**	﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ النبأ: ١٠
جعل	تكرار تام **(تكرار فعل)**	﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ النبأ: ١١
جعل	تكرار تام **(تكرار فعل)**	﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ النبأ: ١٣
كان	تكرار تام **(تكرار فعل)**	﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ النبأ: ١٩
سموات	ترادف أو شبه الترادف **(سبعا شدادا – سموات)**	﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ النبأ: ١٢ ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ النبأ: ٣٧

كان	تكرار تام **(تكرار فعل)**	﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ النبأ: ٢٠
كان	تكرار تام **(تكرار فعل)**	﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ النبأ: ٢١
كذّابا	تكرار جزئي **(كذبوا_ كذابا)**	﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ النبأ: ٢٨
كذابا	تكرار تام **(تكرار اسم)**	﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴾ النبأ: ٣٥
عطاء	تكرار تام **(تكرار اسم)**	﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ النبأ: ٣٦
حسابا		
السموات		

الأرض	تكرار تام **(تكرار اسم)**	﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴾ النبأ: ٣٧
الرحمن		
عذابا	تكرار تام **(تكرار اسم)**	﴿ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴾ النبأ: ٤٠

يتضح لنا من خلال هذا الجدول جملة من نقاط أهمها:

- ورود التكرار في سورة النبأ في أكثر من موضع، فمن التكرار التام **(كلا سيعلمون)** وردت مرتين في السورة.

ومن أمثلة **التكرار** أيضا تكرار مادة**(جعل)**، إذ تكررت خمس مرات في السورة ولعلّ السرّ من وراء هذا التكرار هو التدليل على نعم الله عزّ وجلّ التي لا تعدّ ولا تحصى.

ومن أمثلة التكرار الجزئي قوله تعالى:﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴾ النبأ: ٢٨، فالتكرار حدث بين لفظتي**(كذبوا – كذّابا)**.

- أسهمت هذه الشبكة من الكلمات المتكررة في الربط بين آيات السورة واتساقها.

4-2-التضام في سورة النبأ:

نوع التضام(الآلية)	الألفاظ المتصاحبة و موضعها في السورة
الثنائيات المتقابلة	المقابلة بين الأرض والجبال ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ النبأ: ٦ – ٧.
	المقابلة بين الليل والنهار ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ النبأ: ١٠ – ١١
	المقابلة بين مميزات العالم السفلي(الأرض) ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ ﴾ النبأ: ٦ – ١١ ومميزات العالم العلوي(السماء) ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ ﴾ النبأ: ١٢ – ١٤
	المقابلة بين جزاء الطاغين ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۝٢٩ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠ ﴾ النبأ: ٢١– ٣٠ وجزاء المتقين

	﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ النبأ: ٣١ - ٣٦
التضاد	(جهنّم- مفاز) ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ النبأ: ٢١ - ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ النبأ: ٣١
	(الطاغين- المتقين) ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ النبأ: ٢٢- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ النبأ: ٣١
الترادف	مادة (جعل) ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ النبأ: ٦ مع مادة(خلق) ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ النبأ: ٨
	(اللغو- الكذب) ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ النبأ: ٣٥
علاقة الجزء بالكل	الجبال ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ النبأ: ٧ جزء من الأرض ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ النبأ: ٦
	السراج الوهاج(الشمس) ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ النبأ: ١٣ جزء من السماء ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ النبأ: ١٢

ما نلحظه على هذا الجدول هو هيمنة الثنائيات المتقابلة، حيث شكلت هذه الأخيرة ظاهرة مميزة في السورة أسهمت في تعزيز التماسك الدلالي فيها.

ومن أمثلة هذه الثنائيات المتقابلة: المقابلة بين نعم الأرض في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾ النبأ: ٦ – ١١ وبين نعم السماء في قوله تعالى:﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ ﴾ النبأ: ١٢ – ١٤

أضافت هذه الثنائية المتقابلة بعدا اتساقيا مميزا على سورة النبأ، إذ عملت على ترابط آيات السورة مع بعضها البعض وتسلسلها بشكل انسيابي مما خدم الفكرة العامة التي طرحتها السورة.

ومن أمثلة الترادف الذي يعدّ أيضا آلية من أبرز آليات التضام قوله تعالى:﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ ﴾ النبأ: ٦ – ٨ فالترادف في هاتين الآيتين الكريمتين حدث بين الفعل(جعل) والفعل(خلق)، إذ ورد في لسان العرب في مادة (خلق):"وهو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وأصل الخلق التقدير، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها، وبالاعتبار للإيجاد على وفق التقدير خالق والخلق في كلام العرب ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه وكل شيء خلقه الله فهو مبتدؤه على غير مثال سُبق إليه".[1]

وجعل الشيء أي صيره[2]. فـ(جعل) هنا بمعنى أحدث وأنشأ، والفرق بينهما أنّ(خلق) فيها معنى التقدير، أما(جعل) ففيها معنى التضمين والتصيير كإنشاء شيء من شيء وتصير شيء شيئا.[3]

1- ابن منظور: لسان العرب، ج8، مصدر سابق، ص637.

2- المصدر نفسه، ج15، ص1244.

3- محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ص 15.

II. *تحليل سورة النبأ وفق آليات الانسجام:*

نقوم بدراسة سورة النبأ من خلال موضوع السياق وفق المعطيات التالية:

- التقطيع والهندسة الخارجية لسورة النبأ.
- السياقات الواردة في السورة.

1_ التقطيع والهندسة الخارجية لسورة النبأ:

إنّ محور سورة **'النبأ'** والجامع لجزئياتها هو البعث بعد الموت، حيث افتتحت السورة بالاستفهام عن سؤال أولئك المنكرين للبعث"[1] قَالَ تَعَالَى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥﴾ النبأ: ١ – ٥ .

وسورة **'النبأ'** كغيرها من سور القرآن الكريم جاءت مقسمة إلى عدد من الوحدات ما يعطي للبناء الخارجي للسورة وللقرآن الكريم ككل خصوصيته، إذ يعتبر ذلك من قرائن الانسجام والتماسك بين سوره وآياته.

هذا وقد تنبه المفسرون القدامى والمحدثون إلى الحكمة من تقسيم القرآن الكريم إلى آيات وسور، فربطوا ذلك ببنية النص أو الخطاب وكذلك ببنية السورة، كما ربطوه أيضا بدور القارئ[2].

لذلك ارتأينا أن نعتمد على بعض التفسيرات لإبراز الدور الذي يقوم به تقطيع سورة **'النبأ'** إلى وحدات. منها تفسير **'مفاتيح الغيب'** لـ **'محمد الرازي'**، وتفسير **'التحرير والتنوير'** لـ **'محمد الطاهر ابن عاشور'**، وتفسير **'في ظلال القرآن'** لـ **'سيد قطب'**.

نبدأها ببنية سورة **'النبأ'** عند **'محمد الرازي'** التي جاءت كما يلي:

- افتتاح السورة بتساؤل المشركين وإنكارهم للبعث والحشر.

1- نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف مصطفى مسلم، إصدار كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط 1، 1431هـ . 2010م، ج 9، ص 2.

2- أنظر محمود بوستة: الاتساق والانسجام في سورة الكهف، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 1429هـ 1430هـ \2008م . 2009م، ص 171.

- إقامة الدلالة على صحة البعث والحشر.
- ذكر بعض أحوال القيامة بصفة عامة.
- وصف أهوال جهنم وأحوالها وذكر وعيد الكفار ووعد المتقين الأخيار.
- إثبات الوحدانية والعبودية لله عزّ وجلّ.
- إثبات ليوم القيامة الذي أنكره المشركون واختلفوا حوله في بداية السورة.

ويمكن أن نوضح هذه البنية بالمخطط التالي:

أما بنية سورة النبأ في تفسير **"التحرير والتنوير"** جاءت كالآتي:

- افتتحت السورة بتساؤل المشركين وخوضهم في شأن القرآن الكريم وما جاء به مما يخالف معتقداتهم، ومن ذلك إثبات البعث، وهو سؤال بعضهم بعضا عن الرأي في وقوعه، مستهزئين بالإخبار عن وقوعه، وتهديدهم على استهزائهم.

- وبعدها ذكر سبحانه وتعالى إقامة الحجة على إمكان البعث بخلق المخلوقات التي هي أعظم من خلق الإنسان بعد موته، وبالخلق الأول للإنسان وأحواله.

- وصف أهوال البعث من عذاب الطاغين مع مقابلة ذلك بوصف نعيم المؤمنين وصفة يوم الحشر إنذارا للذين جحدوا به والإيماء إلى أنهم يعاقبون بعذاب قريب قبل عذاب يوم البعث.

- وأدمج في ذلك أن علم الله تعالى محيط بكل شيء ومن جملة الأشياء أعمال الناس.

وسنلخصها في المخطط التالي:

ويذهب **'سيد قطب'** في تفسيره إلى أن سورة **'النبأ'** كلها عبارة عن تركيز كامل لما جاء في **'جزء عم'** من ذكر للنشأة الأولى للإنسان والأحياء الأخرى في هذه الأرض من نبات وحيوان، وذكر لمشاهد هذا الكون وآياته في كتابه المفتوح، وتركيز على مشاهد القيامة العنيفة، ومشاهد الحساب والجزاء من نعيم وعذاب تقرع وتزلزل كمشاهد القيامة الكونية في ضخامتها والتخويف والتحذير...وأحيانا تصاحبها صور من مصارع الغابرين من المكذبين[1]. ملفتا النظر في موضع آخر إلى الآداء التعبيري الذي يتميز به جزء عمّ ومنه سورة **'النبأ'**، قائلا: "هناك أناقة واضحة في التعبير، مع اللمسات المقصودة لمواطن الجمال في الوجود والنفوس، وافتنان مبدع من الصور والظلال والإيقاع والموسيقى والقوافي والفواصل، تتناسق كلها مع طبيعته في خطاب الغافلين النائمين السادرين لإيقاظهم واجتذاب حسهم وحواسهم بشتى الألوان وشتى الإيقاعات وشتى المؤثرات"[2].

وقد جاءت بنية سورة النبأ في تفسيره ظلال القرآن كالآتي:

- افتتاح السورة بسؤال مثير للاستهوال والاستعظام، وتضخيم الحقيقة التي يختلفون عليها، وهي أمر عظيم لا خفاء فيه، ولا شبهة، ويعقب على هذا بتهديدهم يوم يعلمون حقيقته.

- ومن ثم يعدل عن الحديث عن هذا النبأ، ويدعه لحينه، ويلفتهم إلى ما هو واقع بين أيديهم وحولهم، في ذوات أنفسهم وفي الكون من أمر عظيم يدل على ما وراءه ويوحي بما سيتلوه.

- ثمّ يعود بهم سبحانه وتعالى إلى ذلك النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون والذي هددهم به يوم يعلمون، ليقول لهم ما هو؟ وكيف يكون؟

- ثمّ يأتي مشهد العذاب بكل قوته وعنفه.

- ويعقبه مشهد النعيم كذلك وهو يتدفق تدفقا.

1- أنظر سيد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص 1800.

2- المرجع نفسه، ص 1800.

- وتختتم السورة بإيقاع جليل في حقيقته، وفي المشهد الذي يعرض فيه. وإنذار وتذكير قبل أن يجيء اليوم الذي يكون فيه هذا المشهد العظيم.[1]

ويمكن تلخيص هذه البنية في المخطط التالي:

1- سيد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص 1800-1801.

2- أهم السياقات الواردة في سورة النبأ:

أما فيما يتعلق بالسياقات الوارد في سورة **'النبأ'** والتي أدت إلى انسجامها وتماسكها فسنورد أهم ما ذكره المفسرون.

- الاختلاف في تحديد معنى لفظة **'النبأ'** في الآية الثانية من السورة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ النبأ: ٢. "وفي النبأ العظيم أربعة أقاويل:

- أحدها: القرآن، قاله **مجاهد**.
- الثاني: يوم القيامة، قاله **ابن يزيد**.
- الثالث: البعث بعد الموت، قاله **قتادة**.
- الرابع: عن أمر **النبي صلى الله عليه وسلم**."[1]

ويورد **'محمد الشوكاني'** في تفسيره **'فتح القدير'** أنّه" كان ذلك **النبأ**: أي: القرآن عظيما لأنّه ينبئ عن التوحيد، وتصديق الرسول، ووقوع البعث والنشور"[2].

ويرى **'الشنقيطي'** أنها تدل على يوم البعث بقوله: "والذي يظهر والله تعالى أعلم: أن أظهرها دليلا هو يوم القيامة والبعث، لأنه جاء بعده بدلائل وبراهين البعث كلها وعقبها بالنص على يوم الفصل صراحة"[3]. وهذا ما رجحه **'الرازي'** في تفسيره **'مفاتيح الغيب'** بقوله: "ذكر المفسّرون في تفسيرهم النبأ العظيم ثلاثة أوجه: أحدها أنه هو القيامة وهذا هو الأقرب ويدل عليه وجوه: أحدها قوله: ﴿ سَيَعۡلَمُونَ ﴾ النبأ: ٤. والظاهر أنّ المراد منه أنّهم سيعلمون هذا الذي يتساءلون عنه حين لا تنفعهم تلك المعرفة، ومعلوم أنّ ذلك هو القيامة.

1- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري: النكت والعيون في تفسير الماوردي، مراجعة السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ج 6، ص 182.

2- محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مرجع سابق، ص 1574.

3- محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي: تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (د.ن)، ط 2، 1400هـ . 1980م ج2، ص 6-7.

وثانيها أنه تعالى بيّن كونه قادرا على جميع الممكنات بقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ النبأ: ٦ – ١٨. وذلك يقتضي أنه تعالى إنما قدم هذه المقدمة لبيان كونه تعالى قادرا على إقامة القيامة، ولما كان الذي أثبته الله تعالى بالدليل العقلي في هذه السورة هو هذه المسألة ثبت أنّ **النبأ العظيم** الذي كانوا يتساءلون عنه هو يوم القيامة.

ثالثها: أنّ **العظيم** اسم لهذا اليوم بدليل قوله: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ المطففين: ١ – ٦.وقوله:﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ص: ٦٧– ٦٨.ولأنّ هذا اليوم أعظم الأشياء لأن ذلك منتهى فزع الخلق وخوفهم منه فكان تخصيص اسم العظيم به لائقا"[1].

وكذلك اختلف المفسرون في تحديد معنى لفظة **'سباتا'** في قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾. وفيه أربعة تأويلات على حد قول الماوردي في تفسيره وهي:

أحدها: نعاسا، قاله السدي.

الثاني: سكنا، قاله قتادة.

الثالث: راحة ودعة، ولذلك سمي يوم السبت سبتا لأنه يوم راحة ودعة.

الرابع: سباتا أي قطعا لأعمالهم، لأن أصل السبات القطع ومنه قولهم سبت الرجل شعره إذا قطعه.

1– محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ص 4–5.

مضيفا تأويلا **خامسا** في قوله: "[1]ويحتمل خامسا: أن السبات ما قرت فيه الحواس حتّى لم تدرك بها الحس".

وهناك من فسرها بمعنى الموت، و وهناك من فسرها بمعنى النوم، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، منها ما ذهب إليه **الزمخشري (367-538)هـ** في **كشافه** قائلا: " ﴿سُبَاتًا﴾ موتا، والمسبوت: الميت، من السبت وهو القطع؛ لأنه مقطوع عن الحركة. والنوم أحد التوفيين، وهو على بناء الأدواء. ولما جعل النوم موتا جعل النهار معاشا"[2].

ويرى **'البغوي'** في تفسيره معالم التنزيل أن المقصود بـ **'سباتا'** في الآية الراحة للأبدان بقوله: " أي راحة لأبدانكم. قال **'الزجاج'**: 'السبات': أن ينقطع عن الحركة والروح فيه. وقيل: معناه جعلنا نومكم قطعا لأعمالكم، لأن أصل السبت: القطع"[3].

أما فيما يخص سياقات السورة سنحاول التماسها من خلال تفسير **'سيد قطب'** ومنها: الآيات الدالة على سياق تهديد ووعيد الكفار المنكرين ليوم البعث والمختلفين فيه:

- في استفتاح السورة، سؤال الكفار وإنكارهم ليوم البعث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ النبأ: ١ – ٢.

- وفي التعقيب، التهديد والوعيد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥﴾ النبأ: ٤ – ٥

- وفي ذكر مشاهد من يوم القيامة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ۝١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ۝٢٠﴾ النبأ: ١٧ – ٢٠.

- ثمّ ذكر مشهد عذاب المكذبين والمنكرين:

1- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري: النكت والعيون في تفسير الماوردي، مرجع سابق، ص 183.

2- جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف، ص295.

3- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: تفسير البغوي معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، (د.ط)، 1412هـ، ج30، ص 311.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ النبأ: ٢١ – ٣٠.

- وخاتمة السورة التي كانت عبارة عن إنذار وتذكير قبل مجيء اليوم الموعود حيث لا ينفع الندم: قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَابًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ النبأ: ٣٨ – ٤٠.

ب_ الآيات الدالة على سياق إثبات وحدانية الله وقدرته على البعث:

- التذكير ولفت الانتباه إلى قدرة الله تعالى على خلق مخلوقات أعظم من البعث: قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾ النبأ: ٦ – ١٦

- إثبات الوحدانية لله عزّ وجلّ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ النبأ: ٣٧.

فهذه أهم السياقات الواردة في سورة **"النبأ"** والمتعلقة بالموضوع المحوري الذي تدور حوله السورة والمتمثل في عقيدة الكفار الضالة بإنكارهم يوم البعث والجزاء.

3- مبدأ التغريض:

3-1- العلاقة بين اسم السورة ومضمونها:

يمثل العنوان علامة لسانية أو مجموعة من العلامات اللسانية تتدرج على نص لتحدّده وتدل على محتواه وتغري المتلقي بقراءته، فعن طريق العنوان تتجلى جوانب أساسية ومجموعة من الدلالات المركزية مما يجعله يقوم بدور العنصر الموسوم في سيميولوجيا النص بل ربّما يكون أشد العناصر النصية وسما[1].

وفيما يخص القرآن الكريم فنحن بصدد البحث في علاقة السورة القرآنية بمحتواها مع العلم أن أسماء سور القرآن الكريم توقيفية وهذا ما ذهب إليه **"الزركشي"** في كتابه **"البرهان في علوم القرآن"** إلى أنّ هناك ارتباطا وثيقا بين اسم السورة ومضمونها ولا يمكن بأي حال من الأحوال استبدال اسم السورة باسم آخر، لأنه كما سبق الذكر أنّ أسماء السور أمر توقيفي، ويقول في هذا الصدد: "إنّ أسماء السور كانت معروفة على عهد **رسول الله صلى الله عليه وسلم** ومشهورة، وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن هذه التسمية كانت متداولة في ذلك العهد، والظاهر أن وضع هذه الأسماء كان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتعليمه"[2].

وقد أكده **"السيوطي"** بقوله: "وقد ثبت أسماء بالتوقيف من الأحاديث والآثار"[3]، لذلك سنحاول من خلال هذه الدراسة الكشف عن العلاقة بين اسم السورة وما حوته جوانبها من دلالات ترتبط باسمها.

ومعروف أن القرآن الكريم لا يكتفي في بعض سوره باسم واحد لها، فكثيرا ما تسمى السورة الواحدة بأكثر من اسم، وهذا ما يذهب إليه **"الزركشي"** بقوله: "قد يكون للسورة اسم

1- أمين لقمان الحبار: التماسك النصي في سورة النبأ، مجلة التربية والعلم، العدد2، 2008م، المجلد14، ص 175.

2- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، مصدر سابق، ص 271.

3- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1، مصدر سابق، ص 173.

وهو كثير...وقد يكون لها اسمان...وقد يكون لها ثلاثة أسماء...وقد يكون لها أكثر من ذلك"[1]، وأكّده **"السيوطي"** بقوله: "...فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى"[2].

وقد ذكر للسورة التي بين أيدينا أكثر من اسم، وقد أجملت كما سبق الذكر. في خمسة أسماء، يمكن تصنيفها إلى اسم خارجي **"النبأ"**، والأسماء الباقية يمكن اعتبارها أسماء داخلية ذكرت كلها في مقاطع بالغة الأهمية من السورة.

3-1-1- التسمية الخارجية: النبأ

لقد وردت هذه التسمية في الآية الثانية من السورة المباركة، وهي التسمية الأصلية للسورة والشاملة لمضمونها، وهذا من مميزات تسميات سور القرآن الكريم التي تمتاز بالشمول، والاختصار، فلا نجد سورة قرآنية يكون اسمها مركبا أيا كان نوعه[3].

والنبأ في اللغة: "يعني الخبر ذو الشأن والقصّة ذات البال، والجمع أنباء. والنبأ قد يكون عن الماضي، وقد يكون عن الآتي كما في قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ الأنعام: ٦٧ أي لكلّ خبر بأَنّ شيئاً سيقع وقتٌ أو مكان يقر فيه ويقع، أو لِكُلّ حَدَث جاء فيه نَبَأ وقتٌ أو مكان يقّر فيه"[4].

إلا أن النبأ والخبر يفترقان في أن النبأ لا يكون إلا خبرا غيبيا يقينا، ولهذا وصف الذين يأتون بخبر من السماء بالأنبياء، لأنهم يخبرون الناس بما غاب عنهم خبرا لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه[5].

1- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، المصدر السابق، ص 269.

2- السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، ج2، المصدر السابق، ص 349.

3- أنظر أمين لقمان الحبار: التماسك النصي في سورة النبأ، مرجع سابق، ص 175.

4- حسن عز الدين الجمل: مخطوطة الجمل معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 1، 2008م ج5، ص 30 . 31

5- محمد مبارك المزيودي: الإعجاز البياني في سورة النبأ، (د.ن)، (د.ط)، 2011م، ص 6

وعلى الرغم من اختلاف المفسّرين في تأويل معنى **"النبأ"** بين قائل بأنّه يعني "القرآن كما روي عن مجاهد، ويستدل بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴾ ص: ٦٧ " [1].

وقائل بأنّ المراد به البعث والنشور؛ أي يوم القيامة، وهذا ما يؤكده **"الضحاك"** بقوله: يعني نبأ يوم القيامة، وكذا قاله قتادة وأغلب المفسرين[2].

وهذا ما رجّحه **"الرازي"** بأكثر من دليل[3]، وبالتالي يمكن القول بأن أغلب أقوال وآراء المفسّرين ترجّح الرأي الثاني، وعلى هذا الأساس سنقيم هذه الدراسة.

ولفظة **"النبأ"** تشير _ كما سبق الذكر_ إلى عدة معان يمكن أن تكون كلّها دالة على يوم القيامة، وذلك لقرائن أهمها: أن يوم القيامة خبر جاء به **الرسول صلى الله عليه وسلم** في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ التغابن: ٧.

ويوم القيامة هو نبأ وخبر ويطّلع إلى الناس بواسطة النبي المرسل الذي يبشر المؤمنين بالجنة، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾ النبأ: ٣١ – ٣٦ ، والكافرين بنار جهنّم **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ النبأ: ٢١ – ٢٦.

فيوم القيامة نبأ واقع وطريق واضح يسلكه كل إنسان بوصفه حقيقة واقعة لا شك فيها،[4] **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الأنعام: ٦٧.

1- محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مرجع سابق، ص 1574.

2- المرجع نفسه، ص 1574، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص689، أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم، تحقيق علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1413هـ -1993م، ج 3، ص 438.

3- محمد الرازي: مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ص 6.

4- أمين لقمان الحَبار: التماسك النصي في سورة النبأ، مرجع سابق، ص 175-176.

واِستئناسا بما سبق يمكن القول أن كلمة نبأ هي اسم شامل لها ودال على مضمونها الذي تمثل في موقف الكافرين واختلافهم حول حقيقة يوم القيامة.

أما فيما يخص التسميات الأخرى لسورة النبأ، فسنقتصر في بحثنا هذا على ثلاث تسميات داخلية فقط، وهي: النبأ العظيم، ويوم الفصل، واليوم الحق.

3-1-2-النبأ العظيم:

إنّ الاختلاف بين هذه التسمية والتسمية السابقة يكمن في كون الأولى جاءت اسما مفردا والثانية جاءت اسما مركبا وصفيا متكونا من موصوف النبأ وصفة العظيم.

فمن ناحية الدلالة النحوية فإنّ إضافة صفة العظيم للفظة النبأ جاءت لإزالة تلك الشركة ونفي اللبس، لأنّ صفة المعرفة غرضها التوضيح والبيان[1]، قال الشارح متحدثا عن وظيفة الصفة: "الصفة ينبغي أن تكون وفق الموصوف... إنما يوصف الاسم بما دونه في التعريف أو بما يساويه، وذلك لوجهين أحدهما أن الصفة تتمة للموصوف وزيادة في بيانه والزيادة تكون دون المزيد عليه وأما أن تفوقه فلا، فإذا وجه الكلام أن تبدأ بالأعراف وأما الوجه الثاني فإن الصفة خبر في الحقيقة"[2].

ووصف النبأ بالعظيم هنا زيادة في التنويه به لأنّ كونه واردا من عالم الغيب زاده عظم أوصاف وأهوال[3].

ومنه يمكن القول أن صفة العظيم جاءت مبينة وموضحة للموصوف النبأ ومؤكدة له، وهذا ما يتوافق مع الدلالة المعجمية للفظة النبأ، ففي معجم الكليات أنّ "العظيم: هو عند المشبِّه من أسماء الذات، وعند أهل التوحيد من أسماء الصفات.

1 شرف الدين علي الراجحي: شرح المفصل، ج3، مرجع سابق، ص 47.

2- المرجع نفسه، ص 58.

3- محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 10.

والعظيم نقيض الحقير. كما أن الكبير نقيض الصغير، والعظيم فوق الكبير لأنّ العظيم لا يكون حقيرا لكونهما ضدين. والكبير قد لا يكون حقيرا كما أن الصغير قد يكون عظيما...والعظيم يدل على القرب...

ويطلق العظم على المستعظم عقلا في الخير والشر...والعظمة كالعلية والجبروت والكبر والنخوة والزهو"[1].

وقال **'الراغب الأصفهاني'** في كتابه **'المفردات في غريب القرآن':** "وعظُم الشيء أصله كبُر عظمه ثم استعير لكل كبير فأجري مجراه محسوسا كان أو معقولا: عينا كان أو معنى، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾** الأنعام: ١٥. **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴾** ص: ٦٧"[2].

و"عظم: في أسماء الله تعالى: العظيم"[3]، فالمتتبع للمعنى المعجمي للفظة عظم في المعاجم العربية يجد أنها تشير إلى دلالات متعددة يمكن اختصارها فيمايلي: العظيم نقيض الحقير وفوق الكبير، الدلالة على القرب، والعلية والجبروت، والكبر، والنخوة والزهو، والعظيم اسم من أسماء الله الحسنى.

وباعتبارات مختلفة– باستثناء (العظيم) – وهو من أسماء الله الحسنى، نجد أنّ هذه الدلالات المعجمية تمثل صفات ليوم القيامة. فما جاء في القرآن من أخبار عن يوم القيامة فاجأ المنكرين للبعث والحساب، كما جاء في قوله تعالى:**﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾** الواقعة: ٤٧ – ٤٨ .

وفكرة يوم البعث فكرة غريبة عن معتقدات العرب الوثنية جعلت من يوم القيامة عند الكفار يوما كبيرا، مهولا، ونازلا...لأنّهم سيصلون نار جهنّم.

1– الكفوي: معجم الكليات، مصدر سابق، ص 631 –632.

2– الراغب الأصفهاني: المفردات في ألفاظ القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د.ط)، (د.ت)، ج 2، ص 440.

3– محمد الجزري ابن أثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، مصدر سابق، ص 625.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ الزمر: ٧١ - ٧٢ . أما نظرة المؤمنين لهذا اليوم تختلف تماما فهم يرون فيه يوم عزة وزهو وفخار، لأنهم سيجازون الجنة[1]. قَالَ تَعَالَى:﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ الزمر: ٧٣ - ٧٤ .

3-1-3- يوم الفصل:

تشير لفظة يوم في المعاجم العربية إلى معان متعدّدة، أهمها ما جاء في المفردات في غريب القرآن بأنّ اليوم يعبر به عن وقت طلوع الشمس إلى غروبها. وقد يعبر به عن مدة من الزمان أي مدة كانت...فإضافة الأيام إلى الله تعالى تشريف لأمرها لما أفاض الله عليهم من نعمه فيها"[2] ، وقد ارتبط استعمال لفظة يوم في القرآن بالبعث فنجد يوم القيامة قَالَ تَعَالَى:﴿ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ البقرة: ١١٣ .

ويوم الدين، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾ الصافات: ٢٠

واليوم الآخر ،قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ العنكبوت: ٣٦.

ويوم لا ريب فيه، قَالَ تَعَالَى:﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ﴾ آل عمران: ٩. كما اقترنت لفظة يوم في القرآن الكريم بلفظ الجلالة للدلالة على النعم قَالَ

1- أنظر أمين لقمان الحبّار: التماسك النصي في سورة النبأ، مرجع سابق، ص 176.

2- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص 720.

تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾ إبراهيم:٥. وقد روي عن أبي بن كعب عن النبي، صلى الله عليه وسلم، في قوله تعالى ﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ ﴾. قال: أيامه نعمه[1]، وهذا ما قاله مجاهد وقتادة[2]. ويتعزّز هذا بلفظة الفصل[3]، التي تعني في لسان العرب البون والفصل الحاجز بين الشيئين. والفصل: القضاء بين الحق والباطل[4]، كما أن هذا الاسم (يوم الفصل) مركب إضافي يتكون من مضاف (يوم) ومضاف إليه(الفصل)، والحرف المضمر بين المضاف والمضاف إليه هو اللام، والتقدير (يوم للفصل)، وتقدير اللام يعطي معنى الغائية[5]، أي يوم الفصل: هو يوم القيامة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴾ المرسلات: ١٤، يوم يفصل بين المحسن والمسيء ويجازي كل بعمله وبما يتفضل الله به على عبده المسلم.[6]

ويرى **'محمد الطاهر ابن عاشور'** أنّ معنى "الفصل: التمييز بين الأشياء المختلطة وشاع إطلاقه على التمييز بين المعاني المتشابهة والملتبسة فلذلك أطلق على الحكم وقد يضاف إليه فيقال: فصل القضاء، أي نوع من الفصل لأنّ القضاء يميّز الحق من الظلم.[7]

ليضيف في موضع أخر كلاما عن سبب التعبير عن يوم القيامة بيوم الفصل قائلا: "وأوثر التعبير عنه بيوم الفصل لإثبات شيئين:

أحدهما: أنّه بيّن ثبوت ما جحدوه من البعث والجزاء وذلك فصل بين الصدق وكذبهم.

1- ابن منظور: لسان العرب، ج6، مصدر سابق، ص 3974.

2- تفسير الطبري، جامع البيان، ج16، مرجع سابق، 521.

3- أمين لقمان الحبّار: التماسك النصي في سورة النبأ، المرجع السابق، ص 178.

4- ابن منظور: لسان العرب، ج5، المصدر السابق، ص 3422.

5- أمين لقمان الحبار: التماسك النصي في سورة النبأ، المرجع السابق، ص 178.

6- ابن منظور: لسان العرب، ج6، المصدر السابق، ص 3422

7- محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج30، مرجع سابق، ص 29.

وثانيهما: القضاء بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اعتدى به بعضهم على بعض"[1].

ويتضح مما سبق أنّ هذه التسمية قد دلت على موضوع السورة الذي يتحدث عن أهوال يوم القيامة والحساب ومآل العباد من مؤمنين وكفار، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ النبأ: ١٧ - ٣٦.

3-1-4- اليوم الحق:

الملاحظ على هذه التسمية أنها تختلف عن سابقتها اقتران لفظة الحق بلفظة اليوم بدلا من لفظة الفصل، وتدل كلمة الحق في لسان العرب على معان كثيرة منها "الحق نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحِقاق، وحقَّ الأمر: صار حقاً وثَبَت، والحق: صدق الحديث. والحقّ: اليقين بعد الشّكِّ[2].

هذا ويذهب صاحب تفسير التحرير والتنوير إلى أن "وصف اليوم بالحق يجوز أن يراد به الثابت الواقع كما في قوله تعالى:﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ الذاريات: ٦، وقوله آنفا: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ النبأ: ١٧، فيكون ﴿ٱلْحَقُّ﴾ بمعنى الثابت مثلما في قوله تعالى:﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ الأنبياء: ٩٧.

1- محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 29.

2- ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، 939-942

ويجوز أن يراد بالحق ما قابل الباطل، أي العدل وفصل القضاء فيكون وصف اليوم به على وجه المجاز العقلي إذ الحق يقع فيه واليوم ظرف له، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ يَوْمَ ٱلْفَيْصَلِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ﴾ الممتحنة: ٣. وجاء في تفسير بحر العلوم بأن قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ﴾ يعني القيامة[1].

وهذه التسمية جاءت في الآية التي أعقبت آية التفصيل في يوم البعث وفي مآل العباد من كافرين ومؤمنين، فكانت بمثابة إثبات للنبأ العظيم، ففي هذا اليوم يتحقق العدل فيفوز المؤمنون بالله ورسوله والمصدقون بيوم البعث بالجنة، ويساق الكافرون المكذبون بالله ورسوله والمنكرين بيوم البعث والحساب إلى جهنّم، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ ﴾ النبأ: ١٧ – ٣٩.

ونظيره ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ الكهف: ٢٩.

1- أحمد ابن إبراهيم السمرقندي: بحر العلوم، ج3، مرجع سابق، ص 441.

وكما يلاحظ على بنية التسمية الخارجية للسورة النبأ والتسمية الداخلية الأولى النبأ العظيم أنها تسميتان دنيويتان؛ لأن القرآن جاء لإصلاح الدنيا والفوز بالآخرة وفي سياقات متعددة منها سياق هذه السورة، وكما نجد أن القرآن يتحدث عن أحداث مستقبلية لأنها واقعة لا محالة، فحين يكون الحديث عن الدنيا يصحبه بالضرورة الحديث عن يوم القيامة وما سيكون من حال المؤمنين والكافرين، وهذا ما نجده في السورة التي بين أيدينا حيث ابتدأها بتساؤلهم عن يوم القيامة وحقيقة البعث في قوله:﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥ ﴾ ، وبعدها انتقل جل جلاله للحديث عن يوم القيامة بقوله: ﴿ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ۝١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ۝٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ۝٢٥ جَزَآءٗ وِفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ۝٢٧ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ۝٢٨ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ۝٢٩ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ۝٣٣ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ۝٣٤ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ۝٣٥ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۝٣٦ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ۝٣٧ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ۝٣٨ ﴾ النبأ: ١٧ – ٣٨.

وبعد أن فصل الله سبحانه وتعالى في أحداث يوم الفصل ومآل المتقين، ومصير الكافرين نجد تسمية جديدة ليوم القيامة، قَالَ تَعَالَى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ۝٣٩ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ۝٤٠ ﴾ النبأ: ٣٩-٤٠.

4- بنية الخطاب في سورة النبأ:

تتميز بنية الخطاب القرآني في سورة النبأ بأنها تطرح قضية كبرى واحدة وهي إثبات حقيقة البعث والحساب لإثبات وحدانية الله عز وجل، والناظر إلى السورة يمكنه أن يحدّد فيها مجموعة من البنيات الخطابية الصغرى لتتحد في النهاية وتكون بنية خطابية كبرى وهذه البنيات هي:

4-1- البنية الأولى: [تساؤل المشركين عن النبأ العظيم] ⟺ وظيفة تبليغية.

قَالَ تَعَالَى:﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥ ﴾ النبأ: ١ – ٥ .

بدء الخطاب باستفهام، وهو نسق بلاغي الغاية منه لفت الانتباه لأنّ النفس البشرية مجبولة على حب اكتشاف المجهول، ومع السؤال يستنفر الإنسان طاقته الإدراكية لاستقبال ما يأتيها من خبر ذلك المجهول[1]، وجاء هذا الاستفهام على سبيل المجاز وليس للحقيقة، وقد ورد لأكثر من معنى:

إما لتفخيم شأن المسؤول عنه (البعث)، ويقول الزجاج في هذا الصدد: اللفظ لفظ استفهام والمعنى تفخيم القصة.

أو لإنكار الله تعالى على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة واستهزائهم بها وإنكارا لوقوعها[2].

هناك علاقة بين الآيتين الأولى والثانية، فجاءت الثانية ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾جوابا للآية الأولى ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ التي جاءت في صيغة سؤال، والذي وجه إليه السؤال هم المنكرون ليوم البعث بدلالة ضمير الجماعة الغائبين، والمجيب هو الله عز وجل مما يدل على علمه

1- محمد مبارك المزيودي: الإعجاز البياني في سورة النبأ، مرجع سابق، ص 8

2- الزمخشري، تفسير الكشاف، ص3، نخبة من علماء التفسير وعلوم التفسير الموضوعي: التفسير الموضوع لسور القرآن الكريم ص 4، الألوسي، روح المعاني، ص 3، ومحمد الشوكاني: فتح القدير، ص 1573، وتفسير ابن كثير، ج4، ص689

بالغيب، ولذلك كان الجواب منه سبحانه وتعالى وعلى الوجه الذي أراده وهذا ما تعرضه السورة بأكملها[1].

فقد أورد الله سبحانه وتعالى أولا الاستفهام مبهما؛ لتتوجه إليه أذهانهم، وتلتفت إليه أفهامهم، ثمّ بيّنه بما يفيد تعظيمه وتفخيمه، كأنّه قيل: عن أي شيء يتساءلون هل أخبركم به؟ ثم قيل بطريق الجواب﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ لأنّ الفائدة من إيراد الكلام في معرض السؤال والجواب، تقريب الفهم والإيضاح[2].

والكلام هنا موجه إلى المختلفين حول يوم البعث دل على ذلك ضمير الجماعة الغائبين **(هم)**، والاختلاف لايعني التكذيب المطلق وإنما يعني التردد في الرفض والقبول فقد نعتهم القرآن بأنهم مختلفون باستعمال جملة صلة الموصول للدلالة على الثبات أي أنهم راسخون في الاختلاف فيه، وهو ما لايسري على المكذبين ولا المؤمنين[3].

كما تدل كلمة كلا على ردع وزجر، أفادت في سياقها بقاء حالة الجهل بالنبأ العظيم ثم ذكر الدليل وهو قوله تعالى﴿سَيَعۡلَمُونَ﴾ فالإنسان لا يتساءل عن أمر إلا إذا كان جاهلا به، فإذا توافر له العلم بذلك كف التساؤل[4].

فالتهديد والوعيد في هذه البنية موجّه إلى المنكرين ليوم البعث. ومعنى **(كلا)** ردع للمتسائلين هزؤا. وسيعلمون وعيد لهم سوف يعلمون أن ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق، لأنّه واقع لا ريب فيه. ومعنى ثم الإشعار بأن الوعيد الثاني أبلغ من الأول وأشد[5]. وهاتان الآيتان تأتيان لإبطال الاختلاف الحاصل في ذلك النبأ وهو الحق لأنّ إبطال إنكار وقوعه يفضي إلى إثبات وقوعه[6].

1- محمد مبارك المزيودي: الإعجاز البياني في سورة النبأ، مرجع سابق، ص 8.

2- محمد الرازي: مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ص 3

3- محمد مبارك المزيودي: الإعجاز البياني في سورة النبأ، ص 8، الألوسي: روح المعاني، ص 4.

4- المرجع نفسه، ص10.

5- الزمخشري: تفسير الكشاف، مرجع سابق، ص 294

6- محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص11

4-2-البنية الثانية: [تذكير للعباد بنعم الله عليهم] ⟺ وظيفة فعلية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ النبأ: ٦ – ١٦.

لما أنكر المشركون البعث والحشر، نبّأهم المولى عز وجل بأنهم سيعلمون، ثم ذكر سبيل تحقق هذا العلم، وهو أن يذكرهم بالشواهد الناطقة بقدرة الخالق سبحانه وتعالى وأنّه لا يعجزه في الأرض ولا في السماء[1]، "وهو استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيقته أثر ما فيه عليها بما ذكر من الردع وجواز أن يكون بتقدير قل، كأنّه قيل: قل كيف تنكرون أو تشكون في البعث وقد عاينتم ما يدل عليه من القدرة التامة والعلم المحيط والحكمة الباهرة المقتضية أن لا يكون ما خلق عبثا وفيه أن من كان عظيم الشأن باهر القدرة ينبغي أن يخاف ويخشى ويتأثر من زجره ووعيده"[2].

وقد ساق سبحانه وتعالى في هذه البنية تسعة أدلة وبراهين لإثبات البعث، وكلّها حجج واضحة وشواهد بينة على قدرته جلّ وعلا الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء[3]. وقد اختار الله سبحانه وتعالى لهذا السياق أفعالا دالة، إذ ورد فعل التحويل جعل في هذه البنية خمس مرات، والجعل هو "تغيير صورة الشيء بإيجاد الأثر فيه"[4] للدلالة على تهيئة هذه المخلوقات للإنسان الذي سيسأل عن صنيعه يوم القيامة [5] فاختيار الفعل نجعل جاء للدلالة على أن الأرض في مبدأ أمرها لم تكن مهادا للإنسان فصيرها الله مهادا[6]. وبعد أن مهد الله الأرض، وغدت صالحة لمعاش الإنسان خلق الإنسان، وقد ذُكر لفظ الخلق ولم

1- نخبة من علماء التفسير وعلوم التفسير الموضوعي: التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص5

2- الألوسي: روح المعاني، مرجع سابق، ص 5

3- نخبة من علماء التفسير وعلوم التفسير الموضوعي: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 6

4- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص 136.

5- أنظر نخبة من علماء التفسير وعلوم التفسير الموضوعي: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 6

6- محمد مبارك المزيودي: لإعجاز البياني في سورة النبأ، مرجع سابق، ص12

يذكر لفظ الجعل؛ ذلك لأنه لا يفيد معنى الخلق ابتداءً إنّما يفيد أن خلقا من خلق الله تعالى تحول من حالة إلى حالة، وهو ما دلت عليه الآيتان السابقتان بأنّ الأرض كونها مهادا حالة من أحوالها عند خلقها أو بعده. أما لفظة الخلق فتدل على أنّ الإنسان لم يكن له وجود سابق، بل خلقه الله ابتداءً، وأنّ الزوجية قد قدرها الله من أول إيجاده لها[1]، وجعل نومهم سباتا(بعد الحركة والوعي والنشاط) مع جعل اللباس لباسا للستر والانزواء، وجعل النهار معاشا للوعي والنشاط. ثمّ بناء السبع الشداد. وجعل السراج الوهاج. وإنزال الماء الثجاج من المعصرات. لإنبات الحب والنبات والجنات...فتوالي هذه الحقائق والمشاهد على هذا النحو يوحي بالتناسق الدقيق، ويشي بالتدبير والتقدير ويشعر بالخالق الحكيم القدير.

يتبين من خلال هذه البنية أن الله جل وعلا أوجد كل تلك النعم من أجل العمل والمتاع، وأنّ قدرة الله على خلق المخلوقات أعظم من قدرته على البعث، وهذا ما يفضي لا محالة إلى إثبات قدرته جلّ وعلا على تخريب الدنيا بسمواتها وكواكبها وأرضها وعلى إيجاد عالم الآخرة.[2]

4-3-البنية الثالثة: [مشاهد قيام يوم الفصل] ⟺ وظيفة تبليغية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ النبأ: ١٧ – ٢٠.

جاء في هذه البنية تفصيل لمشاهد يوم القيامة، فلما خلق الله الدنيا للعمل والمتاع، خلق في المقابل الآخرة للجزاء والحساب، فلإنسان لم يخلق عبثا ولن يترك سدى، بل هنالك يوم للحكم والفرقان والفصل في كل ماكان، وهو اليوم المرسوم الموعود الموقوت بأجل عند الله

1- محمد مبارك المزيودي: لإعجاز البياني في سورة النبأ، المرجع السابق، ص 16

2- محمد الشوكاني: الفتح القدير، مرجع سابق، ص 1574

معلوم ومحدود، وفيه ينفخ في الصور وتنسف الجبال وتتبدل الأرض غير الأرض والسماوات، فهو يوم ينقلب فيه نظام هذا الكون وينفرط فيه عقد هذا النظام[1].

4-4- البنية الرابعة: [مآل الطاغين] ⟺ وظيفة تبليغية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ النبأ: ٢١- ٣٠.

بعد التفصيل في مشاهد قيام يوم الفصل، وبعد أن تنقضي الحياة على الأرض ويبعث الأموات من قبورهم، تأتي لحظة الحساب والجزاء، وانتقال الإنسان إلى دار من الدارين الجنّة أو النّار، حيث ابتدئ بذكر جهنّم لأنّ المقام مقام تهديد إذ ابتدأت السورة بذكر تكذيب المشركين بالبعث[2].

وجاء في هذه الآيات تفصيل لحال المنكرين ليوم الفصل، والمصير المحتوم (جهنّم) المستقر للطاغين، لأن جهنم خلقت ووجدت وكانت مرصادا للطاغين تنتظرهم وتترقبهم وينتهون إليها فإذا هي معدة لهم، مهيّأة لاستقبالهم. وكأنما كانوا في رحلة في الأرض ثم آبوا إلى مأواهم الأصيل، وهم يردون هذا المآب للإقامة الطويلة المتجددة أحقابا بعد أحقاب[3] دائمين فيها أبد الآبدين، وليس فيها من طعام ولا شراب، وذلك بسبب نكرانهم ليوم الحساب والجزاء[4]، ولا يظلم ربك أحدا[5].

1- سيد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص 11-12

2- محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 35

3- سيد قطب: في ظلال القرآن، المرجع السابق، ص 3807

4- نخبة من علماء التفسير وعلوم التفسير الموضوعي: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 19

5- الشنقيطي: أضواء البيان، مرجع سابق، ص 15

4-5- البنية الخامسة: [مآل المتقين]⟺ وظيفة تبليغية

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾ النبأ: ٣١ – ٣٦.

وجرى في هذه البنية الانتقال من ترهيب الكافرين بما سيلقونه إلى ترغيب المتقين فيما أُعدّ لهم في الآخرة من كرامة ومن سلامة مما وقع فيه أهل الشرك[1]. أعد لهم دار هناء وسرورا لا يسمعون فيها اللغو والتكذيب؛ ولا ألم على الإطلاق في الجنان، كل ذلك جزاء لهم من ربّهم على صالح أعمالهم[2]، وبيان بأن هذا النعيم عطاء من الله وتفضل عليهم به من الأصل وهو المفاز[3].

4-6- البنية السادسة: [الوحدانية لله عزّ وجلّ] ⟺وظيفة تبليغية

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ النبأ: ٣٧ – ٣٨.

إثبات العبودية والوحدانية لله عزّ وجلّ وحده، وأنه سبحانه وتعالى هو المتصرف في الكون، ولا يجرؤ أحد على أن يتكلم في الشفاعة إلا بإذنه.

4-7- **البنية السابعة:** [عطف على بدء] ⟺وظيفة تبليغية

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾ ﴾ النبأ: ٣٩- ٤٠ .

ختم الله عزّ وجلّ السورة بالإشارة إلى ما ابتدأت به، وأن يوم البعث والنشور حق.

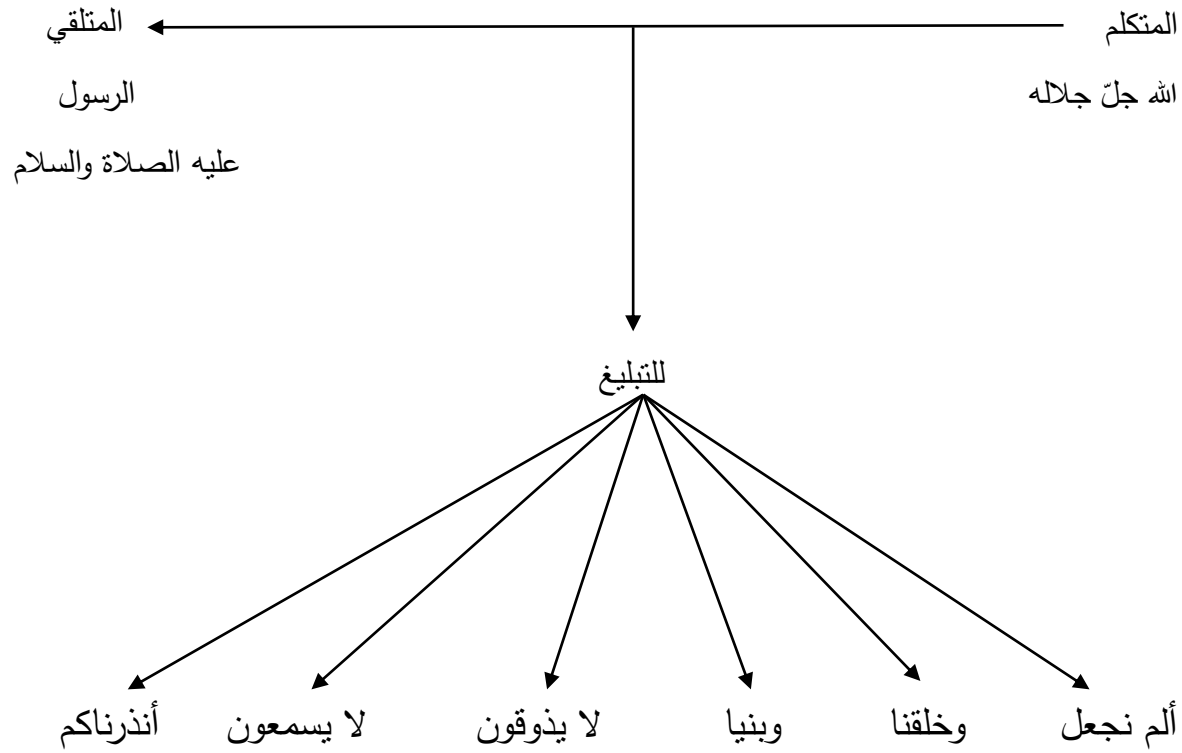
نستنتج مما سبق أن للعلاقة التداولية لبنية الخطاب دورا في انسجام الخطاب القرآني في سورة النبأ، وذلك لأنّها تؤدي إلى تكوين نسيج من الوظائف التبليغية.

1- محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، المرجع السابق، ص 43

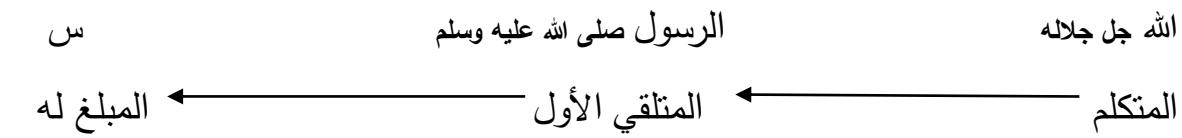
2- نخبة من علماء التفسير وعلوم التفسير الموضوعي: التفسير الموضوعي، المرجع السابق، ص 19

3- الشنقيطي: أضواء البيان، المرجع السابق، ص15

ويمكننا بعد هذا أن نقوم بتمثيل سورة النبأ من منظور العلاقات الخطابية وارتباطها بعضها ببعض على الشكل التالي:

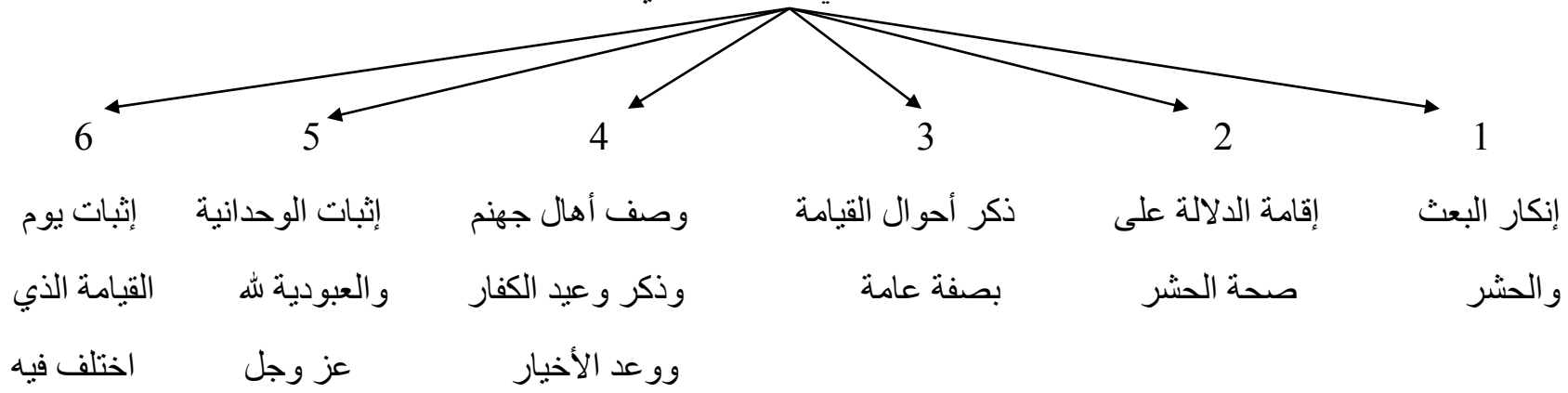


ومن خلال هذا يمكن الخروج بمجموعة من الملاحظات ترتبط بالسورة كجواب: المسألة كلها مسألة وحي، وما وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا تبليغ أيل إليه، وهذا التبليغ يرتبط بالأفعال التي تدعو إلى التبليغ: (ألم نجعل، وخلقنا، وبنينا...) ولمّا صار الأمر يتعلق بالتبليغ كانت البنية الخطابية متمثلة في الشكل التالي:

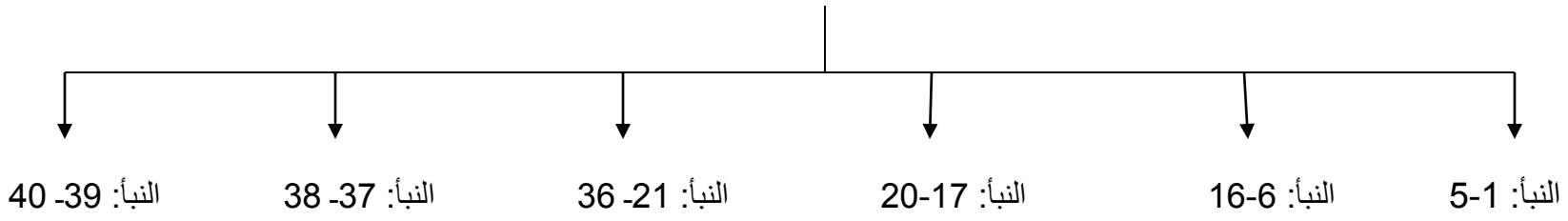


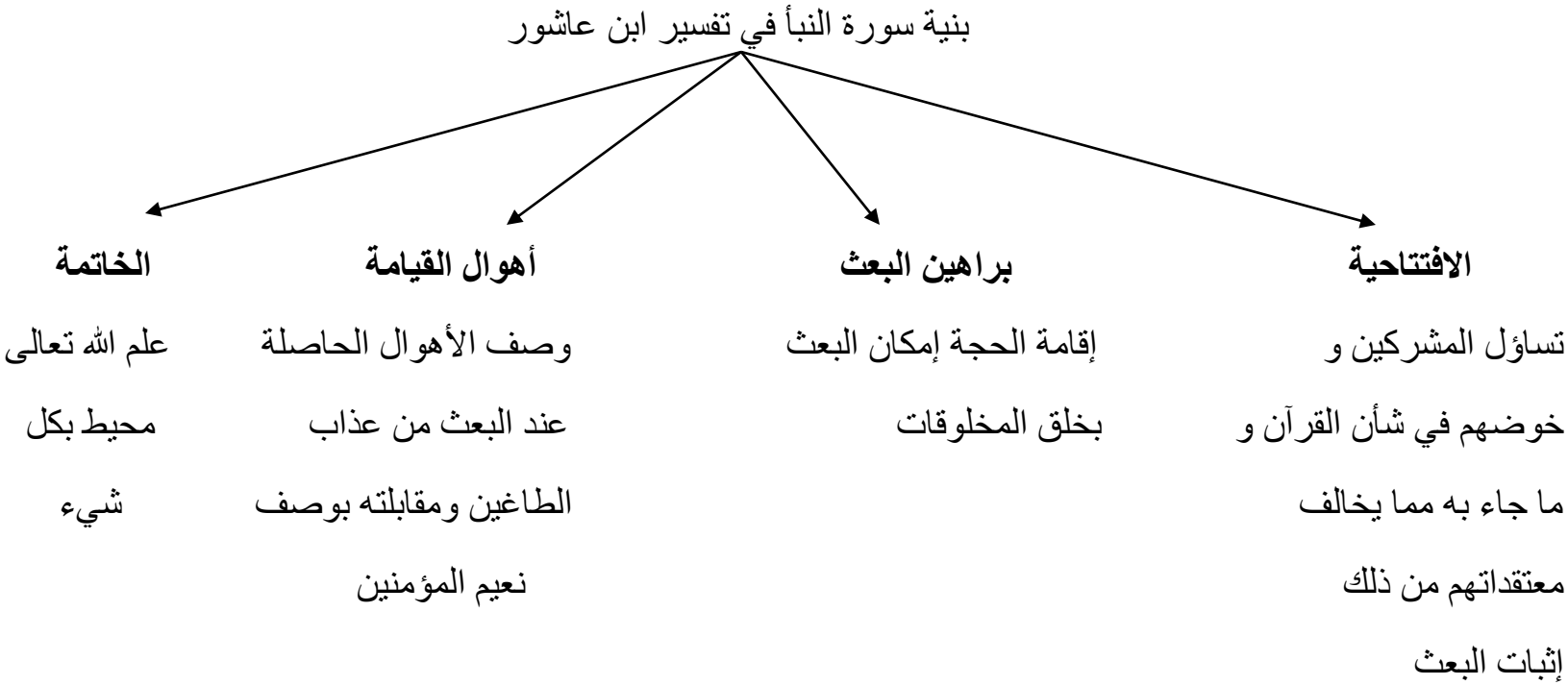
وهناك ارتباط واضح بين المتلقي الأول(رسول الله صلى الله عليه وسلم) والمبلَغ له (المتلقي الثاني).

بنية سورة النبأ في تفسير الرازي

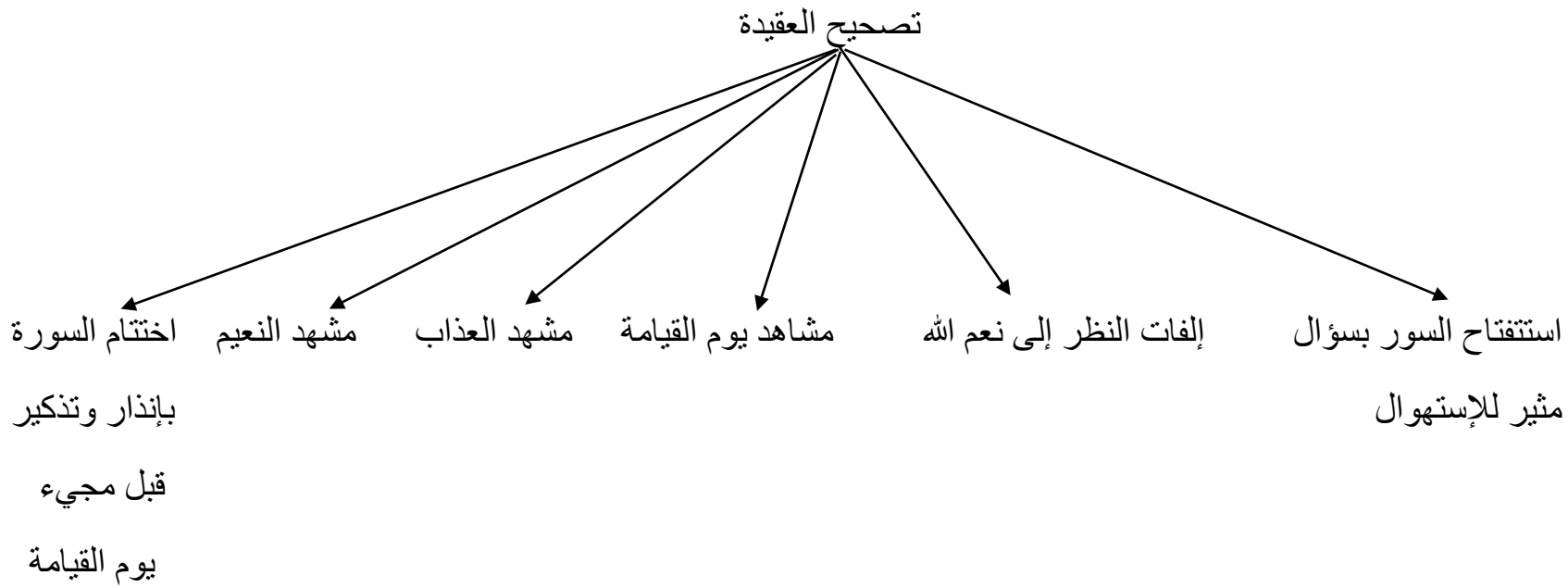


فواصل هذه الأجزاء من اليمين إلى اليسار




بنية سورة النبأ في تفسير ابن عاشور
الافتتاحية
تساؤل المشركين و خوضهم في شأن القرآن و ما جاء به مما يخالف معتقداتهم من ذلك
إثبات البعث
براهين البعث
إقامة الحجة إمكان البعث بخلق المخلوقات
أهوال القيامة
وصف الأهوال الحاصلة عند البعث من عذاب الطاغين ومقابلته بوصف نعيم المؤمنين
الخاتمة
علم الله تعالى محيط بكل شيء

بنية سورة النبأ في تفسير السيد قطب



خاتمـــــــــــــــــة

بعد جولة البحث في التماسك النصي وأدواته، توصلنا إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها في الآتي:

1. الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص ضرورة ملحة فرضتها طبيعة الدرس اللغوي الحديث؛ لأنّ الجملة لم تصبح قادرة على إشباع جميع حاجات المحلل اللغوي.
2. مصطلح النصّ سجل حضوراً مركزيًا في الذخيرة العربية اللغوية والمعرفية أيضا فقد عبر عن مرجعية القوانين المتحكم إليها في الحياة العربية الإسلامية.
3. الأصل في التفكير بالنص عند المنظرين العرب والمفسرين والمؤولين يعود في حقيقة الأمر إلى ضرورة فهم النص القرآني فهمًا صحيحًا، والإحاطة بأسرار معانيه لتفادي تفسيره تفسيرا خاطئا.
4. تعدد تعريفات النصّ لا يعبر عن تناقض أو اختلاف حقيقي في مفهومه بقدر ما يعبر عن تعدد جوانب النصّ المختلفة، غير أنّ هذه التعريفات تتضافر فيما بينها لتصور مفهوما متكاملا للنصّ.
5. أشار البحث إلى دور معايير النصية في التمييز بين النصّ، واللانصّ بما يتيح للمتلقي القدرة على الحكم على نصّ ما بالقبول أو الرفض.
6. رغم تعدد تعاريف الخطاب، وتنوعها وتباينها إلا أنّ ذلك لم يقف حائلا أمامه في أن يحتل موقعا مركزيا في مجال تحليل النصوص.
7. أثبت البحث أنّ مفهوم الخطاب عند العرب القدامى عرف نضجا وتطورا، إذ تجاوزوا فكرة أنّ الجملة هي أكبر وحدة يمكن أن يعبر بها المتكلم، إلى الخطاب مما أدى إلى الاهتمام به والتوسع في دراسته وتحديده.
8. أثبت البحث أنّ صعوبة وضع تعريف موحد للخطاب أدى إلى تداخله مع مصطلحات متاخمة ومرادفة له إلى درجة يصعب التفريق بينهما.

9. يعدّ التماسك النصي مظهرا من أبرز مظاهر لسانيات النص؛ إذ يمكن من خلاله الحكم على النص بالجودة والبراعة أو بسوء الصياغة والتركيب.

10. أثبت البحث وعي العلماء العرب بقضية التماسك النصي، إذ دلّ على ذلك تلك المصطلحات النصية التي وظفوها في منجزاتهم البلاغية، والنقدية وكتب التفسير...كمصطلح السبك، والحبك والتناسب والاتساق والانسجام...بيد أنّ أراءهم لم تتبلور في نظرية معرفية كاملة وقائمة بذاتها.

11. يعد الاتساق أحد أهم المصطلحات الجوهرية في لسانيات النص، ومعيارا من أهم معايير النصية، وأحد وجهي التماسك النصي، إذ يمثل العلاقات السطحية للنص أي الوسائل والروابط التي تكون بنية النصّ.

12. أثبت البحث دور الإحالة بأنواعها في تماسك النص، إذ تقوم بربط أجزائه من خلال عودة اللفظ المحيل على مفسره.

13. أسهم الحذف في تماسك سورة النبأ إذ ربط البنية السطحية بالبنية العميقة.

14. أكّد البحث دور التكرار كوسيلة من أبرز وسائل الاتساق في سورة النبأ.

15. لعب الاتساق المعجمي خاصة من خلال الثنائيات المتقابلة دورا كبيرا في اتساق وتماسك سورة النبأ.

16. تبين من خلال البحث أنّ الانسجام يمثل الوجه الثاني للتماسك النصي، ومعيارا من أهم معايير النصية، وله دور مهم في إبراز التماسك الدلالي.

17. دور السياق في تماسك سورة النبأ والتحامها، مما يضمن لها الاستمرارية الدلالية.

18. دور المتلقي في الحكم على تماسك النص من خلال كشف بنيته الخطابية.

19. دور التغريض، وذلك من خلال إبراز علاقة اسم السورة بموضوعها، فوجدنا أنّ هناك نوعا من العلاقة الخفية بينهما.

20. وفي الأخير أثبت البحث أنّ الاتساق والانسجام يمثلان حجر الأساس في لسانيات النص.

ملحـــــــــق

بين يدي السورة:

ذكر لسورة **'النبأ'** أكثر من اسم، وقد أجملها **'محمد الطاهر بن عاشور'** في تفسيره **'التحرير والتنوير'** قائلا: "سميت هذه السورة في أكثر المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة 'سورة النبأ'، لوقوع كلمة 'النبأ' في أولها.

وسميت في بعض المصاحف وفي صحيح البخاري وفي تفسير ابن عطية والكشاف سورة **'عمّ يتساءلون'**. وفي تفسير **'القرطبي'** سماها **'سورة عمّ'**، أي بدون زيادة **'يتساءلون'** تسمية لها بأول جملة فيها.

وتسمى سورة **'التساؤل'** لوقوع **'يتساءلون'** في أولها. وتسمى سورة **'المُعصرات'** لقوله تعالى فيها: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ النبأ: ١٤ . فهذه خمسة أسماء"[1].

أما **'السيوطي'** فقد عدّ لسورة **'النبأ'** أربعة أسماء بقوله: "عمّ يقال لها، النبأ، والتساؤل والمعصرات"[2]. وعلى هذا كان لكل اسم من الأسماء الخمسة السابقة الذكر قرينة له في سورة **النبأ**.

وعن سبب نزولها الذي يمثل المقام المصاحب لنزولها "يروى عن **ابن عباس:** كانت قريش تجلس لما نزل القرآن فتتحدث فيما بينها فمنهم المصدق ومنهم المكذّب به فنزلت **'عمّ يتساءلون'**.

وعن الحسن لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم جعلوا يتساءلون بينهم فأنزل الله ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ النبأ: ١ – ٢ يعني الخبر العظيم"[3].

أما عن ترتيبها في النزول يقول 'محمد الطاهر بن عاشور' في تفسيره: "عدّت السورة الثمانين في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد، ونزلت بعد سورة المعارج وقبل سورة

---

1 – محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 30، مرجع سابق، ص 5.

2– السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج2، مصدر سابق، ص 366.

3– محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج30، المرجع السابق، ص 5.

النازعات"[4]. وعدد آياتها اختلف فيه، حيث "عدّ آيها أصحاب العدد من أهل المدينة والشام والبصرة أربعين. وعدها أهل مكة وأهل الكوفة إحدى وأربعين آية"[5]. وهي مكية بالإجماع حيث "أخرج 'ابن الضريس'، و'النحاس'، وابن 'مردويه'، و'البيهقي ابن عباس' قال: نزلت ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ بمكة. وأخرج **'ابن مردويه'** عن **'ابن الزبير'** مثله"[6].

اشتملت هذه السورة خوض المشركين في شأن القرآن وما جاء به مما يخالف معتقداتهم ومن ذلك إثبات البعث، وسؤال بعضهم بعضا عن الرأي في وقوعه مستهزئين بالإخبار عن وقوعه، وتهديهم على استهزائهم.

كما تضمنت سورة النبأ إقامة الحجة على إمكان البعث بخلق المخلوقات التي هي أعظم من خلق الإنسان بعد موته وبالخلق الأول للإنسان وأحواله.[7]

ووصف الأهوال الحاصلة عند البعث من عذاب الطاغين مع مقابلة ذلك بوصف نعيم المؤمنين، وصفة يوم الحشر إنذارا للذين جحدوا به والإيماء إلى أنّهم يعاقبون بعذاب قريب قبل عذاب يوم البعث.

وأدمج في ذلك أنّه علم الله تعالى محيط بكل شيء ومن جملة الأشياء أعمال الناس.[8]

4- محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج30، المرجع السابق، ص 5.

5- المرجع نفسه، ص 5.

6- محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير، راجعه يوسف الغوش، دار المعرفة لبنان، ط4، 1428هـ -2007م، ص 1573.

7- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، المرجع السابق، ص5-6.

8 - المرجع نفسه، ص6.

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا
سَيَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ﴿٦﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا
﴿٧﴾ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ﴿٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴿١٠﴾
وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴿١٢﴾ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا
وَهَّاجٗا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴿١٤﴾ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ﴿١٥﴾
وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ
فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ
سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا
﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴿٢٥﴾ جَزَآءٗ وِفَاقًا
﴿٢٦﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ
شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ
لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴿٣٤﴾ لَّا
يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ
فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ
ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

صدق الله العظيم

قائمة المصادر

والمراجع

❖ **القرآن الكريـــــــــــم.**

- قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم أصبان: السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة، دار الإحياء(د.ط)، 25 جمادي الثانية 1428 هـ- يوليوز 2007 م.

2. ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، تقديم حفنى محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، (د.ط)، (د.ت).

3. ابن خلدون: المقدمة، تحقيق علي البستاني، مكتبة لبنان، ط4، 1990م.

4. ابن قيم الجوزية: الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة طنطا، ط1، 1406هـ - 1986م.

5. ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، جدة، (د.ط)، (د.ت).

6. ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، 1411هـ - 1999م.

7. أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، دار الفكر العربي، مصر، ط2 1395هـ - 1975م .

8. أبو الحسن القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

9. أبو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 2، 2003 م.

10. أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، (د.ت).

11. أبو القاسم الزمخشري محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق ودراسة خالد إسماعيل حسان، مكتبة الآداب، ط1 ،2006 م.

12. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1998م.

13. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: تفسير الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ط)، 1947 م.

14. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، ج2، ط3، 1988 م.

15. أبو جعفر الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1420هـ – 2000 م.

16. أبو حامد الغزالي: المستصفى من علم الاصول، المطبعة الأميرية، مصر، ط1 1324هـ .

17. أبو زهرة محمد: أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

18. أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان والتبين، قدم له وبوبه وشرحه علي بوملحم، دار و مكتبة الهلال، بيروت، 2002م.

19. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، 198 م.

20. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: تفسير البغوي معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، (د.ط)، 1412هـ.

21. أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري: كتاب الصناعتين ،تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ – 1952 م.

22. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري: النكت والعيون في تفسير الماوردي، مراجعة السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، (د.ط)، (د.ت) .

23. أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم، تحقيق علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1413هـ -1993م.

24. أحمد عفيفي: نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، ط1، 2001م.

25. الأزهر الزّنّاد: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1،1994 م.

26. أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده، مصر، 1960م، (د.ت)..

27. باتريك شارودو، دومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري – حمادي صمود، دار سيناترا، تونس، (د.ط)، 2008م.

28. بدر الدين الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000 م.

29. بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مكتبة دار التراث، القاهرة، ط 3، 1404هـ . 1984م .

30. البدراوي زهران: عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني ، المفتن في العربية ونحوها، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1987م.

31. برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الاسمي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

32. بسمة بالحاج رحومة الشكيلي وآخرون: مقالات في تحليل الخطاب، تقديم حمادي صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، جامعة منوبة، تونس، 2008م.

33. تمام حسان: البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1993 م.

34. تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء– المغرب (د.ط)، 1994م.

35. جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق محمد عبد الله، مطبوعات اللغة العربية ، دمشق، (د.ط)،(د.ت).

36. جلال الدين السيوطي: تناسق الدرر في تناسب السُّور، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، (د.ت) .

37. جمال مباركي: التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومة للنشر الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

38. جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية ولسانيات النصّ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1998 م، (د.ط).

39. جوليا كرستيفا: علم النصّ، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1 1991 م.

40. حبلص محمد يوسف: البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب، القاهرة (د.ط)، (د.ت).

41. حسين خمري: نظرية النصّ من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2007م.

42. الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

43. عبد الفتاح البركاوي: دلالة السياق بين التراث و علم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، دار المنار، القاهرة، ط1، 1411 هـ .

44. دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط 1، 1428هـ – 2008 م.

45. ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر (د.ط)، 2005م.

46. رابح بوحوش: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة الجزائر، (د.ط)، 2006 م.

47. الراغب الأصفهاني: المفردات في ألفاظ القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د.ط) (د.ت).

48. روبرت دي بو جراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسّان، علم الكتب القاهرة، ط2، 2007 م.

49. روبرت ديبوجراند ولفغانغ دريسلر: مدخل إلى علم اللغة النصي، (د.ن)، ط1 1992م.

50. سارة ميلز: الخطاب، ترجمة يوسف بغول، مطبعة البعث، قسنطينة، (د.ط) 2004م.

51. سعد عبد العزيز مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة مجلس النشر العلمي جامعة، الكويت، ط1، 2003م.

52. سعيد حسين بحيري: علم لغة النصي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان مصر، ط1، 1997 م.

53. سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1989م.

54. سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط1، 1972م.

55. صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ: شرح مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط1، 1432هـ.

56. صبحي إبراهيم الفقي: علم لغة النصّ بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000 م.

57. عبد الرحمن ابن إسماعيل بن إبراهيم الشاطبي، إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، تح إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت) .

58. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، 1425هـ - 2004 م.

59. عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن مُعلا اللويحق، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1424 هـ 2003م.

60. عبد الرحمن حجازي: الخطاب السياسي، دراسة أسلوبية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 2005 م.

61. عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط 3، (د.ت).

62. عبد الفتاح لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999 م.

63. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، محمد محمود شاكر، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).

64. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، مارس 2004 م.

65. عبد الواسع الحميري: الخطاب والنصّ، المفهوم - العلاقة- السلطة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2008م.

66. عبد الوهاب أبو صفية الحارثي: دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، (د.ن)، ط1، 1409هـ.

67. عبده الراجحي: دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1988م .

68. علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1980 م.

69. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 1427 هـ – 2006 م.

70. عمر أبو خرمة: نحو النصّ– نقد نظرية وبناء أخرى– عالم الكتاب الحديث أربد، الأردن، (د.ط)، 2004 م .

71. فتحي فريد، المدخل إلى دراسة البلاغة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ط)، 1978م.

72. فرحان بدرية الحربي: الأسلوبية في النقد العربي الحديث . دراسة في تحليل الخطاب . مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1424 هـ – 2003م.

73. فولفجانج هانيه من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة الدكتور فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود،(د.ط)، 1999 م.

74. مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تقديم علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية ، ط1، جمادى الأولى 1421هـ .

75. محمد أحمد بن طباطبا العلوي: عيار الشعر، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر،دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 1، 1982 م.

76. محمد الأمين الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف بكر بن عبد الله بوزيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).

77. محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي: تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (د.ن)، ط 2، 1400هـ . 1980م.

78. محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ط1، 1981م.

79. محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس، (د.ط)، 1984م.

80. محمد العبد: النص والخطاب و الاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط 1، 2005 م.

81. محمد بن إدريس الشافعي: الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

82. محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير، راجعه يوسف الغوش، دار المعرفة، لبنان، ط4، 1428هـ . 2007م.

83. محمد خطابي: لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2006 م.

84. محمد خير الحلواني: أصول النحو العربي، جامعة تشرين، اللاذقية، (د.ط)، 1997م.

85. محمد مبارك المزيودي: الإعجاز البياني في سورة النبأ، (د.ن)، (د.ط)، 2011م.

86. محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجيات الخطاب - المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 3، يوليو 1992 م.

87. محيي الدين الدّرويش، إعراب القرآن و بيانه، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ودار اليمامة، بيروت، ط7، 1999م.

88. معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، مج 1، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1، 1986 م.

89. موفق الدين ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

90. ميجان الروبلي وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، ط 2، 2000 م.

91. نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف مصطفى مسلم، إصدار كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط 1، 1431هـ – 2010م.

92. نهلة فيصل الأحمد: التفاعل النصي التناصية، النظرية والمنهج، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، ط1، 2000 م.

93. نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، (د. ط)،1997م.

- قائمة المعاجـــــــــــــم:

94. ابن منظور: لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

95. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط 2، 1998 م.

96. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 ، 1979 م.

97. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424 هـ – 2002 م.

98. إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، (د.ط)، (د.ت).

99. حسن عز الدين الجمل: مخطوطة الجمل معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 1، 2008م.

100. الفيروز أبادي: القاموس المحيط، المطبعة الأميرية، مصر،(د. ط)،1301هـ.

101. مجمع اللغة العربية: معجم الوجيز، (د.ط)، 1994م.

102. مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م.

103. محمد ابن بكر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (د.ط)، 1999م.

104. محمد علي التهانوي: موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق رفيق العجم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م.

105. محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن العظيم، دار الكتب المصرية، مصر، (د.ط)، 1364 هـ - 1945 م.

- قائمة الرسائل الجامعية:

106. لمياء شنوف: الاتساق والانسجام في رواية سمرقند لأمين معلوف، دراسة تحليلية ونقدية، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2008- 2009م.

107. إكرام بن سلامة: المنطلقات اللغوية لتحليل الخطاب الشعري في النقد العربي القديم، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008 م 2009م.

108. شريفة بلحوت: الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب ل م.أ.ك هاليداي و رقية حسن، مذكرة أعدت لنيل شهادة الماجستير تخصص ترجمة قسم اللغة العربية و آدابها، 2005 - 2006 م.

109. عبد الجبار توامة: القرائن المعنوية في النحو العربي، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 1994-1995م.

110. فتحي علم الدين ثابت: أثر السياق في مبنى التركيب ودلالته، دراسة نصية رسالة دكتوراه، جامعة المنيا، كلية الدراسات العربية والإسلامية،1994.

111. فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي: دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام –دراسة نظرية تطبيقية– رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2005 م.

112. المثنى عبد الفتاح محمود: السياق القرآني وأثره في ترجيح الدلالة، أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه، الجامعة الأردنية، 2005م.

113. محمد حداورة: جذور النظرية السياقية في التراث اللغوي العربي الخصائص أنموذجا– مذكرة لنيل شهادة الماجيستير جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2005–2006م.

114. محمود بوستة: الإتساق والانسجام في سورة الكهف، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2008–2009 م.

115. مفتاح بن عروس: الاتساق والانسجام، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الأدب العربي قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر،2007/ 2008 م.

116. هاجر مدقن: الخطاب الحجاجي أنواعه و خصائصه، دراسة تطبيقية في 'كتاب المساكين' لـ: الرافعي، مذكرة ماجستير، جامعة ورقلة، الجزائر ،2003م.

- قائمة الدوريات والمجلات العلميـــــــــــــــة:

117. نعمان بوقرة: نحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية، مجلة علامات، عدد61، مج 16، جمادى الأولى 1428 هـ، ماي 2007 م.

118. نسيمة نابي: مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية منشورات مخبر الممارسات اللغوية، تيزي وزو، الجزائر،2011م.

119. نوال بنت إبراهيم الحلوة: أثر التكرار في تماسك النصي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات خالد منيف، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات و آدابها، العدد الثامن، ماي 2012 م.

120. نعيمة سعدية: الاتساق النصي في التراث العربي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد الخامس، جوان 2009م.

121. أمين لقمان الحبار: التماسك النصي في سورة النبأ، مجلة التربية والعلم المجلد14، العدد2، 2008م.

122. الطيب العزالي قواوة: الانسجام النصي وأدواته، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة . الجزائر، العدد الثامن، 2012م.

- قائمة الروابـــــــــــــــــط:

123. أبوعلي فؤاد: مناهج تحليل الخطاب، منتديات جمعية المترجمين واللغويين المصريين، الرابط: http: //egyfroums.com

124. شريفة بالحوت: طبيعة النص وعلاقته بسياق المقام، جامعة تيزي وزو، الجزائر الرابط: https://www.manifest.univ-ouargla

125. طه جابر العلواني : السياق المفهوم- المنهج- النظرية، منتديات مكتبتنا العربية الرابط: https://www.almaktabah.net

126. محمد الربيعة: علم السياق القرآني، ملتقى أهل التفسير الرابط: www.tafsir.net https://

فـــهرس

الموضوعـــات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة

الفصل الأول: في تحديد المفاهيم النصية

I. من نحو الجملة إلى نحو إلى النص..... 07

II. مفهوم النص..... 21

1. النص لغة..... 22

2. النص اصطلاحا..... 24

1.2. النص في الثقافة العربية.....25

2.2. النص في الثقافة الغربية.....30

3. شروط النصية.....36

III. مفهوم الخطاب.....39

1. الخطاب لغة.....40

2. الخطاب اصطلاحا.....42

1.2. الخطاب في الثقافة العربية.....42

2.2. الخطاب في الثقافة الغربية.....48

IV. الخطاب والنص.....53

الفصل الثاني: التماسك النصي وأدواته

I. التماسك النصي مفهومه وأدواته.....61

1. مفهوم التماسك النصي.....61

1.1. التماسك النصي عند العرب القدامى.....61

2.1. التماسك النصي عند المحدثين.....69

II. الاتساق.....69

1. مفهومه.....70

1.1. الاتساق لغة.....70

2.1. الاتساق اصطلاحا.....70

III. وسائله.....74

1.الإحالة.....76

1.1. مفهومها.....76

2.1. أنواعها.....79

3.1. وسائلها.....82

2.الاستبدال.....88

1.2. مفهومه.....88

2.2. أنواعه.....89

3. الحذف.....91

1.3. مفهومه.....91

2.3. أنواعه.....93

4. الوصل.....95

1.4. مفهومه.....95

2.4. أنواعه.....96

5. الاتساق المعجمي.....97

1.5. مفهومه.....97

2.5. أنواعه.....97

IV. الانسجام.....111

1. مفهومه.....111

1.1. الانسجام لغة.....111

2.1. الانسجام اصطلاحا.....112

V. آلياته.....116

1. السياق.....116

1.1. السياق لغة.....116

2.1. السياق اصطلاحا.....119

1.2.1. السياق في الثقافة العربية.....119

2.2.1. السياق في الثقافة الغربية.....135

1. 3. أنواع السياق القرآني.....139

2.مبدأ التغريض.....144

1.2. مفهومه.....144

3. بنية الخطاب.....146

1.3. مفهومها.....146

2.3. دور المتلقي في انسجام الخطاب.....148

3.3. خصائص البنية الخطابية.....149

الفصل الثالث: المقاربة التطبيقية لآليات الاتساق والانسجام في سورة النبأ

I. تحليل سورة النبأ وفق وسائل الاتساق.....152

1. الإحالة في سورة النبأ.....152

2. الحذف في سورة النبأ.....162

3. الوصل في سورة النبأ..... 167

4. الاتساق المعجمي..... 173

1.4. التكرار.....173

2.4. التضام.....176

II. تحليل سورة النبأ وفق آليات الانسجام.....179

1. التقطيع والهندسة الخارجية لسورة النبأ..... 179

2. أهم السياقات الواردة في سورة النبأ.....187

3. مبدأ التغريض..... 191

1.3. العلاقة بين اسم سورة النبأ ومضمونها.....191

4. بنية الخطاب في سورة النبأ.....201

خاتمة.....209

ملحق.....212

قائمة المصادر والمراجع.....217

فهرس الموضوعات.....230